تأويل الآيات المشكلة عنهم الموضحة

وبيانها بالحجج والبرهان

تأليف

أبي الحسن علي بن محمد بن مهدي الطبري (ت ٣٨٠هـ)

تحقيق

ناصر محمدي

دار الآفاق العربية

تأويل الآيات المشكلة الموضحة

وبيانها بالحجج والبرهان

تأليف

أبي الحسن علي بن محمد بن مهدي الطبري (ت ٣٨٠ هـ)

تحقيق

ناصر محمدي

دار الآفاق العربية

الطبرى ، على بن محمد بن مهدى الطبرى
تأويل الأيات المشكلة الموضحة وبيانها بالحجج والبرهان
ط 1 ، القاهرة : دار الآفاق العربية 2014
312 ص ، 24 سم

1. القرآن - الحكم والمتشابة
أ- جاد ، ناصر محمدى محمد (محقق)
ب- العنوان 226.63

تدمك :6 -978-977-344-286
رقم الإيداع :5299 / 2014
الطبعة الأولى

1436 هـ - 2015 م

نشر - توزيع - طباعة
55 شارع محمود طلعت من ش الطيران
مدينة نصر - القاهرة
تليفون : 22617339 -00202 تليفاكس : 22610164-00202
Email: dar.alafk@yahoo. Com
Email : selim.selim10@yahoo.com

دار الآفاق العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيرًا ، وجعله قيمًا لا عوج فيه مستقيمًا ، ودعا إلى اتباعه ، والسير على منهاجه ، وأشهد أن لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له ، القائل في محكم آياته : ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ﴾[1] .

وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله ، وصفيه من خلقه وحبيبه ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، وعلم الأمة القرآن ، فقال : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه »[2] ، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين .

وبعد :

فمما لا شك فيه أن دراسة تراث علمائنا الخاص بتفسير الكتاب العزيز من خلال تحقيق أمهات كتب التفسير ، والعناية بها ، والاطلاع عليها ـ يسهم كل ذلك بحظ وافر في التعرف على كتاب الله العظيم ، وتفهم آياته ، ومعرفة تعاليمه ؛ مما ييسر العمل به . أضف إلى ذلك : التعرف على هذا التراث الضخم ، والثروة التفسيرية الهائلة الكاشفة عن جهود علمائنا الأجلاء في خدمة القرآن الكريم وعلومه .

وقد كان تفسير القرآن الكريم موضع عناية المسلمين منذ القدم ، فقد تتابعت أنواع التآليف في أحكامه وفي تفسيره وفي بلاغته وفي لغته وفي إعرابه ، حتى لقد ازدهرت في الثقافة الإسلامية ضروب من العلوم والفنون حول القرآن الكريم وانضوت تحت رايته .

ولقد قام سلفنا الصالح من كبار العلماء العاملين بجهود عظيمة في مجال تفسير القرآن الكريم ، فعبدوا طرقه ، ويسروا صعبه ، وبينوا مسائله ، راجين مرضاة الله ، طالبين رضاه ، ملتمسين عفوه ومغفرته .

وقد تنوعت طرق التفسير لدى علمائنا كل حسب قدراته وتخصصه وملكاته ، فمنهم من تخصص في الكشف عما فيه من بلاغة ، ومنهم من اجتهد في استخراج

---

(١) الإسراء : ٨٢.

(٢) أخرجه الطيالسي (ص ١٣، رقم ٧٣) ، وأحمد (١/ ٦٩، رقم ٥٠٠) ، والبخاري (٤/ ١٩١٩، رقم ٤٧٣٩) ، وأبو داود (٢/ ٧٠، رقم ١٤٥٢) ، والترمذي (٥/ ١٧٣، رقم ٢٩٠٧) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (١/ ٧٦، رقم ٢١١) ، وابن حبان (١/ ٣٢٤، رقم ١١٨) .

الأحكام ، ومنهم من اجتهد في طرح رؤى جديدة لتفسير غامضه وتأويل مشكله بهدف تذليل الصعوبات أمام جمهرة المسلمين .

ويأتي هذا الكتاب الذي أقدمه اليوم للقارئ الكريم «**تأويل الآيات المشكلة**» لأبي الحسن الطبري ، المتوفى سنة ٣٨٠هـ . في باكورة المؤلفات التي تناولت المشكل والمتشابه من القرآن الكريم ، وهو كتاب فريد في بابه ويعتبر من أوائل الكتب التي بحثت في مشكل القرآن الكريم ، ورد الشبه التي تثار حوله ، ودفع المطاعن التي تسدد نحوه ، كما سيتضح خلال حديثنا عن الكتاب بإذن الله .

ونظرا لأهمية هذا الكتاب في مجالي التفسير والعقيدة ، فسوف نستميح القارئ المعذرة في الحديث عن بعض القضايا المهمة التي يجب التنبيه عليها قبل تحقيق الكتاب لما في ذلك من غنى عن كثير من التعليقات التي تثقل الكتاب بالحواشي .

وسيكون الحديث في الموضوعات التالية :

* ترجمة أبي الحسن الطبري .
* التعريف بمشكل القرآن .
* التعريف بمتشابه القرآن .
* دراسة موجزة عن كتاب تأويل الآيات المشكلة .
* وصف مخطوط الكتاب .
* منهج التحقيق .

وأسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى كل خير ، وهو سبحانه نعم المولى ، ونعم النصير ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

المحقق

ترجمة المؤلف

هو : علي بن مُحَمَّد بن مهدى أَبُو الْحسن[١] الطبري[٢] .

قال الإمام التاج السبكي : تلميذ الشَّيْخ أَبى الْحسن الأشعرى صَحبه بِالْبَصْرَةِ وَأخذ عَنهُ ، وَكَانَ من المبرزين فى علم الْكَلَام والقوامين بتحقيقه وَله كتاب تَأْوِيل الْأَحَادِيث المشكلات الواردات فى الصِّفَات وَكَانَ مفتنا فى أَصْنَاف الْعُلُوم[٣] .

قَالَ أَبُو عبد الله الْحُسَيْن بن أَحْمد بن الْحسن الأسدى : كَانَ شَيخنَا وأستاذنا أَبُو الْحسن على بن مهدى الطبرى الْفَقِيه مصنفا للكتب فى أَنْوَاع الْعُلُوم مفتنا حَافِظًا للفقه وَالْكَلَام والتفاسير والمعانى وَأَيَّام الْعَرَب فصيحا مبارزا فى النّظر مَا شوهد فى أَيَّامه مثله انْتهى[٤] .

تنبيه علي وهم :

قال التاج : قَوْله : ابْن مهدى رُبمَا أوهم أَن مهديا أَبوهُ وَكَذَا وَقع فى طبقاتى الْوُسْطَى وَالصُّغْرَى ، ثمَّ تحققت أَنه جده وَأَن أَبَاهُ مُحَمَّد[٥] .

مولده :

لم يرد ذكر عند من ترجم له عن مولده ؛ قال التاج السبكي : وقد ترجمة الْحَافِظ ابْن عَسَاكِر فى كتاب التَّبْيِين ، وَلم أر من أرخ وَفَاته . إلا أنه في طبقة القفال ، كما قال السبكي : وَقد ذكر العبادى هَذَا الشَّيْخ فى طبقَة الْقفال الشاشى وَقَالَ فِيهِ صَاحب الْأُصُول وَالْعلم الْكثير[٦] .

---

(١) كذا في جميع المصادر التي ترجمت له ، ولكن ورد في المخطوط : «الحسين» فربما كان يكنى بالكنيتين .

(٢) راجع ترجمته في : طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/ ٤٦٨ ، وتبيين كذب المفتري لابن عساكر ١٩٥ ، والوافي بالوافيات للصفدي ٢٢/ ١٤٢ .

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ٤٦٨ .

(٤) طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ٤٦٨ .

(٥) السابق ٣/ ٤٦٨ .

(٦) طبقات الشافعية للعبادي ٨٥ .

مذهبه الفقهي :

كان ـ رحمه الله شافعي المذهب ـ يتبع الإمام الشافعي في الفروع ، كما ترجمه السبكي والعبادي في طبقاتهما .

عقيدته :

كان على معتقد الإمام أبي الحسن الأشعري ، بل هو من أخص تلاميذه ، وسيتضح تشبعه بهذا المنهج من خلال هذا الكتاب . الذي يذكر فيه جل حجج الأشاعرة في التأويل لآيات الصفات التي لم يستطيعوا إجرائها على ظواهرها . كما سيتضح .

شعره :

قال التاج : أنشدنا يحيى بن فضل اللّٰه الْعُمْرَى فى كِتَابه عَن مكي بن عَلان أَن أَبَا الْقَاسِم الْحَافِظ أنبأه قَالَ أخبرنَا نصر اللّٰه المصيصى أخبرنَا على بن ابى الْعَلَاء المصيصى أخبرنَا أَبُو الْحسن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم الفارقى الْمَعْرُوف بِابْن الضراب أخبرنَا أَبُو سعد المالينى أنشدنا أَبُو الْحسن على بن مُحَمَّد بن مهدى الطبرى لنَفسِهِ

مَا ضَاعَ من كَانَ لَهُ صَاحب يقدر أَن يصلح من شَأْنه
فَإِنَّمَا الدُّنْيَا بسكانها وَإِنَّمَا الْمَرْء بإخوانه

وَقَالَ وأنشدنى أَبُو الْحسن بن مهدى لنَفسِهِ أَيْضا

إِن الزَّمَان زَمَان سو وَجَمِيع هَذَا الْخلق بو
ذهب الْكِرَام بأسرهم وَبقيت فى لَيْت وَلَو
فَإِذا سَأَلت عَن الندى فجوابهم عَن ذَاك وو[1]

وفاته :

أرخ الأستاذ صلاح الصفدي وفاته بسنة ٣٨٠هـ .

---

(١) كذا ذكر السبكي وقد وجدته في ديوان البحتري ٤ / ٢٨ . فلعل أبا الحسن الطبري كان ينشده كثيرا حتى خيل لناقل هذا الشعر أنه له .

ثناء العلماء عليه :

كان متبحرا في علم الكلام كما شهد بذلك المترجمون فقد قال السبكي : تلميذ الشَّيْخ أَبى الْحسن الأشعرى صَحبه بِالْبَصْرَةِ وَأخذ عَنهُ ، وَكَانَ من المبرزين فى علم الْكَلَام والقوامين بتحقيقه[١] .

وقال ابن عساكر : صحب أبا الحسن رحمه اللّٰه بالبصرة مدة وأخذ عنه وتخرج به واقتبس منه وصنف تصانيف عدة تدل على علم واسع وفضل بارع وهو الذي ألف الكتاب المشهور في تأويل الأحاديث المشكلات الواردة في الصفات[٢] .

قال الصفدي : صحب الشيخ أبا الحسن ، وتخرج به وصنف التصانيف وتبحر في علم الكلام وهو مصنف كتاب مشكل الأحاديث الواردة في الصفات[٣] .

هذه فكرة موجزة عن المؤلف بما يقتضيه المقام ، ومن أراد التوسع من السادة الباحثين ، فليرجع إلى أماكن تراجمه فيما ذكر من مراجع ، واللّٰه الموفق

❊ ❊ ❊

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ٤٦٨.

(٢) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، ١٩٥.

(٣) الوافي بالوفيات ٢٢/ ٩٠.

التعريف بالمشكل من القرآن الكريم[١]

نظرا لأن موضوع الكتاب هو تأويل الآيات المشكلة كما يتضح من عنوان الكتاب وموضوعه ، فلا محيص عن تناول هذا الموضوع وما يحيط به من قضايا حتى نلم إلمامة سريعة عن منهج هذا المصنف ورأيه في أغلب القضايا المتصلة بالعقيدة .

تعريف المُشْكِل في اللغة :

المُشْكِل : اسم فاعل ، مِنْ أشْكَلَ يُشْكِلُ إشْكالاً ؛ فهو مُشْكِلٌ ، واسم الفاعل من غير الثُلاثي يأتي على زِنَةِ مُضارِعه ، بإبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة ، وكسر ما قبل الآخر[٢] .

والمعنى اللغوي للمُشْكِل يدور حول : الاختلاط ، والالتباس ، والاشتباه ، والمماثلة[٣] .

تقول : أشكل عليَّ الأمر ، أي : اختلط بغيره[٤] .

ويُقال : حرف مُشْكِلٌ ، أي : مُشْتَبِهٌ مُلتبسٌ ، وأمورٌ أشكال ، أي : ملتبسة ، وبينهم أشكلة ، أي : لبس[٥] . والشَّكْلُ : الشَّبَهُ والمِثْلُ ، والجمع أشْكَالٌ ، وشُكُولٌ ، يُقال : هذا أشْكَلُ بكذا ، أي : أشْبَه[٦] .

قال ابن فارس : « الشين والكاف واللام ، مُعظمُ بابِهِ المُماثَلة ، تقول : هذا شِكْل

---

(١) ملخص من كتاب : الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الكريم (عرض ودراسة) للدكتور/أحمد بن عبد العزيز بن مقرن القصير ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة : الأولى ، ١٤٣٠هـ .

(٢) انظر : شذا العرف في فن الصرف ، لأحمد بن محمد الحملاوي ، ص (٩٧) ..

(٣) انظر : مشكل القرآن ، للمنصور ، ص (٤٦) ..

(٤) انظر : الزاهر في معاني كلمات الناس ، لابن الأنباري (١٥١/٢) ، وتهذيب اللغة ، للأزهري .

(٥) انظر : تهذيب اللغة ، للأزهري (٢٥/١٠) ، ولسان العرب ، لابن منظور (٣٥٧/١١) ، والمصباح المنير ، للفيومي ، ص (٣٢١) ..

(٦) انظر : مختار الصحاح ، لأبي بكر بن عبد القادر الرازي (١٤٥/١) ، والقاموس المحيط ، للفيروز آبادي ، ص (١٣١٧) .

هذا، أي: مِثْلُه، ومن ذلك يُقال: أمرٌ مُشْكِل، كما يُقال: أمرٌ مُشْتبِه»[١].

تعريف المُشْكِل في الاصطلاح:

تباينت آراء العلماء في تعريف المُشْكِل، فتعريفه عند الأصوليين يختلف عن تعريفه عند المُحَدِّثين والمفسرين، وسأذكر أولاً تعريفه عند أهل كلِّ فن، ثم أُبَيِّنُ أوجه الفرق بين هذه التعريفات، ثم بعد هذا سأذكر تعريفاً جامعاً مانعاً يضبط معناه في اصطلاح المحدثين؛ لأن ما يعنينا في هذا البحث هو معناه في اصطلاح المحدثين دون الأصوليين، ثم أُتْبِع ذلك كله بتعريفٍ عامٍ للمشكل، يشمل معناه في اصطلاح الأصوليين، والمحدثين، والمفسرين.

المُشْكِل في اصطلاح الأصوليين:

أكثر من تناول تعريف المُشْكِل في اصطلاح الأصوليين هم علماء الحنفية، وقد عرَّفه السرخسي، بقوله: «هو اسم لما يشتبه المراد منه، بدخوله في أشكاله على وجهٍ لا يُعرف المُراد إلا بدليلٍ يتميز به من بين سائر الأشكال»[٢].

وقد أوضح السرخسي مراده بهذا التعريف عند بيانه للفرق بين المُشْكِل والمجمل، فقال: «والمُشْكِل قريب من المجمل، ولهذا خفي على بعضهم فقالوا: المُشْكِل والمجمل سواء، ولكن بينهما فرق، فالتمييز بين الإشكال - ليوقف على المراد - قد يكون بدليل آخر، وقد يكون بالمبالغة في التأمل حتى يظهر به الراجح، فيتبين به المراد، فهو من هذا الوجه قريب من الخفي، ولكنه فوقه، فهناك الحاجة إلى التأمل في الصيغة وفي أشكالها، وحكمه

اعتقاد الحقيقة فيما هو المراد، ثم الإقبال على الطلب والتأمل فيه إلى أنْ يتبين المراد فيعمل به.

وأما المجمل فهو ضد المُفَسَّر، مأخوذ من الجملة، وهو لفظ لا يُفهم المراد منه إلا باستفسار من المُجْمِلِ، وبيان من جهته يُعرف به المراد.

---

(١) معجم مقاييس اللّغة، لابن فارس (٣/٢٠٤).

(٢) أصول السرخسي (١/١٦٨).

وبهذا يتبين أنَّ المجمل فوق المُشْكِل ؛ فإنَّ المراد في المُشْكِل قائم ، والحاجة إلى تمييزه من أشكاله ، والمراد في المجمل غير قائم ، ولكن فيه توهم معرفة المراد بالبيان والتفسير »[١] .

وعرَّفه الشاشي فقال : « هو ما ازداد خفاءً على الخفي ، كأنه بعدما خفي على السامع حقيقة دخل في أشكاله وأمثاله ، حتى لا يُنال المراد إلا بالطلب ثم بالتأمل ، حتى يتميز عن أمثاله »[٢] .

وعرَّفه أبو زيد الدَّبُوسي ، فقال : « هو الذي أشكل على السامع طريق الوصول إلى المعنى الذي وضعه له واضع اللغة ، أو أراده المستعير »[٣] .

وعرَّفه الجُرْجَاني ، فقال : « المُشْكِل : هو ما لا يُنال المراد منه إلا بتأملٍ بعد الطلب ، وهو الداخل في أشكاله ، أي : في أمثاله وأشباهه ، مأخوذ من قولهم : أشكل ، أي : صار ذا شَكْلٍ ، كما يُقال : أحرم ، إذا دخل في الحرم ، وصار ذا حُرْمَةٍ »[٤] .

وجمع بين هذه التعريفات الأستاذ عبد الوهاب خلاف ؛ فقال : « المراد بالمُشْكِل في اصطلاح الأصوليين : اللفظ الذي لا يدل بصيغته على المراد منه ، بل لا بُدَّ من قرينة خارجية تُبيِّن ما يُراد منه »[٥] .

ويلاحظ من مجموع هذه التعريفات أنَّ معنى المُشْكِل عند الأصوليين : هو اللفظ الذي استغلق وخفي معناه على السامع ، ولم يتبين إلا بعد طلبٍ وتأمل ، فقد يظهر معناه من قرينةٍ في النص ، أو من دليلٍ آخر منفصلٍ عن النص ، أو بتأمل ونظر ، وقد لا يظهر .

ويقابل المُشْكِل عند الأصوليين : المتشابه ، فقد يُعَبِّرُ بعضهم عن المُشْكِل بالمُتَشَابِه ، كما إنَّ تعريفهم للمتشابه هو بعينه تعريف المُشْكِل ، وقد عرَّفه أبو الوليد الباجي فقال :

---

(١) المصدر السابق .

(٢) موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين« ، ص (١٤٢٨) ، وانظر : مشكل القرآن ، للمنصور ، ص(٥٠) .

(٣) مشكل القرآن ، للمنصور ، ص (٥٠) .

(٤) التعريفات ، للجرجاني ، ص (٢٧٦) .

(٥) علم أصول الفقه ، لعبد الوهاب خلاف ، ص (١٧١) .

« المتشابه : هو المُشْكِل الذي يُحتاج في فهم المراد به إلى تفكرٍ وتأمل »[١] .

وعرَّفه الشاطبي فقال : « ومعنى المتشابه : ما أشكل معناه ، ولم يتبين مغزاه »[٢] .

وقد أشار إلى هذا التداخل بين اللفظين شيخ الإسلام ابن تيمية فقال : « ولهذا كان السلف ﷺ يُسَمُّون ما أشكل على بعض الناس حتى فُهِمَ منه غير المراد : مُتشابهاً »[٣] .

وهذا المصطلح للمُشكل استعمله بعض المفسرين والمحدثين ، فقد يُطلقون الإشكال ويريدون به الخفاء وعدم وضوح المعنى ، وقد أَلَّفَ مكي بن أبي طالب كتاباً في غريب القرآن سمَّاه : « تفسير المُشْكِل من غريب القرآن » ، حيث سمَّى الغريبَ مُشْكِلاً[٤] .

وألَّف ابن الجوزي كتاباً سمَّاه : « كشف المُشْكِل من حديث الصحيحين » ، ومراده : شرح الألفاظ التي يراها غريبة ، أو بحاجة إلى توضيح وبيان[٥] .

ثانيا : تعريف المُشْكِل في اصطلاح المحدثين :

لم يتطرق الأوائل ـ ممن ألف في مشكل الحديث ـ لتعريفِ المُشْكِلِ بمعناه في اصطلاح المحدثين ـ إلا ما ذكره أبو جعفر الطحاوي في كتابه « مشكل الآثار » ، حيث أشار في مقدمة كتابه لمعنى المُشْكِل فقال : « وإني نظرت في الآثار المروية عنه ﷺ ، بالأسانيد المقبولة ، التي نقلها ذوو التثبت فيها والأمانة عليها ، وحسن الأداء لها ، فوجدت فيها أشياء مما يسقط معرفتها ، والعلم بما فيها عن أكثر الناس ، فمال قلبي إلى تأملها ، وتبيان ما قدرت عليه من مشكلها ، ومن استخراج الأحكام التي فيها ، ومن نفي الإحالات عنها »[٦] .

وهذا الذي ذكره الطحاوي يُعد وصفاً لمعنى المشكل ، لا تعريفاً له ، وقد استفاد منه من جاء بعده من المتأخرين ، حيث نقله الدكتور أسامة خياط ، واستخلص منه تعريفاً

---

(١) إحكام الفصول في أحكام الأصول ، للباجي (١/١٧٦) ، وانظر : التعاريف ، للمناوي ، ص (٦٣٣) .

(٢) الاعتصام ، للشاطبي (٢/٧٣٦) .

(٣) نقض أساس التقديس ، لابن تيمية ، مخطوط (٢/٤٩٥) .

(٤) انظر : مشكل القرآن ، للمنصور ، ص (٥٥) .

(٥) انظر : مقدمة تحقيق الكتاب ، للدكتور علي حسين البواب (١/١٦) .

(٦) مشكل الآثار ، للطحاوي (١/٦) .

لمشكل الحديث بأنه : « أحاديثُ مرويةٌ عن رسول اللَّه ﷺ ، بأسانيد مقبولة ، يُوهِمُ ظاهرها معاني مستحيلة ، أو مُعارضة لقواعد شرعية ثابتة »[١] .

وأفاد من هذين التعريفين الدكتور فهد بن سعد الجهني ، فإنه نقل كلام الطحاوي ثم قال : « فمن الممكن استخلاص تعريفٍ للمشكل من خلال نص الطحاوي هذا بأنه : الحديث المروي عن رسول اللَّه ﷺ بسند مقبول ، وفي ظاهره تعارض يقتضي معنى مستحيلًا ، عقلًا أو شرعًا ؛ يحتاج في دفعه إلى نظر وتأمل »[٢] .

وقد أشار إلى أنه أفاد من تعريف الدكتور أسامة[٣] . وذكر الأستاذ عبد اللَّه المنصور في كتابه « مشكل القرآن » تعريفًا مقاربًا لما ذُكِرَ ، مع إضافة بعض الضوابط التي استخلصها من خلال استقرائه لبعض المؤلفات في مشكل الحديث ، وقد خلص إلى أنَّ المراد بمشكل الحديث : « الآثار المروية عن رسول اللَّه ﷺ ، بالأسانيد المقبولة ، وجاء ما يُناقضها في الظاهر من آية أو حديث أو غير ذلك ، مما هو ظاهر ومعتبر ، أو فيها ألفاظ أو معانٍ لا تُعلم عند كثير من الناس »[٤] .

ويلاحظ من مجموع هذه التعريفات أنها لم تأتِ بتعريف جامعٍ مانعٍ لمشكل الحديث ، وإنما ذكرت بعض أنواعه ، كما يُلاحظ أنَّ معنى المُشْكِل عند عامة المحدثين مغاير تمامًا لمعناه عند الأصوليين ؛ إلا أنَّ بعضهم ربما أطلق الإشكال وأراد به معناه عند الأصوليين .

وهذه التعريفات التي ذكرناها سابقًا نستطيع أنْ نستخلص منها تعريفًا جامعًا مانعًا شاملًا لكل أنواع مشكل الحديث ، مع إضافة بعض الضوابط التي لم تُذكر في تلك التعريفات .

وعليه فإن مشكل الحديث : هو الحديث المروي عن رسول اللَّه ﷺ بسند مقبول ، ويُوهِمُ ظاهره مُعارضةَ آيةٍ قرآنية ، أو حديثٍ آخر مثله ، أو يُوهِمُ ظاهره مُعارضةَ مُعْتَبَرٍ

---

(١) مختلف الحديث ، لأسامة خياط ، ص (٣٦) .

(٢) قواعد دفع التعارض عند الإمام الشافعي ، للدكتور فهد بن سعد الجهني ، بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى ، لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، المجلد (١٧) ، العدد (٣٢) ، ص (٢٦٢) .

(٣) المصدر السابق ، ص (٢٩٦) ، حاشية رقم (٣٠) .

(٤) مشكل القرآن ، للمنصور ، ص (٥٣) .

مِنْ : إجماعٍ ، أو قياسٍ ، أو قاعدةٍ شرعيةٍ كليةٍ ثابتة ، أو أصلٍ لغوي ، أو حقيقةٍ علميةٍ ، أو حِسٍ ، أو معقولٍ .

ثالثا : تعريف المُشْكِل عند علماء التفسير وعلوم القرآن :

معرفة المُشْكِل عند علماء التفسير وعلوم القرآن يتطلب النظر في نوعين من المؤلفات :

الأول : الكتب المؤلفة في تفسير القرآن الكريم ، والثاني : الكتب المؤلفة في علوم القرآن .

ففي الكتب المؤلفة في التفسير نجد أنَّ هناك نوعين من التأليف :

الأول : كتبٌ مفردة في مشكل القرآن ، وموهم التعارض بين آياته .

والثاني : كتبٌ عامة ، جل اهتمامها هو التفسير ؛ إلا أنَّ مؤلفيها ربما تطرقوا لحلِّ بعض مشكلات القرآن .

فمن الأول : كتاب « تأويل مشكل القرآن » ، لابن قتيبة ، وكتاب « حل مشكلات القرآن » ، لابن فورك ، وكتاب « درة التنزيل وغرة التأويل » ، للخطيب الإسكافي ، وكتاب « دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب » ، للشنقيطي(١) .

ومن أشهر الذين اعتنوا بحل بعض مشكلات القرآن في مؤلفاتهم التفسيرية : القاضي ابن عطية ، في كتابه « المحرر الوجيز » ، وأبو عبد الله القرطبي في كتابه « الجامع لأحكام القرآن » ، والخازن في كتابه « لباب التأويل في معاني التنزيل » ، والآلوسي في كتابه « روح المعاني » .

وفي تلك الكتب لم نجد أحدًا منهم تطرق لتعريف المُشْكِل ، إلا أنَّ مقتضى صنيعهم يدلُّ على أنَّ مصطلح المُشْكِل عندهم عامٌ يشمل كل إشكال يطرأ على الآية ، سواء كان في اللفظ أم في المعنى ، أو كان لتوهم تعارض ، أو توهم إشكال في اللغة ، أو غير ذلك(٢) .

وأما كتب علوم القرآن فقد أفرد بعض مؤلفيها أبوابًا خاصة لمشكل القرآن ، تناولوا

---

(١) انظر : مشكل القرآن ، للمنصور ، ص (٥٣ ـ ٥٤) .

(٢) انظر : مشكل القرآن ، للمنصور ، ص (٥٣ ـ ٥٤) .

فيها تعريف المُشْكِل، وموهم التناقض بين آي القرآن، ومن أبرز من اعتنى بذلك: الزركشي، في كتابه « البرهان في علوم القرآن »، والسيوطي في كتابه « الإتقان في علوم القرآن »، وابن عقيلة المكي، في كتابه « الزيادة والإحسان في علوم القرآن ».

قال الزركشي في النوع الخامس والثلاثين: « معرفة موهم المختّلف »، ثم عرَّف هذا النوع فقال: « وهو ما يُوهِمُ التعارض بين آياته »[١].

ويلاحظ اقتصار الزركشي على نوع واحد من أنواع مشكل القرآن، وهو ما يُوهِمُ التعارض بين آياته، وقد ذكر نوعًا آخر في فصل مستقل، وهو موهم التعارض بين القرآن والسنة[٢]، وفي النوع السادس والثلاثين جعل خفاء اللفظ من المُشْكِل وأدخله في نوع المتشابه والذي يَعُدُّه من المُشْكِل[٣].

وأما السيوطي في الإتقان فقد أفاد من الزركشي وزاد عليه، حيث قال: « النوع الثامن والأربعون: في معرفة مُشكله، وموهم الاختلاف والتناقض »[٤].

وظاهر صنيعه أنَّ المُشْكِل مغايرٌ لموهم الاختلاف والتناقض، لكن هذا الظاهر غير مراد منه قطعًا، بل مراده أنَّ موهم الاختلاف والتناقض هو المُشْكِل بعينه، يدل على ذلك ما سطَّره في كتابه « معترك الأقران »؛ فإنه قال: « الوجه السابع من وجوه إعجازه: ورود مشكله حتى يُوهِمَ التعارض بين الآيات »[٥].

وأما ابن عقيلة فقد فرَّق بين المُشْكِل وموهم التناقض؛ فالمُشْكِل عنده هو ما خفي معناه من الآيات، وموهم التناقض هو ما جاء من آيات يُعارض بعضها بعضًا.

قال ابن عقيلة في تعريف المُشْكِل: « هو ما أشكل معناه على السامع، ولم يصل إلى إدراكه إلا بدليلٍ آخر »[٦].

وقال ـ بعد أنْ أورد كلام السيوطي في الإتقان ـ: « قلت: تقدم تعريف المُشْكِل،

---

(١) البرهان في علوم القرآن، للزركشي (١٧٦/٢).
(٢) المصدر السابق (١٩٣/٢).
(٣) انظر: المصدر السابق (٢٠٠/٢).
(٤) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (٧٢٤/٢).
(٥) معترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي (٧٢/١).
(٦) الزيادة والإحسان، لابن عقيلة (١٣٤/٥).

وأنه هو الذي أشكل معناه فلم يتبين حتى يُبَيّن ، وليس هذا النوعِ من ذلك ، بل هذا النوع آيات يُعارض بعضها بعضًا ، وكلام اللَّه تعالى مُنزَّهٌ عن ذلك »(١) .

ومن مجموع ما سبق يتبين أنَّ علماء التفسير وعلوم القرآن يطلقون المُشْكِل ويعنون به : الآيات التي يُوهِمُ ظاهرها التعارض فيما بينها ، أو الآيات التي يُوهِمُ ظاهرها معارضة حديث نبوي ، أو الآيات التي في معناها خفاء وغموض ، لا يدرك إلا بدليل آخر .

وربما أطلقوا المُشْكِل على الآيات أو القراءات التي خالفت قاعدة لغوية ، من نحوٍ أو تصريف أو إعراب .

والتعريف الجامع المانع ـ في نظري ـ أنْ يُقال : مشكل القرآن : هو الآيات القرآنية التي يُوهِمُ ظاهرها معارضة نصٍ آخر ؛ من آيةٍ قرآنية ، أو حديث نبوي ثابت ، أو يُوهِمُ ظاهرها معارضة مُعْتَبَرٍ مِنْ : إجماعٍ ، أو قياسٍ ، أو قاعدةٍ شرعيةٍ كليةٍ ثابتة ، أو أصلٍ لغوي ، أو حقيقةٍ علميةٍ ، أو حِسٍ ، أو معقولٍ .

رابعًا : التعريف العام للمُشْكِل :

مما سبق يمكن استخلاص تعريفٍ عامٍ للمشكل ، يشمل معناه في جميع الاصطلاحات ، فيقال : هو : كلُّ نصٍ شرعي ؛ استغلق وخفي معناه ، أو أوهم مُعارضة نصٍ شرعي آخر ؛ من آيةٍ قرآنية ، أو سنةٍ ثابتة ، أو أوهم مُعارضة مُعْتَبَرٍ مِنْ : إجماعٍ ، أو قياسٍ ، أو قاعدةٍ شرعيةٍ كليةٍ ثابتة ، أو أصلٍ لغوي ، أو حقيقةٍ علميةٍ ، أو حِسٍ ، أو معقولٍ .

ويمكن اختصار هذا التعريف فيكون باللفظ الآتي :

هو : كلُّ نصٍ شرعي ؛ استغلق وخفي معناه ، أو أوهم مُعارضة نصٍ شرعي آخر ، أو أوهم معاني مستحيلة ؛ شرعًا أو عقلًا ، أو شرعًا وعقلًا .

وبهذا التعريف نكون قد استوعبنا معناه في جميع الاصطلاحات ، فيكون شاملًا لكل ما تقدم من تعريفات للمشكل ؛ في اصطلاح الأصوليين ، والمحدثين ، وعلماء التفسير وعلوم القرآن .

---

(١) المصدر السابق (١٩٦/٥) .

التعريف بالمتشابه من القرآن الكريم

المَتشابه في اللغة :

اسم فاعل مشتق من التشابه ، والمتشابهات من الأمور : المشكلات ، والمتشابهات : المتماثلات[١] .

قال ابن فارس : « الشين والباء والهاء : أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونا ووصفا . . .» [٢] . وتشابه الشيآن واشتبها ، واشتبهت الأمور وتشابهت : التبست لإشباه بعضها بعضا[٣] .

وورد في لسان العرب : «تشابه الشيآن واشتبها : أشبه كل واحد منهما صاحبه . والمشتبهات من الأمور : المشكلات ، والمتشابهات : المتماثلات .. وأمور مشتبهة ومشبهة : مشكلة يشبه بعضها بعضا[٤] .

«واشتبهت الأمور وتشابهت : التبست فلم تتميز ولم تظهر . .، وتشابهت الآيات : تساوت أيضا . .، فالمشابهة : المشاركة في معنى من المعاني ، والاشتباه : الالتباس» [٥] .

وقال الفيروز آبادي : « وشابه وأشبهه : ماثله ، وتشابها واشتبها : أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا ، وأمور مشتبهة ومشبهة : مشكلة »[٦] .

نستطيع ـ إذن ـ أن نقول : أن المتشابه يطلق في اللغة على ما تماثل من الأشياء وأشبه بعضها بعضا ، وعلى ما يلتبس من الأمور .

المتشابه في الإصلاح :

أن يشتبه اللفظ في الظاهر مع اختلاف المعنى ، كما قال تعالى في وصف ثمر الجنة

---

(١) الصحاح في اللغة ، للجوهري (ش ب هـ) .
(٢) مقاييس اللغة ، لابن فارس (ش ب هـ) .
(٣) أساس البلاغة ، للزمخشري (ش ب هـ) .
(٤) لسان العرب ، لابن منظور (ش ب هـ) .
(٥) المصباح المنير ، للفيومي (ش ب هـ) .
(٦) القاموس المحيط (ش ب هـ) .

﴿وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًاۖ﴾[١] . أي : متفق المناظر ومختلف الطعوم . وقد يقال لكل ما غمض ودق : ومتشابه ، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره ، كما يقال للحروف المقطعة في أوائل السور : متشابه لخلفاء معناها ، وليس من جهة الشبه بغيرها والتباسا بها .

والمتشابه مثل المشكل ، لأنه أشكل ، أي دخل في شكل غيره فأشبهه وشاكله ، قال محمد عبد الرءوف المناوي : «المتشابه : المشكل الذي يحتاج فيه إلى فكر وتأمل»[٢] .

وفي الفريق بين المحكم والمتشابه يقول العلماء : وأما المحكم والمتشابه فقال القاضي أبو يعلى : المحكم المفسر والمتشابه المجمل ، وقيل : المتشابه الحروف المقطعة في أوائل السور والمحكم ما عداه ، وقال ابن عقيل : المتشابه : الذي يغمض علمه على غير العلماء المحققين كالآيات التي ظاهرها التعارض . وقيل : المحكم : الوعد والوعيد ، والحلال والحرام ، والمتشابه ، القصص والأمثال . والصحيح أن المتشابه ما ورد في صفات اللّٰه تعالى مما يجب الإيمان به ويحرم التعرض لتأويله ، كقوله تعالى : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[٣] و ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ . ونحو ذلك[٤] .

وقال الشريف الجرجاني : « المتشابه : هو ما خفي بنفس اللفظ ولا يرجى دركه أصلًا . كالمقطعات في أوائل السور »[٥] .

وذهب ابن المنادي إلى أن المتشابه في القرآن الكريم يطلق على أشياء كثيرة ، حيث قال : «إن المتشابه كائن في أشياء فمنها متشابه إعراب حروف القرآن ، ومنها متشابه غريب القرآن ومعانيه ، وفيلك كتب عن المسمين آنفا ، ومنها متشابه تأويل القرآن ، وفي ذلك كتب عن أهل التأويل كمجاهد وقتادة ، وأبي العالية ، وسعيد بن جبير ، وعطاء بن يسار ، وعطية ، والسدي ، وأبي صالح ، وغيرهم ، ومنتهى أكثر ذلك إلى ابن عباس رضي اللّٰه عنهما ، يدخل في ذلك متشابه ناسخ القرآن ومنسوخه ، وتقديمه وتأخيره ،

---

(١) البقرة : ٢٥.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف ، ٢٩٥.

(٣) طه : ٥.

(٤) المطلع على ألفاظ المقنع ، ص ٤٧٩.

(٥) التعريفات ، ص ٢٠٠.

وخصوصه وعمومه ، وأكثر من سمينا قبل لهم كتب في ذلك . وقد يدخل في ذلك متشابه النوادر ، والفرائض ، والإباحات والتصريح والكنايات ، وفي ذلك كتب لعدة من الفقهاء . ومنها متشابه خطوط المصاحف الأول ، وحروف كتب في بعضها على خلاف ما كتبت في البعض الآخر ، وفي ذلككتب لبعض القراء . ومنها متشابه حروف القرآن المجموعة للأذكار من النسيان ، وهو هذا الضرب الذي أجرينا ذكر أصول المتشابه من أجله»[١] .

❊ ❊ ❊

---

(١) درة التنزيل وغرة التأويل ، ص ٤٩.

دراسة كتاب تأويل الآيات المشكلة

يشمل على الموضوعات التالية :

* تحقيق صحة اسم الكتاب
* تحقيق صحة نسبة الكتاب إلى المؤلف
* موضوع الكتاب ، وسبب تأليفه
* منهج المؤلف في الكتاب
* مصادر المؤلف في الكتاب
* قيمة الكتاب العلمية ، وأثره فيمن بعده
* المآخذ على الكتاب

* تحقيق صحة اسم الكتاب :

لقد ورد اسم الكتاب على طرة المخطوط هكذا «تأويل الآيات المشكلة الموضحة وبيانها بالحجج والبرهان» إلا أن جمعا من الذي ترجموا للمؤلف قد ذكروا الكتاب بأسماء مقاربة ، كالذي ذكره الإمام الذهبي في كتابه العلو للعلي الغفار حيث ذكره بعنوان «مشكل الآيات» ، وهذا لا إشكال فيه إذ كلا العنوانين يذكر أن موضوعه مشكل الآيات .

لكننا نرى فريقا آخر من المترجمين يذكره باسم مخالف لما سبق ، فمثلا ذكره ابن عساكر باسم «تأويلا الأحاديث المشكلات» ، وذكره الصفدي باسم «مشكل الأحاديث الواردة في الصفات» ، ويذكره السبكي باسم «تأويلا الأحاديث المشكلات الواردات في الصفات» .

وهذ أمر يدعونا للتريث قليلا ، فهل الكتاب في مشكل الآيات ، أم في مشكل الأحاديث ، أم فيهما معا؟

والحق أنه من خلال تحقيقنا للكتاب نلاحظ أن الكتاب يدور موضوعه في الاثنين ؛ أي : في تأويل الآيات ، وتأويل الأحاديث التي رأى المؤلف أنها مشكلة ، ولو كان الأمر بيدي لأطلقت على الكتاب «تأويلا الآيات والأحاديث المشكلة ..» لكننا ـ كما

تقتضي ذلك قواعد التحقيق العلمي السديد ـ التزمنا ما كتب على طرة المخطوط. خصوصا وأن المؤلف لم يذكر اسما للكتاب في سياق مقدمته، ولكن يبقى الأمر قيد التحقيق لحين ظهور مخطوطات جديدة للكتاب.

* تحقيق صحة نسبة الكتاب إلى المؤلف

أما فيما يتعلق نسبة الكتاب للمؤلف، فالكتاب ثابت النسبة لمؤلفه بما نقلنا سابقا عن نصوص المترجمين للمؤلف في نسبتهم الكتاب له، بما لا يدع عندنا مجالا للشك في صحة هذه النسبة.

* موضوع الكتاب وسبب تأليفه:

أما فيما بموضوع الكتاب، فهو موضوع عقائدي، يحاول فيه المؤلف أن يفسر ما أشكل من آيات وأخبار أودت بالبعض ـ كما يعتقد المؤلف ـ إلى التشبيه والتمثيل، يقول المؤلف في مقدمة الكتاب معربا عن موضوع الكتاب وسبب تأليفه مشيرا إلى منهجه: «**أما بعد**: فإنك كتبت إليَّ شكوى ما فشا بالناحية من تشبيه الفرقة المنتسبة إلى الحديث، المنتحلة الأثر، حتى مالوا إلى قوم من ضعفة المسلمين وأحداثهم[1] بالتلبيس والتمويه، فأثّروا في القلوب وقدحوا في البصائر بما يروونها من الأخبار التي تقصر معرفتهم عن استخراج تأويلها، وتعزُف أفهامهم عن معاني استنباطها؛ لقلة عنايتهم بمعرفة مصادر الكلام وموارده، وظاهره وباطنه، ومجازه وحقيقته واستعارته، وما يجوز إطلاقه في القديم وما لا يجوز إطلاقه، لتسارعهم إلى ادعاء العلم من غير جمع الآلة، وتبادرهم إلى التحلي بالرياسة من غير سياسة العلم وخدمة الحديث، بل المتحققون به قد قنع الواحد منهم من العلم برسمه، ومن الحديث بجمعه واسمه، فأبعد غاية هذه الطائفة أن يكتبوا أجزاء من الحديث، وأجلادا من القصص، ثم يقبلوا على تفسيرها بغير ما أذن اللّٰه بها، من غير معرفة بما فيها وبمآلها منها، ويشرعوا في تشبيه اللّٰه ـ سبحانه وتعالى ـ اغترارا منهم بألفاظ يجدونها في الحديث، ولا يحضرهم صرفها وتمييزها، وما يجب الفعل بها، ثم يتقربوا إلى الرعاع والهمج من أهل الحديث بذلك، وأن من عدل عن هذا

(١) الأحداث: الصغار. الوسيط، مادة (ح د ث).

المنهج والسير فقد خالف المشايخ والقدماء، والأسلاف من العلماء، افتراء على اللّٰه سبحانه بما يفسرون، وكذبا على رسوله بما ينسبون إليه من تشبيهه بخلقه، إذ كان مراده منها خلاف ما ظهر لهم من ذلك، وضد ما ذهبوا إليه، وبهتانا على المشايخ القدماء، والأسلاف من العلماء، وكانوا أجهل الناس بما يروون، وأبخسهم خطابا؛ يذكرون، وما مثلهم في ذلك إلا كما قال القائل(١):

زَوَامِلُ(٢) للأَشْعارِ لاَ عِلْمَ عِنْدَهُمْ ... بِجَيِّدَها إلاَّ كعِلْمِ الأَبَاعِرِ

لَعَمْرُكَ مَا يَدْرِي الْمَطِيُّ إذا غَدَا ... بِأَثْقَالِهِ أَو رَاحَ مَا فِي الْغَرائِرِ

وقد رأيتك تشكو في ناحيتك ما هو فاشٍ في كل ناحية من هذا القطر، وظاهر بكل بلد منه، وقد قال رسول اللّٰه ﷺ: **«الإسلام بدأ غريبا، وسيعود غريبا، فطوبى للغرباء»** (٣). جعلنا اللّٰه وإياك منهم، ولا سَلَبَنا ما أودعنا من الإيمان والتصديق لرسوله، ونفي التشبيه عنه، وإثبات التوحيد له، فإن نواصينا في ملكه، وقلوبنا في سلطانه يقلبها كيف يشاء؛

قال اللّٰه ـ عز وجل مِن قائل ـ حاكيا عن خليله إبراهيم: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾(٤). وحكى عن الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾(٥).

وقال رسول اللّٰه ﷺ في دعائه: **«يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وطاعتك»**(٦). وكان أزكى أولياء اللّٰه من خلقه على قلوبهم خائفين، ومن زيغها غير آمنين، فكيف يأمن المستحقون من المذنبين؟!

واعلم ـ علَّمك اللّٰه الخير برحمته ـ أن الفرقة المشبهة لم تزل مباينة لأهل الحديث

---

(١) هو مروان بن أبي حفصة، أنظر البيت في الكامل للمبرد ٣/ ٩٨، والعقد الفريد ٢/ ٣١٢، والمصون، ص ١١، والحماسة البصرية ٢/ ٢٩٩، ولسان العرب وتاج العروس، مادة (ز م ل).

(٢) في التاج (ز م ل): والزاملة: التي يحمل عليها طعام الرجل، ومتاعه في سفره، من الإبل، وغيرها، فاعلة من الزمل: الحمل، والجمع زوامل، ولقد أبدع مروان بن أبي حفصة، إذ هجا قوما من رواة الشعر، فقال .. ثم أنشد البيتين.

(٣) سيأتي تخرجه في قسم التحقيق.

(٤) إبراهيم: ٣٥.

(٥) آل عمران: ٨.

(٦) سيأتي تخرجه في قسم التحقيق.

ومفارقة لهم ، إذ كانت مقالتهم خلاف مقالتهم ، ومذاهبهم غير مذاهبهم ، لأن من المشبهة من يقول بأن اللّٰه ـ سبحانه ـ جسم لا كالأجسام(١) ، ومنهم من يقول بأنه صورة لا كالصور ، ومنهم من يقول بأنه صورة ولحم ودم ، وهذا مذهب يحكي عن مقاتل بن سليمان(٢) ، وداود الجواربي(٣) ، ويُحكى عن داود هذا أنه كان يروي أن اللّٰه ـ تعالى ـ رمدت عينه ، فعادته الملائكة ، ومنهم من يقول : إن البحر من بزاق اللّٰه ، وروت جماعة منهم كل سخافة تبعث على الإسلام الطاعنين ، وتُضحك منه الملحدين ، وتزهد في الدخول فيه المرتادين ، وتزيد شكوك المرتابين ، كحديث عَرَق الخيل(٤) ، وزغب الصدر ، ونور الذراعين(٥) ، وعيادة الملائكة ، وقفص الذهب(٦) ، على جمل أورق(٧) ، وكشف ساق يوم القيامة(٨) ، وأن على رب العالمين شعرا جعدا قططا(٩) ـ تعالى اللّٰه عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا ـ وأن له أذنا يسمع بها المسموعات ، ورجلًا يمشي عليها وعينا يرى بها المرئيات ، وقلبا يعلم به الأشياء كلها ، ونفسا منفوسة ، وأن لنفسه نفسا ، وأن لرجله وطأة(١٠) .

وأشباه لهذا كثيرة من سخافاتهم وحماقاتهم ، وما لا يجوز التلفظ بها لأحد إلا حاكيا عنهم ، معرفا قبح اعتقادهم وفاحش روايتهم .

فتَكلَّفْت بمبلغ علمي ومقدار طاقتي تفسيرَ ما رُوي من الأخبار ، وتأويلَ ما نُقل من الأحاديث التي ظاهرها بخلاف باطنها ، مثل ما روي وصح عن رسول اللّٰه ﷺ أنه قال : **«قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن»** (١١) . وكنحو ما روي : **«إن**

---

(١) هم الكرامية . انظر العرش وما ورد فيه للذهبي ، ص ١٣٩.
(٢) سيأتي التعريف به في قسم التحقيق .
(٣) سيأتي التعريف به في قسم التحقيق .
(٤) سيأتي تخرجه في قسم التحقيق .
(٥) سيأتي تخرجه في قسم التحقيق .
(٦) سيأتي تخرجه في قسم التحقيق .
(٧) سيأتي تخرجه في قسم التحقيق .
(٨) سيأتي تخرجه في قسم التحقيق .
(٩) سيأتي تخرجه في قسم التحقيق .
(١٠) سيأتي تخرجه في قسم التحقيق .
(١١) سيأتي تخرجه في قسم التحقيق .

الصدقة أول ما تقع في كف الرحمن، فيُرَبِّيهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوَّهُ (١) **أو فصيله»**(٢). وكنحو ما روي عنه أنه قال: **«إني أجد نفس ربكم من قبل اليمن»** (٣). وغير ذلك مما يكثر عدده، ويصح نقله، ولا يجهل معناه ـ وتفسيرَه(٤): كما يوافق المعقول من الأصول، والمعمول به من اللغات، ليعرف الناقل لذلك بعين الشفقة والبصيرة أن مَخْرَجَها بخلاف ما يذهب إليه هؤلاء الجهلة الرعاع والهمج الغثاء.

وكشفتُ عن معاني جميع ذلك، محتسبا للثواب، وكريم المآب، ورجوت ألا يطلع ذوو النهى مني على تمويه، ولا ميل لهوى، ولا ظلم لأحد، وعلى اللّه ـ سبحانه ـ أتوكل فيما أحاول، وبه أستعين إنه أقوى معين، وأهدى دليل.

وقدمتُ قبلَ ذلك طرفا يسيرا، ونُبذا قليلا من أدلة الموحدة في إثبات الصانع، وتوحيده، ونفي تشبيهه بخلقه، وتأويل ما وجِد في كتابه من أسمائه، مثل قوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾(٥). ومثل قوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(٦). وغير ذلك مما جاء في القرآن من أنه يَستهزئ بالكفار، ويَسخر منهم، ويمكر بهم، ويخدعهم ... إلى سائر ما جاء في هذا الباب من تفسير الجَنْب، بقوله سبحانه: ﴿مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾(٧). وبيان قول الموحدين بأن اللّه ـ سبحانه ـ واحد، ليكون الكتاب جامعا لما قصدنا به إليه، مستوعبا لذلك، وصلى اللّه على محمد عَوْدا وبَدْءا، وسلَّم كثيرا».

* منهج المؤلف في الكتاب:

نلكلم فيما يخص هذه القضية في موضوعين:

الأول: منهجه في تأويل المشكل.

---

(١) الفلو: هو المهر الصغير إذا عظم. والفصيل هو ولد الناقة إذا فصل عن أمه.

(٢) سيأتي تخرجه في قسم التحقيق.

(٣) سيأتي تخرجه في قسم التحقيق.

(٤) معمول: تكلفت في بداية الفقرة.

(٥) الحديد: ٣.

(٦) النور: ٣٥.

الثاني : منهجه في سرد مادته العلمية .

أما عن منهجه في تأويل مشكل الآيات ، انتهج المؤلف في تأويل الآيات المشكلة نهج أسلافه من الأشاعرة ، فلجأ في أحيان كثيرة إلى تأويل آيات كان من الممن ألا تؤوَّل ، ولكن عند المتكلمين أنه قد تؤدي إلى تجسيم القديم (اللّٰه كما يطلق الأشاعرة) وهذا قد يلحق النقص بالإله ، وبالتالي فتأويلها أفضل ، حتى لا يمجها العقل ، وسنورد كلاما في بيان منهج السلف ردا على هذا المنهج إن شاء اللّٰه .

أما منهجه في سرد المادة العلمية للكتاب ، فقد وضع المؤلف لنفسه منهجا دقيقا سار عليه خلال الكتاب وإن خالفه أحيانا ، وقد أشرنا إلى ذلك في حواشي التحقيق .

فمنهج يقوم على إيراد الآيات التي رآها مشكلة ، ثم يقوم بتفسيرها مدعما تفسيره بما ورد في كلام العرب من شعر ومأثور ، وأمثال ، والحق أنه اعتمد على الأدبيات بشكل كبير يكاد يكون فيه إفراط ، وقد تنوعت مادة العلمية بين القلة والكثيرة ، ففي حين يستغرق تأويله لآية أو خبر عددا من الأوراق ، نجد آيات أخرى أو أحاديث لا تأخذ بضع سطور .

* مصادر المؤلف في الكتاب :

كانت مصادر المؤلف في هذا الكتاب ثرة ومتنوعة ، فهو يعتمد على :

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ الآحاديث النبوية الشريفة .

٣ ـ كلام العرب ومأثورها من نظم وشعر وأمثال .

٤ ـ اعتمد على اللغة بشكل كبير .

٥ ـ كلام أساتذته الأشاعرة .

* قيمة الكتاب العلمية ، وأثره فيمن بعده :

تكمن أهم قيمة لهذا الكتاب إلى أن مؤلفه من تلامذة أبي الحسن الأشعري ، فهو ينقل علمه وإن لم ينص على ذلك إلا مرة واحدة في الكتاب ، لكن المنهج واحد .

كما أن الكتاب استعان به من ألف بعده في نفس الموضوع مثل ابن فورك في كتابه

« مشكل الحديث وبيانه » وغيره من المؤلفين .

* المآخذ على الكتاب :

يؤخذ على المؤلف اعتماده مناهج المتكلمين في الدفاع عن العقيدة ، وإن كان غرضه التنزيه ، لكن كان له في النقل مندوحة ، الأمر الذي أوقعه وأوقع من سبقه في تأويل ما لا يحتاج إلى تأويل ، وسيتضح ذلك أكثر عند عرضنا لمنهج السلف من أهل الحديث الذين اعتصموا بالكتاب نصا لا تأويلا ، إن شاء الله

❊ ❊ ❊

بين منهج السلف ومنهج المؤلف في الصفات الإلهية

موقف السلف من أبرز مناهج البحث والاستدلال لدى المتكلمين:

* دعوى أن نصوص الصفات غير معقولة.

ذهب بعض المتكلمين إلى أن النصوص التي تتناول صفات الباري ـ سبحانه ـ غير معقولة المعنى، وهذا جزء من المنهج الكلي حيال موقف العقل من صفات اللّٰه تعالى فالعقل عندهم محجوب عن معرفة ما يجب أن يمتنع ويجوز في حقه تعالى إجمالا وتفصيلا، وليس طريقا من طرق الاستدلال في هذا الصدد، وبذلك تطبق ظلمات التجهيل، حيث تفسد طرق المعرفة السمعية والعقلية عند هؤلاء، إذ هم «ينكرون العقليات في هذا الباب بالكلية؛ فلا يجعلون عند الرسول وأمته في باب معرفة اللّٰه ـ عز وجل ـ لا علوما عقلية ولا سمعية، وهم قد شاركوا الملاحدة في هذا من وجوه متعددة»[١].

وعندما أجاب الإمام مالك السائل في حادثة الاستواء الشهيرة بقوله: «الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول ..»[٢]. فإنه يقرر ما قرره القرآن من أن أداة العقل قاصرة عن معرفة الإله؛ لذلك لم يطلب القرآن الكريم منا أن نبحث في كنه الإله أو الكيفية، وإنما فقط طلب الإيمان بوجوده.

قال الدارمي عقِب روايته لهذا الأثر: «وصدق مالك، لا يُعقل منه كيف، ولا يُجهل منه الاستواء، والقرآن ينطق ببعض ذلك في غير آية»[٣].

فنحن حينما نقرأ حديث القرآن عن اللّٰه لا نجد فيه آية تحدثت عن ذاته، ولا عن حقيقته، ولا عن كنهه، وإنما ورد حديث القرآن كله إما بإثبات لصفات الكمال، أو بنفي لصفات النقص، والإثبات والنفي لا يكونان إلا لشيء موجود بالضرورة[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٥/ ٣٨.

(٢) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (٦٦).

(٣) الرد على الجهمية للدارمي، مرجع سابق (ص: ٥٦).

(٤) مقدمة كتاب الإشارة إلى مذهب أهل الحق للشيرازي، للدكتور محمد السيد الجليند، ص ٣٢.

مشكلة العقل في محاولته ـ أحيانا ـ أن يعرف حقيقة هذه الذات الموجودة ، فيضل ، ومن هنا ورد عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : « سبحان من لم يجعل لنا سبيلا إلى معرفته إلا العجز عن معرفته »(١) . ولذلك ورد في بعض الروايات أن الإمام مالكا قال للسائل : « سألت عن غير مجهول ، وتكلمت في غير معقول » . لأنه لم يرد به توقيف ، ولا سبيل إلى معرفته بغير توقيف(٢) .

وقد أكد ذلك الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ فقال : « إن العقل قد يئس من تعرّف كنه الصفة وكيفيتها ، فإنه لا يعلم كيف الله إلا الله ، وهذا معنى قول السلف : بلا كيف . أي : بلا كيف يعقله البشر ، فإن من لا تعلم حقيقة ذاته وماهيته ، كيف تعرف كيفية نعوته وصفاته؟ ولا يقدح ذلك في الإيمان بها ، ومعرفة معانيها ، فالكيفية وراء ذلك ، كما أنا نعرف معاني ما أخبر الله به من حقائق ما في اليوم الآخر ، ولا نعرف حقيقة كيفيته ، مع قرب ما بين المخلوق والمخلوق ، فعجزنا عن معرفة كيفية الخالق وصفاته أعظم وأعظم ، فكيف يطمع العقل المخلوق المحصور المحدود في معرفة كيفية من له الكمال كله ، والجمال كله ، والعلم كله ، والقدرة كلها ، والعظمة كلها ، والكبرياء كلها؟ »(٣) .

ولذلك أردف مالك الحكم الفقهي ، بأن السؤال عن ذلك بدعة ؛ لأنه سؤال عما لا سبيل إلا علمه ، ولا يجوز الكلام فيه ، ولم يسبق في ذلك في زمن رسول الله ﷺ ؛ وقد تلقى الناس هذا الكلام بالقبول ، فليس من أهل السنة من ينكره(٤) .

ومن هنا تواترت الأقوال عن السلف مالك مؤيدة هذا المعنى مبدّعة من يبحث فيه مخالفا نهج السلف من الصحابة والتابعين ؛ قال ابن الماجشون رحمه الله : سمعت مالكا رحمه الله يقول : من ابتدع في الإسلام بدعةً يراها حسنةً ، فقد زعم أنّ محمّدا ﷺ قد خان الرّسالة ، فإنّ الله يقول : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

(١) السابق ، ص ٣٢.

(٢) عقيدة الإمام مالك السلفية ، لمصطفى أبو سفيان ص ٢٣.

(٣) مدارج السالكين ، لابن القيم ٣/ ٣٣٥.

(٤) مجموع الفتاوى ، مرجع سابق ١٣/ ٣٠٩.

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾[١] ، وما لم يكُن يومئذٍ دينا ، فليس هو اليوم دينا[٢] .

قال الإمام الذهبي : « وهو قول أهل السنة قاطبة ، أن كيفية الاستواء لا نعقلها بل نجهلها ، وأن استواءه معلوم كما أخبر في كتابه ، وأنه كما يليق به ، لا نتعمق ولا نتحذلق ، ولا نخوض في لوازم ذلك نفيا وإثباتا ، بل نسكت ونقف كما وقف السلف »[٣] .

قال ابن تيمية : « وهذا الجواب من مالك ـ رحمه الله ـ في الاستواء شاف كاف في جميع الصفات ؛ مثل النزول والمجيء واليد والوجه وغيرها »[٤] .

جوهر الخلاف مع المتكلمين :

ليس الخلاف مع المتكلمين في حديثهم عن الذات ، وإنما في تأويلهم لآيات الصفات الإلهية بحجة أنها غير معلومة ، ومن هنا قرر الإمام مالك وغيره من أئمة السلف والسنة إثبات الصفات وإمرارها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل[٥] .

وتكمن المشكلة في أن المتكلمين قاسوا عالم الغيب على عالم الشهادة كما سنتناوله في المطلب التالي ، فرأوا أن ما يرد عن الرب في القرآن أو السنة غير معقول المعنى فاتجهوا للتأويل الذي رفضه الإمام مالك ، كما ستأتي الإشارة إليه .

إذن فقد رأى السلف أنه من الحكمة والعقل أن نتبع ما جاء به الوحي قرآنا وسنة نصًّا لا تأويلا ، وكان يقول : قُبِض رسول الله ﷺ وقد تمّ هذا الأمرُ واستكمل ، فينبغي أن تُتّبع آثار رسول الله ﷺ وأصحابه ، ولا يُتّبَع الرأي ؛ فإنّه من اتّبع الرّأيَ جاءه رجلٌ أقوى في الرأي منه فاتّبعَه ، واعملوا بما جاء عن جابرٍ رضي الله عنهما أنّ النبيّ ﷺ قال : **« ترَكت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا أبَدا ؛ كتاب الله وسنتي ، ولن يتفرقا حتى يرِدا علي الحوضَ »**[٦] .

---

(١) المائدة : ٣.

(٢) أخرجه الدارمي في سننه ١/ ٦٠.

(٣) العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها ، للذهبي ، ص ١٤١.

(٤) مجموع الفتاوى ، مرجع سابق ٤/ ٤.

(٥) عقيدة الإمام مالك السلفية ، مرجع سابق ، ص ١٤.

(٦) أخرجه عبد بن حميد (ص ٣٤١، رقم ١١٣٥) ومسلم (٢/ ٨٨٦، رقم ١٢١٨) وأبو داود (٢/ ١٨٢، رقم ١٩٠٥) ، وابن ماجه (٢/ ١٠٢٢، رقم ٣٠٧٤) .

فإذا كان الغرض من علم الكلام هو الدفاع عن الاعتقادات الإسلامية ودفع شبه الخصوم ودحض نهج البدع، فقد بيَّن علماء السنة أن مزاعم هؤلاء الخصوم غير صحيحة؛ لأن الأنبياء تأتي بمحارات العقول ـ أي: ما يحير العقول لا بمحالاتها ـ أي: بما تراه مستحيلا، ثم بين علماء السنة معقولية ما أنكروا، وذلك بالنظر والقياس، والنظر المقصود هنا المستند إلى دليل من كتاب أو سنة أو قياس جلي، لا التخمين، فهذا من ألطف فهم النصوص وأدقه لا الرأي المجرد بغير دليل، ويتضح من هذا أن ذم علماء الحديث والسنة اقتصر على علم الكلام المشحون بالفلسفة والتأويلات الشاذة وصرف الآيات القرآنية عن معانيها الظاهرة[1].

فما دام النص عنده مصدر حكمه واعتقاده، فإن الصفات التي وصف الله بها نفسه في كتابه، أو أخبرنا بها رسله هي له، وعلينا أن نعتقدها كما جاءت دون تأويل أو تكييف أو تمثيل مما أوقع غير السلف في ضلالات التعطيل أو التمثيل[2].

* رد السلف على الفرق استعمال قياس الغائب على الشاهد.

حينما تناول المتكلمون قضية الألوهية، لم يتقيدوا بألفاظ القرآن الكريم، وإنما تصوروا «الذات الإلهية» تصورا عقليا، ونظروا في الصنعة «الإنسان» ورأوا أن الإنسان موصوف ببعض الصفات، فألقوا هذه الصفات على الخالق من باب «قياس عالم الغيب على عالم الشهادة» وبدءوا يتأولون نصوص القرآن الكريم في ضوء هذا التصور «ماهية الذات الإلهية» فجاء التصور خاطئا؛ إذ إن الكنه والماهية من التصورات الخاطئة عن الذات الإلهية؛ لأن القاعدة التي آمن بها جميع السلف أنه: لا يعلم الله إلا الله[3].

فقد أخرج أبو نعيم عن جعفر بن عبد الله قال: «كنا عند مالك بن أنس فجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[4] كيف استوى؟ فما

---

(١) لوامع الأنوار، مرجع سابق ١/١٦٠ ـ ١٦١.

(٢) العقيدة الإسلامية عند الفقهاء الأربعة، للدكتور أبو اليزيد العجمي، ص ٢٣٣.

(٣) مدارج السالكين، مرجع سابق ٣/ ٣٣٥.

(٤) طه: ٥.

وجد[١] مالك من شيء ما وجد من مسألته ، فنظر إلى الأرض وجعل ينكت بعود في يده حتى علاه الرحضاء[٢] ، ثم رفع رأسه ورمى بالعود وقال : الكيف منه غير معقول ، والاستواء منه غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وأظنك صاحب بدعة . وأمر به فأخرج »[٣] .

فقد رأى السلف مالك أنه لا يُسْتفسر عن الله بكنه أو بحقيقة أو بماهية ، وهذا هو المنطلق الصحيح لأي حديث عن الله تعالى ؛ لأن العقل قاصر عن معرفة الله كما سبقت الإشارة إليه .

والقرآن الكريم يزكي هذه النظرة ، فإننا نجد ـ مثلا ـ أن فرعون لما قال لموسى : ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٤] . والسؤال في اللغة بـ « ما » يُسأل به عن الماهية « ما هو الشيء » والجواب على هذه الصيغة يكون بوضع تعريف جامع مانع ـ كما يقول المناطقة ـ أي : يتوافر فيه الجنس والفصل ؛ الجنس باعتبار ما ينتمي إليه الشيء ، والفصل الذي يُميز الشيء المعرف عن غير من الأشياء .

لكنّ موسى ـ عليه السلام ـ لما أجاب عن الماهية التي طلبها فرعون قال : ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾[٥] . فجاء بصفة الربوبية التي تشمل فرعون وموسى والسموات والأرض وما بينهما ، ولم يذكر لا الجنس ولا الفصل ؛ لأنه ليس لله جنس يندرج تحته ، ولا يشاركه أحد في صفة حتى تميزه عن غيره .

ولذلك تتكررت إجابات السلف عن صفات الله بقولهم : « أمروها كما جاءت » ؛ فقد أخرج الدارقطني عن الوليد بن مسلم قال : « سألت مالكا والثوري والأوزاعي والليث بن سعد عن الأخبار في الصفات فقالوا : أمروها كما جاءت »[٦] .

---

(١) أي : غضب . لسان العرب ، لابن منظور ، مادة (و ج د) .

(٢) أي : العرق . لسان العرب ، مرجع سابق ، مادة (ر ح ض)

(٣) حلية الأولياء ، لأبي نعيم ٦/ ٣٢٥، ٣٢٦، وأخرجه أيضا الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث ص١٧ـ ١٨، وابن عبد البر في التمهيد ٧/ ١٥١، والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٠٨.

(٤) الشعراء : ٢٣.

(٥) الشعراء : ٢٤.

(٦) أخرجه الدارقطني في الصفات ، ص ٧٥، والآجري في الشريعة ، ص ٣١٤، وابن عبد البر في التمهيد ٧/ ١٤٩.

فليس للّه كنه نتعرف به عليه ، وليس له حقيقة يقف العقل على مصداقيتها ؛ لأن العقل جزء من صنعة اللّه ، ومحال أن تدرك الصنعة كنه خالقها .

فالسلف ينأون عن النقاش في الاستواء ، وقوله بأن الكيفية مجهولة إنكار على المشبهة أو المجسمة الذين أثبتوا الاستواء إثباتا ماديا ، وإنكار أيضا على المعتزلة الذي نادوا بأنه لم يكن ثمة استواء ، فمالك يضع أساس العقيدة العملية ، ويعلن أنه لا يتكلم إلا فيما تحته عمل[1] .

والسلف كذلك يسير مع القرآن الكريم في إثبات ما أثبته اللّه لنفسه ، ونفي ما نفاه عن ذاته سبحانه وتعالى ، فقد أورد القاضي عياض[2] عن ابن نافع وأشهب قالا : وأحدهم يزيد على الآخر يا أبا عبد اللّه ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[3] . ينظرون إلى الله؟ قال : نعم بأعينهم هاتين . فقلت له : فإن قوما يقولون : لا ينظر إلى اللّه ؛ إن ﴿نَاظِرَةٌ﴾ بمعنى منتظرة إلى الثواب! قال : كذبوا ، بل ينظر إلى اللّه ، أمَا سمعت قول موسى عليه السلام : ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ . أفترى موسى سأل ربه محالا؟ فقال : ﴿لَن تَرَانِي﴾[4] . أي : في الدنيا ؛ لأنها دار فناء ، ولا ينظر ما يبقى بما يفنى ، فإذا صاروا إلى دار البقاء نظروا بما يبقى وقال اللّه : ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾[5] .

* * *

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، للدكتور علي سامي النشار ١/ ٢٤٤.

(٢) ترتيب المدارك ، للقاضي عياض ٢/ ٤٢.

(٣) القيامة : ٢٢، ٢٣.

(٤) الأعراف : ١٤٣.

(٥) المطففين : ١٥.

من قواعد المنهج عند السلف

ذلك المنهج الذي كان عماده القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة . فمن معالم هذا المنهج :

* النهي عن الجدل والخصومات في الدين .

السلف يرون ـ كما ورد في القرآن ـ أن اللّٰه أتم دينه وأكمله ، على نحو ما سبقت الإشارة ، وقد قال ـ رحمه اللّٰه ـ : « أفكلّما جاءنا رجلٌ أجدلُ من رجل تركنا ما نزل به جبريل على محمّد ﷺ لجدله؟ »[١]

فالسلف يرون أن الناتج من وراء الجدل اللجج إنما هو التشكك في الدين ، وعدم الاستقرار على فهم حقيقي للدين ، فمن أراد الحفاظ على عقيدته فليترك هذا اللجاج ، والجدل البغيض لا يثري العلم ، ولا يخدم قضية انتشاره حتى ولو كان علما شرعيا ؛ لأن الجدل يذهب نور العلم وشرف الحقيقة حيث الرغبة في الانتصار ويقسي القلب كذلك من جراء ضغينة يورثها تراشق التهم ونقض أدلة الخصم حتى ولو كانت صوابا[٢] .

ومن هنا ورد كلام السلف جليا في هذا الشأن ، فقد قال مصعب بن عبد اللّٰه : « كان مالك بن أنس يقول : الكلام في الدين أكرهه ، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه ، نحو الكلام في رأي جهم والقدر وكل ما أشبه ذلك ، ولا يحب الكلام إلا فيما تحته عمل ، فأما الكلام في دين اللّٰه وفي اللّٰه ـ عز وجل ـ فالسكوت أَحَبُّ إليَّ ؛ لأني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدين إلا فيما تحته عمل »[٣] .

لقد كان السلف ينأون عما لم يخض فيه صحابة رسول اللّٰه ﷺ فقد أخرج الهروي عن عبد الرحمن بن مهدي قال : « دخلت على مالك وعنده رجل يسأله فقال : لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد ، ولعن اللّٰه عمرو بن عبيد ؛ فإنه ابتدع هذه البدعة من الكلام ، ولو كان الكلام علما لتكلّم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/ ١٤٤.

(٢) العقيدة الإسلامية عند الفقهاء الأربعة ، مرجع سابق ، ص ٢٢٥.

(٣) جامع بيان العلم وفضله ، لابن عبد البر ، ص ٤١٥.

والشرائع »[١].

وقال ـ رحمه اللّه ـ: هذه البدع من الكلام، ولو كان الكلام علما لتكلم فيه الصحابة والتابعون، كما تكلموا في الأحداث والشرائع[٢].

ومن هنا كان حكم الإمام مالك على هذه الخصومات أنها من البدع المحدثة؛ فقد قال أشهب بن عبد العزيز: « سمعت مالكا يقول: إيّاكم والبدع. قيل: يا أبا عبد اللّه، وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء اللّه وصفاته وكلامه وعِلْمه وقدرته ولا يسكتون عمّا سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان »[٣].

كما قال عبد اللّه بن نافع: « سمعت مالكا يقول: لو أن رجلا ركب الكبائر كلها بعدَ ألا يشرك باللّه ثم تخلّى من هذه الأهواء والبدع ـ وذكر كلاما ـ دخل الجنة »[٤].

وأخرج الهروي عن إسحاق بن عيسى قال: « قال مالك: من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب غريب الحديث كذب »[٥].

وكان مالك ـ رحمه اللّه ـ إذا جاءه بعض أهل الأهواء قال: أما إني على بيّنة من ربي وديني، وأما أنت فشاكٌ، فاذهب إلى شاكٍّ فخاصمه[٦].

وروى ابن عبد البر عن ابن خويز منداد: قال مالك لا تجوز الإجارات من كتب الأهواء والبدع والتنجيم. وذكر كتبا ثم قال: وكتب أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا هي كتب أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم وتفسخ إجارة في ذلك[٧].

* الالتزام بأخبار القرآن والسنة من غيبيات دون تأويل.

تتجلى معالم المنهج السلفي في التمسك الشديد بما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة نصًّا لا تأويلا، حيث يمثل هذا المنهج امتدادا لما كان عليه صحابة رسول

---

(١) أخرجه الهروي في ذم الكلام ٥/ ٧٢.

(٢) ترتيب المدارك، مرجع سابق ٢/ ٣٩.

(٣) أخرجه الهروي في ذم الكلام، مرجع سابق ٥/ ٧٠.

(٤) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء، مرجع سابق ٦/ ٣٢٥.

(٥) أخرجه الهروي في ذم الكلام، مرجع سابق ٥/ ٧١.

(٦) حلية الأولياء، مرجع سابق ٦/ ٣٢٤.

(٧) جامع بيان العلم وفضله، مرجع سابق، ص ٤١٦.

اللّٰه ﷺ والتابعين من بعدهم ، أولئك الذين آمنوا بالغيبيات التي وردت في القرآن والسنة دون بحث في كيفية أو تأويل .

لقد أدرك السلف أن الجدل وحب الغلبة يجر الناس إلى تأويلات ربما لا تستند إلى دليل ، وهذا وبال على العلم وأهله ، قبل أن يكون وبالا على الناس ؛ لذا فقد كان من آثار هذه السلفية رفض التأويل الذي يقود إلى القول بغير علم »[١] . لذا تمسك بالمنقول من قرآن وسنة تمسكا شديدا بغير تأويل وعبَّر عن ذلك فورد : « إنما أهلك الناس تأويل ما لا يعلمون »[٢] .

يقرر هذه الحقيقة الأستاذ أحمد أمين حيث ذكر أن الصحابة والتابعين فهموا العقيدة كما وردت في القرآن والسنة من غير جدل حولها ، إذ إنهم رأوا الوقوف عند ما جاء في الدين من غير تأويل لأحد سببين :

الأول : إما لأن هذه البحوث مما لا يصلح أن يخاطب به العامة .

الثاني : أو لأن ما يتعلق باللّٰه وصفاته شيء وراء العقل لا يمكن أن يصل إليه الإنسان إلا بأن يقيس اللّٰه سبحانه على نفسه ، وذلك خطأ كبير ، فالأولى أن نقف على ما ورد به النص من غير سؤال بكيف أو أين[٣] .

فقد قيل لمالك : الرجل له علم بالسنة يجادل عنها؟ قال : لا ولكن يخبر بالسنة ، فإن قبل منه وإلا سكت[٤] .

ولذلك كان مالك يكره الرأي في مسائل الاعتقاد ، وليس المقصود بالرأي هنا الفهم والتدقيق والاستنباط من الأدلة ، بل الرأي المكروه عنده يعني فرض حلول لمشكلات دون سند من النصوص الدينية .

ولعل الرأي ارتبط بظهور الخوارج كما ورد في كتب اللغة : يقال : فلان من أهل الرأي . أي : يرى رأي الخوارج ويقول بمذهبهم[٥] . فقد انصرف مالك بن أنس يوما من

---

(١) العقيدة الإسلامية عند الأئمة الأربعة ، مرجع سابق ، ص ٢١٦.

(٢) ترتيب المدارك ، مرجع سابق ٢/ ٦٢.

(٣) ضحى الإسلام ، لأحمد أمين ١٤.

(٤) ترتيب المدارك ، مرجع سابق ٢/ ٣٩.

(٥) لسان العرب ، مرجع سابق ، مادة (ر أ ي) .

المسجد وهو متكئ على يدي معن بن عيسى ، فلحقه رجل يقال له : أبو الجويرة يتهم بالإرجاء ، فقال : يا أبا عبد الله ، اسمع مني شيئا أكلمك به وأحاجك به وأخبرك برأيي . فقال له : احذر أن أشهد عليك! قال : والله ما أريد إلا الحق ، اسمع فإن كان صوابا فقل : إنه ، أو فتكلم . قال : فإن غلبتني؟ قال : اتبعتني . قال : فإن غلبتك؟ قال : اتبعتك . قال : فإن جاء رجل فكلمنا فغلبنا؟ قال : اتبعناه . قال مالك : يا أبا عبد الله ، بعث الله محمد بدين واحد ، وأراك تتنقل[1] .

لذلك كان مالك أبعد الناس عن مذهب المتكلمين وأشد بغضا للعراقيين وألزمهم لسنة السالفين من الصحابة والتابعين[2] .

لكن الإمام مالكا إذا كان قد كره الرأي الذي يعني الجدال والخصومات في الدين إلا أنه مارس لونا آخر لا محيص عنه ، وهو المناظرة بالحجة والبرهان البين الذي يقوم على الأدلة حتى يتبين الحكم ، قال مصعب بن عبد الله : « كان مالك بن أنس يقول : الكلام في الدين كله أكره .. وكان أهل بلدنا يكرهونه ، وينهون عنه ، نحو الكلام في رأي جهم والقدر ، وكل ما أشبه ذلك ، ولا أحب الكلام إلا فيما تحته علم ، فأما الكلام في الدين ، وفي الله عز وجل ، فالسكوت أحب إلي ؛ لأني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدين ، إلا ما تحته علم »[3] .

فهذا النوع من الرأي يرفضه الإمام مالك ؛ لأنه يؤثر العلم المنقول فيقول : « ما قلّت الآثار في قوم إلا ظهر فيهم الأهواء »[4] .

فمالك لم يذم علم الكلام الذي هو الدفاع عن العقيدة الإسلامية ، أو بيانها بالحجج والأدلة ، وإنما ذمّ الجدل بغير علم الذي يعتمد على الظنون وتكثر فيه المناقضة ، أما إذا كان الكلام فيما يجوز وينبغي من الدفاع عن العقيدة وبيانها ، فإن مالكا من أعلم الناس بالرد والدفاع لا سيما إذا كان مثمرا ، فقد « كان من أعلم الناس بالرد على أهل الأهواء ، وبما اختلف فيه الناس ، وقال المهدي : أخبرني بعض نقاد المعتزلة من القرويين قال : أتيت

---

(١) ترتيب المدارك ، مرجع سابق ، ٣٨-٢/ ٣٩.

(٢) السابق ٢/ ٣٩.

(٣) جامع بيان العلم وفضله ، لابن عبد البر ، مرجع سابق ص ٤١٥.

(٤) أخرجه الهروي في ذم الكلام ، مرجع سابق ٥/ ٧٩.

مالك بن أنس فسألته عن مسألة من القدر بحضرة الناس ، فأومأ إلي أن اسكت ، فلما خلا المجلس قال لي : سل الآن . وكره أن يجيبني بحضرة الناس . قال : فزعم المعتزلي أنه لم تبق مسألة من مسائلهم إلا سأله عنها وأجابه فيها ، وأقام الحجة على إبطال مذهبهم حتى نفد ما عند المعتزلي »[١] .

بل إن للإمام مالك رسالة في القدر ، رد فيها عليهم وفند حججهم وأقام الحجة عليهم ، بل إن « الإشارات التي وصلتنا عن مالك تدل على معرفته بعقيدة هذه الفرقة ، كما تدل على احتكاكه ببعضهم ، ومعرفته بهم نظرا وعملا »[٢] .

ويوضح ذلك ما ورد عن الكرابيسي حيث قال : سمعت مالكا وسئل عن القدرية مَن هم؟ قال : من قال : ما خلق المعاصي . وقال القاسم بن الحكم : سألت مالكا عن القدرية مَن هم؟ فقال : سألت أبا سهيل كما سألتني فقال : الذين يقولون الاستطاعة إليهم ؛ إن شاءوا أطاعوا وإن شاءوا عصوا[٣] .

قال ابن عبد البر : « قد بين الإمام مالك ـ رحمه اللّٰه ـ أن الكلام فيما تحته علم هو المباح عنده وعند أهل بلده ـ يعني العلماء منهم ﷺ ـ وأخبر أن الكلام في الدين نحو القول في صفات اللّٰه وأسمائه ، وضرب مثلا فقال : نحو رأي جهم والقدر ، والذي قاله مالك عليه جماعة الفقهاء والعلماء قديما وحديثا ، من أهل الحديث والفتوى ، إنما خالف ذلك أهل البدع ، كالمعتزلة وسائر الفرق ، وأما الجماعة على ما قاله مالك إلا أن يضطر أحد إلى الكلام فلا يسعه السكوت إذا طمع برد الباطل وصرف صاحبه عن مذهبه ، أو خشي ضلالة عامة أو نحو ذلك »[٤] .

* في إبطال التشبيه وأحكامه .

التشبيه الذي يجري الحديث عنه في علم الكلام هو التسوية بين الخالق والمخلوق فى صفة يختص بها أحدهما ، ولهذا فللتشبيه طرفان ؛ **الأول** : تسوية الخالق بالمخلوق فيما

---

(١) ترتيب المدارك ، مرجع سابق ١/ ٨٢.

(٢) العقيدة الإسلامية عند الفقهاء الأربعة ، مرجع سابق ، ص٢٢٨

(٣) ترتيب المدارك ، مرجع سابق ١/ ٤٨.

(٤) جامع بيان العلم وفضله ، مرجع سابق ١٧٦٨.

هو من خصائص المخلوق. **الثاني**: تسوية المخلوق بالخالق فيما هو من خصائص الخالق[١].

وكانت البدايات الأولى لظهور التشبيه على يد أصناف من الروافض الغلاة، ومنهم السبئية أتباع عبد اللّٰه بن سبأ اليهودي، الذين وصفوا علي بن أبي طالب بالألوهية، ومنهم البيانية أتباع بيان بن سمعان، الذي زعم أن معبوده إنسان من نُور على صورة إنسان في أعضائه، ومنهم المغيرية أتباع المغيرة بن سعيد العجلي، الذي زعم أن معبوده ذو أعضاء على هيئة حروف الهجاء، ومنهم المنصورية أتباع أبي منصور العجلي، الذي شبه نفسه بربه ... إلخ[٢].

وأكثر أقوال التشبيه وأصلها مقتبس من اليهود الذين قالوا: اشتكت عيناه فعادته الملائكة، وبكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه[٣].

وهؤلاء المشبهة قد وقفوا مع الظواهر فحملوها على مقتضى الحس، فقالوا: إن اللّٰه تعالى جسم، كالذي ذهب إليه هشام بن الحكم (ت ١٩٠هـ) حتى قال: إن اللّٰه سبعة أشبار بشبر نفسه تعالى اللّٰه عن ذلك علوًّا كبيرًا[٤].

وأهل الحديث والسنة من أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم متفقون على تنزيه اللّٰه تعالى عن مماثلة الخلق، وعلى ذم المشبهة الذين يشبهون صفات اللّٰه تعالى بصفات خلقه، كما أنهم متفقون على أنه ليس كمثله شيء؛ لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله. وطريقتهم في ذلك أنهم يصفون اللّٰه بما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان نبيه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل[٥].

وقال عبد اللّٰه بن وهب: سمعت مالك بن أنس يقول: من وصف شيئًا من ذات اللّٰه مثل قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[٦]. وأشار بيده إلى عنقه، ومثل قوله: ﴿وَهُوَ

---

(١) القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف، للدكتور إبراهيم البريكان، ص ٤١.

(٢) الفرق بين الفرق، للبغدادي، ص ٢١٤، واعتقادات فرق المسلمين، للرازي، ص ٦٣.

(٣) الملل والنحل، للشهرستاني ١/ ١٧٦.

(٤) مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن لأشعري ١/ ٣٣، وتلبيس إبليس، لابن الجوزي، ص ٨٦، ٨٧.

(٥) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية ٢/ ٥٢٢.

(٦) المائدة: ٦٤.

ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[١] . فأشار إلى عينيه أو أذنه أو شيء من بدنه ، قُطع ذلك منه ؛ لأنه شبه الله بنفسه ، ثم قال مالك : أما سمعت قول البراء حين حدث أن النبي ﷺ قال : « **لا يضحى بأربع من الضحايا** » وأشار البراء بيده كما أشار النبي ﷺ بيده ، قال البراء : ويدي أقصر من يد رسول الله ﷺ[٢] .

ولذلك قال ابن عبد البر معلقا على مَن يُحدِّث بأحاديث الساق ، وخلق آدم على صورته ، وغيرها : وإنما كره ذلك مالك خشية الخوض في التشبيه بكيف هاهنا[٣] .

وقال أيضا : إنما كره مالك أن يتحدث بتلك الأحاديث ؛ لأن فيها حدا وصفة وتشبيها والنجاة في هذا الانتهاء إلى ما قال الله عز وجل ووصف به نفسه بوجه ويدين وبسط واستواء وكلام[٤] .

* صفة الاستواء « نموذج تطبيقي » لدى الإمام مالك .

إذا كنا قد قدمنا قبسا من القواعد التنظيرية عن المنهج لدى السلف في دراستهم للمسائل العقدية فنود هنا أن نؤكد ذلك التنظير بنموذج تطبيقي لا سيما كلام الإمام مالك المشهور في حديث الاستواء .

فقد روي أن مالك بن أنس أتاه رجل فقال : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[٥] . كيف استوى؟ قال : فأطرق وجعل يعرق وجعلنا ننتظر ما يأمر به فرفع رأسه فقال : « الاستواء منه غير مجهول والكيف منه غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة . . .»[٦] .

هذا الأثر ثابت عن الإمام مالك ، وقد روي عنه من طرق متعددة ، وتلقاه أهل العلم بالقبول ونال استحسانهم وثناءهم عليه وهو موافق لعقيدة أهل السنة والجماعة ، قال

---

(١) الشورى : ١١.

(٢) التمهيد ، لابن عبد البر ، مرجع سابق ٧/ ١٤٥.

(٣) السابق ٧/ ١٥٠.

(٤) السابق ٧/ ١٥١.

(٥) طه : ٥.

(٦) تقدم تخريجه .

شيخ الإسلام ابن تيمية : « وقول مالك من أنبل جواب وقع في هذه المسألة وأشده استيعابا؟ لأن فيه نبذ التكييف وإثبات الاستواء المعقول ، وقد ائتم أهل العلم بقوله واستجودوه واستحسنوه »[١] .

ومراد الإمام مالك بقوله : الاستواء منه غير مجهول : أن معنى الاستواء معلوم في اللغة وهو العلو ، وبهذا فسر أهل العلم من الأئمة المالكية وغيرهم مراد الإمام مالك ، والأئمة المالكية أدرى الناس بمراد مالك وأعرف بأقواله من غيرهم ، ومن هؤلاء أبو بكر بن العربي حيث قال : « ومذهب مالك ـ رحمه الله ـ أن كل حديث منها معلوم المعنى ولذلك قال للذي سأله : الاستواء معلوم والكيفية مجهولة »[٢] .

وقال القرطبي : « قال مالك رحمه الله : الاستواء معلوم ـ يعني في اللغة ـ والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة » . ثم قال القرطبي : « والاستواء في كلام العرب هو العلو والاستقرار »[٣] .

قال الذهبي : « هذا ثابت عن مالك وتقدم نحوه عن ربيعة ، شيخ مالك وهو قول أهل السنة قاطبة ، أن كيفية الاستواء لا نعقلها بل نجهلها وأن استواءه معلوم كما أخبر في كتابه وأنه كما يليق به »[٤] .

ومراده بقوله : والكيف منه غير معقول . أي : كيفية الاستواء لا نستطيع أن نصفها بعقولنا ، وصفات الله ـ عز وجل ـ عند أهل السنة لها كيفية لكنهم يجهلون هذه الكيفية ، وأقوال أهل العلم في بيان أن الصفات لها كيفية وأنها مجهولة عندهم كثيرة ؛ قال ابن خزيمة : « نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية ؛ لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا وأعلمنا أنه ينزل ، والله ـ جل وعلا ـ لم يترك ولا نبيه عليه السلام بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم ، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية إذ النبي ﷺ لم يصف لنا

(١) مجموع الفتاوى ، مرجع سابق ٥/ ٥٢٠.

(٢) عارضة الأحوذي ، لابن العربي ٣/ ١٦٦.

(٣) تفسير القرطبي ٧/ ١٤٠، ١٤١.

(٤) العلو للعلي الغفار ، مرجع سابق ، ص ١٠٤.

كيفية النزول »[١] .

وقال أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي في قصيدته :

وأن استواء الرب يعقل كونه ويجهل فيه الكيف جهل الشهارب[٢]

وقال القرطبي : « ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة ، وخص العرش بذلك ؛ لأنه أعظم مخلوقاته وإنما جهلوا كيفية الاستواء ، فإنه لا تعلم حقيقته »[٣] .

فهذه أقوال صريحة وألفاظ بينة في أنهم يثبتون للصفات كيفية ، وهذه الكيفية مجهولة عندهم ، وما يروى عن بعض أهل السنة من قولهم : بلا كيف ، أو الكيف مرفوع ، فمرادهم نفي تكييف البشر لصفات اللّٰه تعالى ووصفهم لكيفية صفاته جل وعلا ، وليس مرادهم نفي أن تكون لصفات اللّٰه كيفية .

ومراده بقوله : والإيمان به واجب . « أي أن الإيمان بالاستواء على هذا الوجه واجب ؛ لأنَ اللّٰه تعالى أخبر به عن نفسه وهو أعلم بنفسه وأصدق قولا وأحسن حديثا فاجتمع في خبره كمال العلم وكمال الصدق وكمال الإرادة وكمال الفصاحة والبيان فوجب قبوله والإيمان به »[٤] .

ومراده بقوله : والسؤال عنه بدعة . أن السؤال عن الكيف بدعة . وكون السؤال عن الكيفية بدعة ؛ لأن السؤال عنها لم يعرف في عهد النبي ﷺ ولا خلفائه الراشدين وهو من الأمور الدينية فكان إيراده بدعة ، ولأن السؤال عن مثل ذلك من سمات أهل البدع ، ثم إن السؤال عنه مما لا تمكن الإجابة عليه فهو من التنطع في الدين ، وقد قال النبي ﷺ : « **هلك المتنطعون** »[٥] .

فبهذا يتضح أن مراد مالك أن الاستواء معلوم معناه في اللغة وكيفيته مجهولة ، والإيمان به واجب ، والسؤال عن كيفيته بدعة .

---

(١) التوحيد ، لابن خزيمة ١/ ٢٨٩، ٢٩٠.

(٢) العلو للعلي الغفار ، مرجع سابق ، ص ٢٦٣.

(٣) تفسير القرطبي ٧/ ١٤٠، ١٤١.

(٤) تقريب التدمرية ، لابن عثيمين ٤٢.

(٥) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٥٥، رقم ٢٦٧٠) ، وأبو داود (٤/ ٢٠١، رقم ٤٦٠٨) .

يتضح من خلال هذا الإيجاز أن الإمام مالكا ـ رحمه اللّٰه ـ يأخذ بمنهاج السلف في بحث قضايا العقيدة ، بل أصبحت أقواله عنوانا على السلف بعده ، ويتجلى من خلال أقواله ملامح منهجه العام الذي يتلخص في الآتي :

* الالتزام بما أخبر به القرآن الكريم والسنة النبوية في مسائل الغيبيات .
* كراهيته للرأي في مسائل العقيدة .
* كراهيته للجدال والخصومات في الدين .
* ذمه أهل الأهواء والبدع .

* * *

وصف النسخة المعتمدة في التحقيق

اعتمد في تحقيق هذا المخطوط على نسخة خطية محفوظة في دار الكتب المصرية برقم (٤٩١/ مجاميع) وعدد صفحاته ٥٦ لوحة وجه وظهر، ويحتوي الصفحة على ١٨ سطرا تقريبا .

وقد كتب سند المخطوط صدر الكتاب .

منهج التحقيق :

وقد سار العمل في تحقيق هذا المخطوط على النحو التالي :

١ ـ نسخ المخطوط مع الالتزام بالإملاء والترقيم الحديث .

٢ ـ مقابلة النسخة التي جعلتها أصلا بما تم نسخة .

٣ ـ ضبط النص وسد ما فيه من خلل .

٤ ـ تشكيل ما أشكل من الأحاديث النبوية .

٥ ـ تشكيل الكلمات الغريبة في النص .

٦ ـ ترقيم الآيات القرآنية المستشهد بها في تفسير الآية مع تخريجها .

٨ ـ تخريج الأحاديث النبوية .

٩ ـ تخريج الآثار وعزوها إلى مظانها مع بيان الراجح منها .

١٥ ـ توثيق الأقوال والنقول الواردة في الكتاب .

١١ ـ توضيح الغريب بالرجوع إلى كتب اللغة وغريب الحديث وغريب القرآن .

١٢ ـ تراجم الأعلام الوادة في الكتاب مع توثيق الترجمة بمصدرين أو أكثر .

١٣ ـ التعريف بالأماكن والقبائل والبلدان .

١٤ ـ شرح المصطلحات الفقهية والأصولية الواردة في الكتاب، مع بيان الاصطلاحات المشهورة في كل فن .

١٥ ـ الرجوع إلى كتب المشكل والمتشابه وتوثيق ما يحتاج إلى توثيق .

١٦ ـ الرجوع إلى كتب معاني القرآن .

١٧ ـ التعليق على بعض المسائل العقائدية وبيان مذهب السلف الصالح .

١٨ ـ تتبع الدخيل الموجود في تفسير المؤلف ، مع بيان وجه ضعفه .

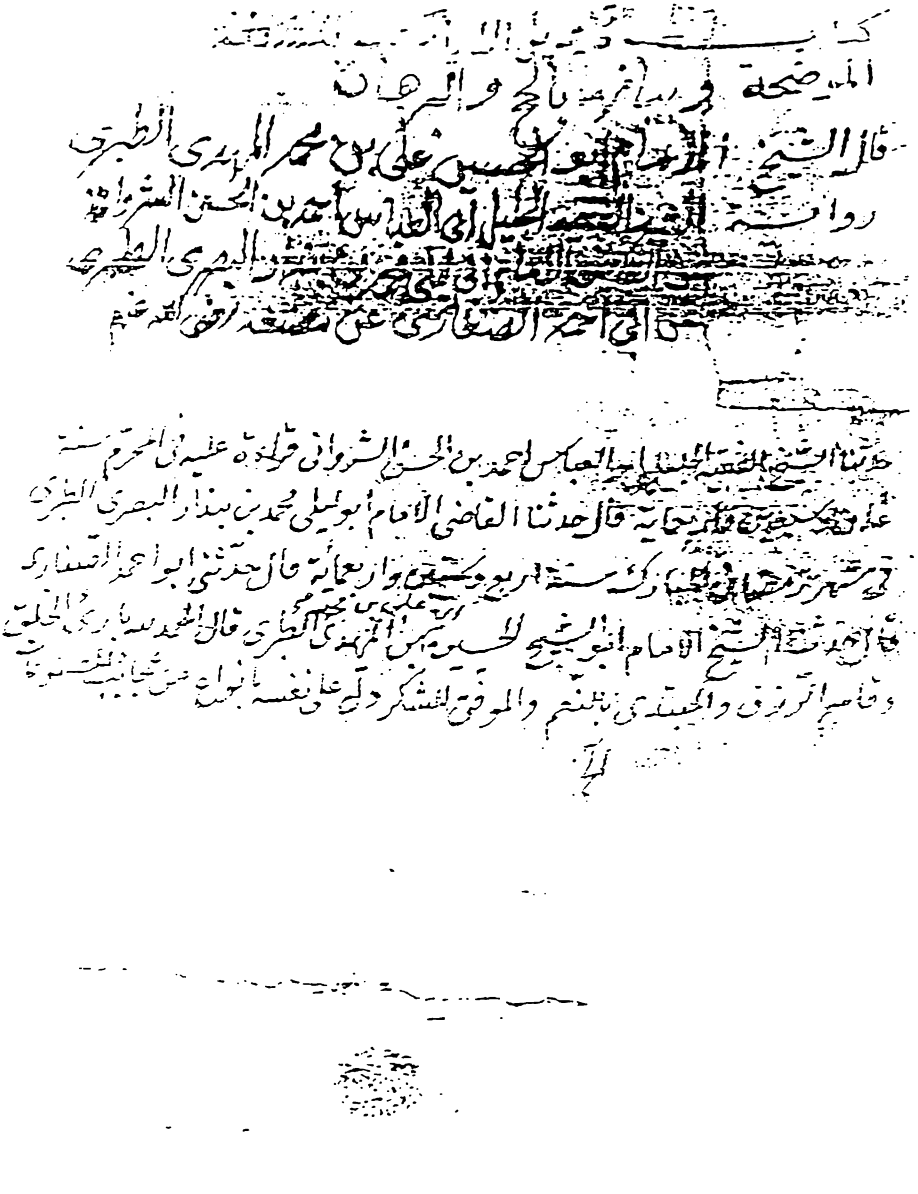
وبهذا نكون قد وضعنا القارئ على بينة من المنهج المتبع في تحقيق الكتاب .

وأخيرا ، نرجو أن يكون عملنا هذا خالصا لوجهه تعالى ، ولله الكمال وحده ، وهو ولي التوفيق .

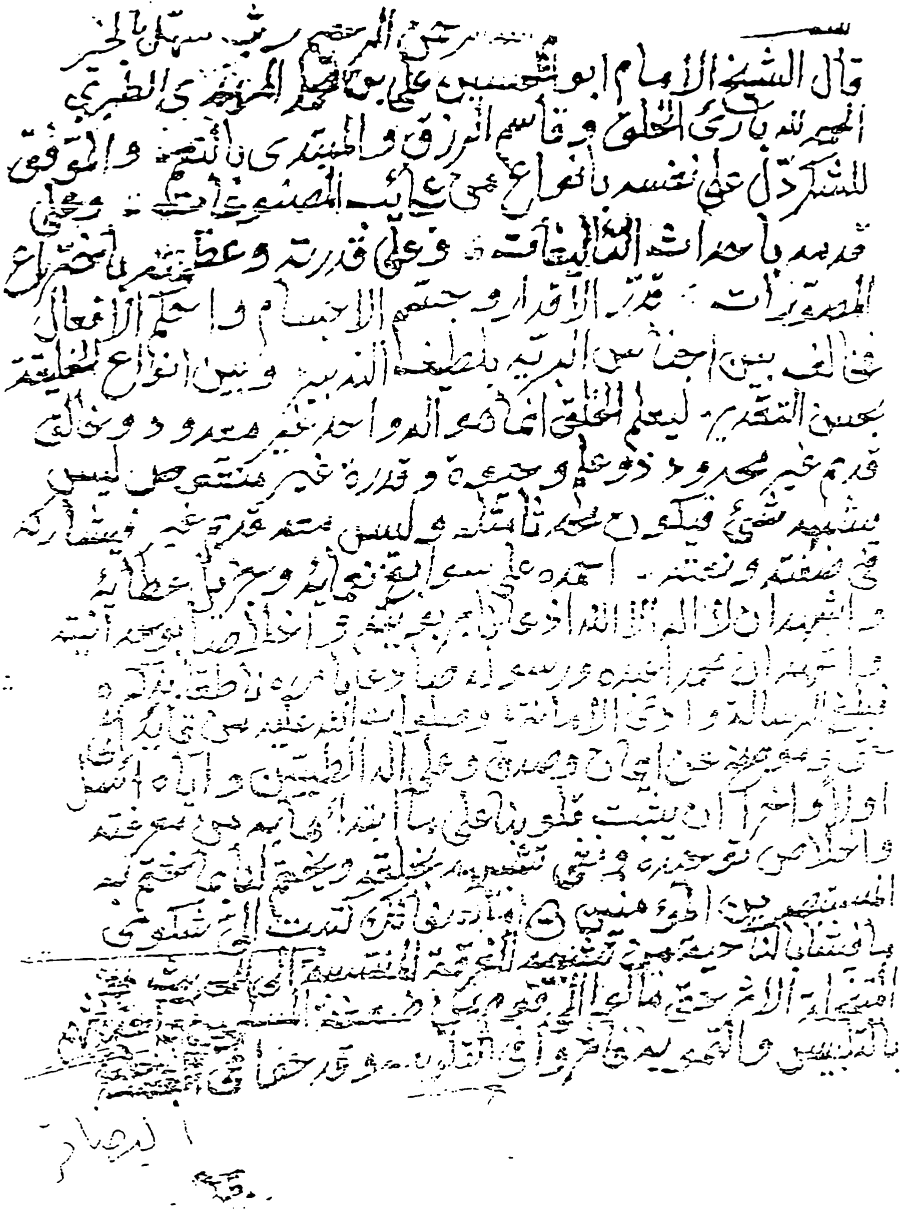
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

نماذج المخطوط


قال الشيخ الإمام أبو الحسن علي بن محمد المهدي الطبري
رواية الشيخ [illegible] أبي العباس أحمد بن الحسن الشيرواني
[illegible] أبي أحمد الصفاري عن مصنفه رضي الله عنهم
حدثنا الشيخ الفقيه الجليل أبو العباس أحمد بن الحسن الشيرواني قراءة عليه في المحرم سنة
[illegible] قال حدثنا القاضي الإمام أبو يعلى محمد بن بندار البصري الطبري
[illegible] سنة أربع وخمسين وأربعمائة قال حدثني أبو أحمد الصفاري
[illegible] الشيخ الإمام أبو الحسن علي بن محمد المهدي الطبري قال الحمد لله بارئ الخلق
وقاسم الرزق والمبتدئ بالنعم والموفق للشكر [illegible]

لوحة الغلاف



بسم الله الرحمن الرحيم رب سهل بالخير

قال الشيخ الإمام أبو الحسين علي بن محمد المهدي الطبري

الحمد لله باري الخلق وقاسم الرزق والمبتدي بالنعم والموفق

للشكر دل على نفسه بأنواع من عجائب المصنوعات وعلى

قدمه بإحداث الذوات المتباينات وعلى قدرته وعظمته باختراع

المصنوعات مقدر الأقدار وجنس الأجناس وأحكم الأفعال

فخالف بين أجناس البرية بلطف التدبير وبين أنواع الخليقة

بحسن التقدير ليعلم الخلق أنه هو الواحد غير معدود وخالق

قدرة غير محدود ذو علم وحكمة وقدرة غير منتقص ليس

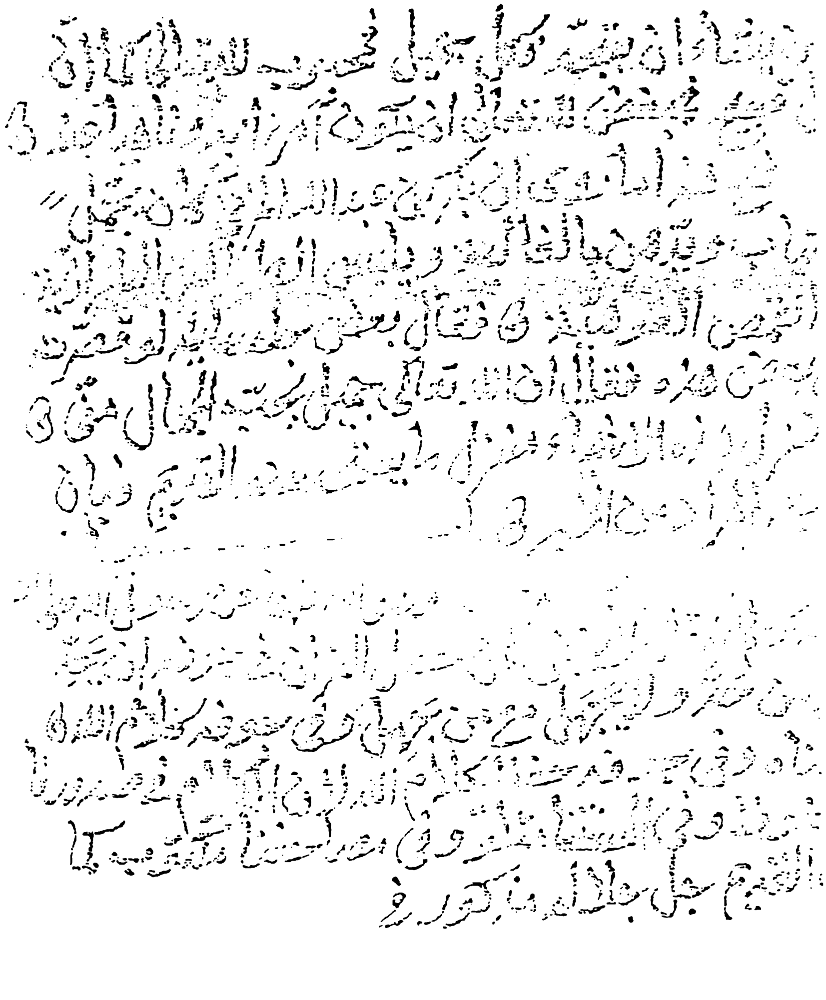
بشبيه شيء فيكون معه ثالث وليس منفرد غيره فيشاركه

في صفته ونعته أحمده على سوابغ نعمائه وجزيل عطائه

وأشهد أن لا إله إلا الله [illegible]

[illegible]

اللوحة الأولى



اللوحة الأخيرة

النـص المحـقق

[سند المخطوط]

قال الشيخ الإمام أبو [الحسين][1] علي بن محمد المهدي الطبري ـ رواية الشيخ الفقيه الجليل أبي العباس أحمد بن الحسن الشَّرْوَانِيِّ ، عن القاضي الإمام أبي ليلى محمد بن بُندار البصري الطبري ، عن أبي أحمد الصَّفَّارِيِّ ، عن مصنفه ، ﷺ :

حدثنا الشيخ الفقيه الجليل أبو العباس أحمد بن الحسن الشرواني ـ قراءة عليه ـ في المحرم سنة ثمانٍ وسبعين وأربعمائة ، قال : حدثنا القاضي الإمام أبو ليلى محمد بن بُندار البصري الطبري في شهر رمضان المبارك سنة أربع وستين وأربعمائة ، قال : حدثني أبو أحمد الصفاري ، قال : حدثنا الشيخ الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن المهدي الطبري ، قال :

الحمد للّه بارئ الخلق ؛ وقاسم الرزق ، والمبتدئ بالنعم ، والموفق للشكر ، دل على نفسه بأنواع من عجائب المصنوعات ... إلخ .

❋ ❋ ❋

---

(١) في المخطوط : «الحسين» والمثبت من مصادر ترجمته .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رب سهل بالخير

قال الشيخ الإمام أبو [الحسين][(١)] علي بن محمد المهدي الطبري:

الحمد لله بارئ الخلق، وقاسم الرزق، والمبتدئ بالنعم، والموفق للشكر، دلَّ على نفسِه بأنواع من عجائب المصنوعات، وعلى قدمه بإحداث التأليفات، وعلى قدرته وعظمته باختراع المصورات، قدَّر الأقدار، وجسّم الأجسام[(٢)]، وأحكم الأفعال، فخالف بين أجناس البرية بلطيف التدبير، وبين أنواع الخليقة بحسن التقدير، ليعلم الخلق أنما هو إله واحد غير معدود، وخالق قديم غير محدود، ذو علم وحياة وقدرة غير منقوص، ليس يشبهه شيء، فيكون محدَثا مثله، وليس معه قديم غيره، فيشاركه في صفته ونعته، أحمده على سوابغ نعمائه، وجزيل عطائه، وأشهد أن لا إله إلا الله، إذعانا بربوبيته، وإخلاصا بوحدانيته، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صادعا بأمره، ناطقا بذكره، فبلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، وصلوات الله عليه من قائد إلى حق، وموضح عن إيمان وصدق، وعلى اله الطيبين، وإياه أسأل أولا وآخرا: أن يثبت قلوبنا على ما ابتدأها به من معرفته، وإخلاص توحيده ونفي تشبيهه بخلقه، ويختم لنا بما ختم به للمستبصرين المؤمنين.

---

(١) في المخطوط: «الحسين» والمثبت من مصادر ترجمته.

(٢) الجسم عند الأشاعرة هو المتحيز القابل للقسمة من جهة واحدة أو أكثر، وأقل ما يتركب منه الجسم جوهران فردان، أي مجموعهما لا كل واحد منهما، وقيل: الجسم هو كل واحد من الجوهرين؛ لأن الجسم هو الذي قام به التأليف اتفاقا، والتأليف عرض لا يقوم بجزأين لامتناع قيام العرض الواحد الشخصي بالكثير، فوجب أن يقوم بكل من الجوهرين المؤلفين على حدة فهما جسمان لا جسم، والجسم عند المعتزلة هو الطويل العريض العميق، واعترض عليه بأن الجسم ليس جسما بما فيه من الأبعاد بالفعل، واختلفت المعتزلة في أقل ما يتركب منه الجسم من الجواهر المفردة، وقالت الصالحية من المعتزلة الجسم: هو القائم بنفسه، وقال بعض الكرامية: الجسم هو الموجود، وقال هشام بن الحكم: هو الشيء، وذهب النجار والنظام إلى أن الجسم مجموع أعراض مجتمعة وأن الجواهر مطلقا أعراض مجتمعة. انظر التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون ١/٣٦٨ ـ ٣٧١.

أما بعد :

فإنك كتبتَ إليَّ شكوى ما فشا بالناحية من تشبيه الفرقة المنتسبة إلى الحديث[١]، المنتحلة الأثر، حتى مالوا إلى قوم من ضعفة المسلمين وأحداثهم[٢] بالتلبيس والتمويه، فأثّروا في القلوب وقدحوا في البصائر بما يروونها من الأخبار التي تقصر معرفتهم عن استخراج تأويلها، وتعزُف أفهامهم عن معاني استنباطها؛ لقلة عنايتهم بمعرفة مصادر الكلام وموارده، وظاهره وباطنه، ومجازه وحقيقته واستعارته، وما يجوز إطلاقه في القديم وما لا يجوز إطلاقه، لتسارعهم إلى ادعاء العلم من غير جمع الآلة، وتبادرهم إلى التحلي بالرياسة من غير سياسة العلم وخدمة الحديث، بل المتحققون به قد قنع الواحد منهم من العلم برسمه، ومن الحديث بجمعه واسمه، فأبعد غاية هذه الطائفة أن يكتبوا أجزاء من الحديث، وأجلادا من القصص، ثم يقبلوا على تفسيرها بغير ما أذن اللّٰه بها، من غير معرفة بما فيها وبمآلها منها، ويشرعوا في تشبيه اللّٰه ـ سبحانه وتعالى ـ اغترارا منهم بألفاظ يجدونها في الحديث، ولا يحضرهم صرفها وتمييزها، وما يجب الفعل بها، ثم يتقربوا إلى الرعاع والهمج من أهل الحديث بذلك، وأن من عدل عن هذا المنهج والسير فقد خالف المشايخ والقدماء، والأسلاف من العلماء، افتراء على اللّٰه سبحانه بما يفسرون، وكذبا على رسوله بما ينسبون إليه من تشبيهه بخلقه، إذ كان مراده منها خلاف ما ظهر لهم من ذلك، وضد ما ذهبوا إليه، وبهتانا على المشايخ القدماء، والأسلاف من العلماء، وكانوا أجهل الناس بما يروون، وأبخسهم خطابا؛ يذكرون، وما مثلهم في ذلك إلا كما قال القائل[٣] :

---

(١) أصحاب الحديث هم المتمسكون بالكتاب وآثار النبي ﷺ نصا لا تأويلا، وقد سموا أصحاب الحديث لأن عنايتهم متجهة إلى تحصيل الأحاديث ونقل الأخبار النبوية وبناء الأحكام على النصوص ولا يرجعون إلى القياس الجلي والخفي ما وجدوا خبرا أو أثرا، فمن اقتصر على هذه الآثار كان من المتبعين وكان أولى الناس بهذا الاسم وأحقهم بهذا الوسم «أصحاب الحديث» كما يقول اللالكائي فهؤلاء يعرفون ربهم تبارك وتعالى بصفاته التي نطق بها كتابه وتنزيله وشهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت به الأخبار الصحاح ونقله العدول الثقات؛ فلا يعتقدون تشبيها لصفاته بصفات خلقه، ولا يكيفونها تكييف المشبه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه (نسأل اللّٰه أن يجعلنا منهم بمنه وكرمه).

اللالكائي : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ٤١، ٤٢، ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٤/ ٥.

(٢) الأحداث : الصغار . الوسيط ، مادة (ح د ث) .

(٣) هو مروان بن أبي حفصة ، أنظر البيت في الكامل للمبرد ٣/ ٩٨، والعقد الفريد ٢/ ٣١٢، والمصون ،=

زَوَامِلُ[١] للأَشْعارِ لاَ عِلْمَ عِنْدَهُمْ بِجَيِّدَها إلاَّ كعِلْمِ الأَبَاعِرِ
لَعَمْرُكَ مَا يَدْرِي الْمَطِيُّ إذا غَدَا بِأَثْقَالِهِ أَو رَاحَ مَا فِي الْغَرائِرِ

وقد رأيتك تشكو في ناحيتك ما هو فاشٍ في كل ناحية من هذا القطر، وظاهر بكل بلد منه، وقد قال رسول اللّٰه ﷺ: «**الإسلام بدأ غريبا، وسيعود غريبا، فطوبى للغرباء**»[٢]. جعلنا اللّٰه وإياك منهم، ولا سَلَبَنا ما أودعنا من الإيمان والتصديق لرسوله، ونفي التشبيه عنه، وإثبات التوحيد له، فإن نواصينا في ملكه، وقلوبنا في سلطانه يقلبها كيف يشاء؛

قال اللّٰه ـ عز وجل مِن قائل ـ حاكيا عن خليله إبراهيم: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾[٣]. وحكى عن الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[٤].

وقال رسول اللّٰه ﷺ في دعائه: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وطاعتك**»[٥]. وكان أزكى أولياء اللّٰه من خلقه على قلوبهم خائفين، ومن زيغها غير آمنين، فكيف يأمن المستحقون من المذنبين؟!

واعلم ـ علَّمك اللّٰه الخير برحمته ـ أن الفرقة المشبهة[٦] لم تزل مباينة لأهل الحديث

=ص ١١، والحماسة البصرية ٢/ ٢٩٩، ولسان العرب وتاج العروس، مادة (ز م ل).

(١) في التاج (ز م ل): والزاملة: التي يحمل عليها طعام الرجل، ومتاعه في سفره، من الإبل، وغيرها، فاعلة من الزمل: الحمل، والجمع زوامل، ولقد أبدع مروان بن أبي حفصة، إذ هجا قوما من رواة الشعر، فقال .. ثم أنشد البيتين.

(٢) أخرجه مسلم (١/ ١٣٠، رقم ١٤٥)، وابن ماجه (٢/ ١٣١٩، رقم ٣٩٨٦)، وأبو يعلى (١١/ ٥٢، رقم ٦١٩٠) من حديث أبي هريرة. وأخرجه الطبراني (٦/ ٢٥٦، رقم ٦١٤٧) من حديث سلمان. قال الهيثمي (٢٧٩/٧): فيه عبيس بن ميمون وهو متروك.

(٣) إبراهيم: ٣٥.

(٤) آل عمران: ٨.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٢٥، رقم ٢٩١٩٧).

(٦) المشبهة: مَن يسوون بين الخالق والمخلوق فيما يختص بأحدهما، فيصفون اللّٰه بصفات المخلوقين على المعنى الذي يوصف به المخلوق، وقد ظهر التشبيه على يد أصناف من الروافض الغلاة. والتشبيه الذي يجري الحديث عنه في علم الكلام هو التسوية بين الخالق والمخلوق في صفة يختص بها أحدهما، ولهذا فللتشبيه طرفان؛ الأول: تسوية الخالق بالمخلوق فيما هو من خصائص المخلوق. والثاني: تسوية المخلوق بالخالق فيما هو من خصائص الخالق. وقد كانت البدايات الأولى لظهور التشبيه على يد أصناف من الروافض الغلاة، ومنهم=

ومفارقة لهم ، إذ كانت مقالتهم خلاف مقالتهم ، ومذاهبهم غير مذاهبهم ، لأن من المشبهة من يقول بأن اللّٰه ـ سبحانه ـ جسم لا كالأجسام[١] ، ومنهم من يقول بأنه صورة لا كالصور[٢] ، ومنهم من يقول بأنه صورة ولحم ودم ، وهذا مذهب يحكي عن مقاتل ابن سليمان[٣] ،

=السبئية أتباع عبد اللّٰه بن سبأ اليهودي ، الذين وصفوا علي بن أبي طالب بالألوهية ، ومنهم البيانية أتباع بيان بن سمعان ، الذي زعم أن معبوده إنسان من نُور على صورة إنسان في أعضائه ، ومنهم المغيرية أتباع المغيرة بن سعيد العجلي ، الذي زعم أن معبوده ذو أعضاء على هيئة حروف الهجاء ، ومنهم المنصورية أتباع أبي منصور العجلي ، الذي شبه نفسه بربه . .. إلخ وأكثر أقوال التشبيه وأصلها مقتبس من اليهود الذين قالوا : اشتكت عيناه فعادته الملائكة ، وبكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه . وهؤلاء المشبهة قد وقفوا مع الظواهر فحملوها على مقتضى الحس ، فقالوا : إن اللّٰه تعالى جسم ، كالذي ذهب إليه هشام بن الحكم (ت ١٩٠هـ) حتى قال : إن اللّٰه سبعة أشبار بشبر نفسه تعالى اللّٰه عن ذلك علوًا كبيرًا ، وأهل الحديث والسنة من أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم متفقون على تنزيه اللّٰه تعالى عن مماثلة الخلق ، وعلى ذم المشبهة الذين يشبهون صفات اللّٰه تعالى بصفات خلقه ، كما أنهم متفقون على أنه ليس كمثله شيء ؛ لا فى ذاته ، ولا فى صفاته ، ولا فى أفعاله . وطريقتهم فى ذلك أنهم يصفون اللّٰه بما وصف به نفسه فى كتابه أو على لسان نبيه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل .

البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٢٥، الرازي : اعتقادات فرق المسلمين ، للرازي ، ص ٦٣.الشهرستاني : الملل والنحل ١/ ١٧١، ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ٢/٥٢٢ ابن أبي العز : شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٥٧. الدكتور إبراهيم البريكان : القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف ، ص ٤١.

(١) هم الكرامية . انظر العرش وما ورد فيه للذهبي ، ص ١٣٩.

(٢) منسوب لابن قتيبة ، انظر : أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات لمرعي الكرمي ، ص١٦٨

(٣) مقاتل بن سُلَيْمان (١٥٠هـ/٠٠٠ ـ ٧٦٧م) هو : مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي أبو الحسن ، من أعلام المفسرين . أصله من بلخ انتقل إلى البصرة ، ودخل بغداد فحدّث بها . وتوفي بالبصرة . كان متروك الحديث . وقد تضاربت فيه أقوال العلماء ؛ فذكره الشهرستاني ضمن السلف ، والأشعري وابن حزم ضمن المرجئة ، وعده ابن النديم من الزيدية ، وقد نسبه البعض إلى التشبيه ؛ كالجويني وتوقف فيه ابن تيمية ، كما جرحه أهل الحديث وأسقطوا روايته قال عنه أبو حاتم : متروك الحديث ، وقال عنه البخاري : منكر الحديث . من كتبه (التفسير الكبير) ، و(نوادر التفسير) و(الرد على القدرية) و(متشابه القرآن) و(الناسخ والمنسوخ) و(القرآت) و(الوجوه والنظائر) .

ترجمته في : طبقات ابن سعد ٧/ ٣٧٣، والتاريخ الصغير ٢/ ٢٢٧، والجرح والتعديل ٨/٣٥٤ ـ ٣٥٥، وكتاب المجروحين ٣/١٤ ـ ١٦، والفهرست : المقالة الخامسة الفن الثاني ، وتاريخ بغداد ١٣/ ١٦٠، وتهذيب الأسماء واللغات ٢/ ١١١، ووفيات الأعيان ٥/٢٥٥ ـ ٢٥٧، وتاريخ الإسلام ٦/٣٠٢ ـ=

وداود الجواربي[١] ، ويُحكى عن داود هذا أنه كان يروي أن اللّٰه ـ تعالى ـ رمدت عينه ، فعادته الملائكة[٢] ، ومنهم من يقول : إن البحر من بزاق اللّٰه ، وروت جماعة منهم كل سخافة تبعث على الإسلام الطاعنين ، وتُضحك منه الملحدين ، وتزهد في الدخول فيه المرتادين ، وتزيد شكوك المرتابين ، كحديث عَرَق الخيل[٣] ، وزغب الصدر ، ونور الذراعين[٤] ، وعيادة

= ٣٠٧، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٢٠١، وميزان الاعتدال ٤/١٧٣ ـ ١٧٥، وتهذيب التهذيب ١٠/٢٧٩ ـ ٢٨٥، وخلاصة تذهيب الكمال ٣٨٦، وطبقات المفسرين ٢/٣٣٠ ـ ٣٣١، وشذرات الذهب ١/ ٢٢٧. وينظر الشهرستاني : الملل والنحل ١/ ٩٥، الأشعري : مقالات الإسلاميين ١/ ٢٣٣، ابن حزم : الفصل ٤/ ١٥٥، ابن تيمية : منهاج السنة ٢/ ٦١٨، ابن الجوزي : الضعفاء والمتروكين ٣/ ١٣٦.

(١) رأس فرقة الرافضة والتجسيم في عصره ، وتسمى الحوارية أو الجوارية ، حكى عنه الأشعري القول بالتجسيم ، ترجمته عند أبي الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين ١/ ٢٣٣، ٢٨٣، البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٢٨، ابن حجر : لسان الميزان ٢/ ٤٢٧.

(٢) راجع الملل والنحل ١/ ١٠٦، ٢/ ٢٢.

(٣) الذي فيه أنه خلق خيلًا فأجراها فعرقت ، فخلق نفسه من ذلك العرق . وقد كذبه بعض الناس على أصحاب حمّاد بن سلمة ، قالوا : إنه كذبه بعض أهل البدع ، واتهموا بوضعه محمد بن شجاع الثلجي ، وقالوا : إنه وضعه ورمى به بعض أهل الحديث ، ليقال عنهم : إنهم يروون مثل هذا ، وهو الذي يقال في متنه : «إنه خلق خيلًا فأجراها ، فعرقت ، فخلق نفسه من ذلك العرق» تعالى اللّٰه عن فرية المفترين وإلحاد الملحدين ، وهو حديث موضوع كما نبه إليه شيخ الإسلام ، وانظر : الموضوعات لابن الجوزي (١/٥ ١٠) ، واللآلئ المصنوعة للسيوطي (١/٣) .

(٤) يشير إلى ما ورد عن عبد اللّٰه بن عمرو : «خلق اللّٰه عز وجل الملائكة من نور الذراعين والصدر» .أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ، باب ما ذكر في الساعد والذراع ، ص٣٤٣ من طريق ابن جريج حدثه رجل عن عروة بن الزبير أنه سأل عبد اللّٰه ابن عمرو بن العاص : أي الخلق أعظم؟ قال : الملائكة ، قال : من ماذا خلقت؟ قال : من نور الذراعين والصدر . .. إلخ . قال : وهذا موقوف على عبد اللّٰه بن عمرو ، روايه رجل غير مسمى ، فهو منقطع ، وقد بلغني أن ابن عيينة رواه عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد اللّٰه بن عمرو ، فإن صح ذلك ، فعبد اللّٰه بن عمرو كان ينظر في كتب الأوائل ، فما لا يرفعه عن النبي عليه السلام يحتمل أن يكون مما رآه فيما وقع بيده من تلك الكتب .

وأخرجه ابن منده في الرد على الجهمية ، تحقيق وتخريج د . علي محمد الفقيهي ، ص٩٢ موقوفا على عبد اللّٰه بن عمرو .

وأخرجه عبد اللّٰه بن الإمام أحمد في السنة ، ص١٥١ موقوفا على عبد اللّٰه ابن عمرو .

وقال الألباني في الأحاديث الصحيحة المجلد الأول ١٩٧/ ٥: "وأما ما رواه عبد اللّٰه بن أحمد في السنة ، ص١٥١ عن عكرمة قال : «خلقت الملائكة من نور العزة ، وخلق إبليس من نار العزة» وعن عبد اللّٰه بن عمرو قال : «خلق اللّٰه الملائكة من نور الذراعين والصدر» . قلت ـ أي الألباني ـ : فهذا كله من الإسرائيليات التي =

الملائكة[١]، وقفص الذهب[٢]، على جمل أورق[٣]، وكشف ساق يوم القيامة[٤]، وأن

= لا يجز الأخذ بها، لأنهالم ترد عن الصادق المصدوق ﷺ.

(١) ومن غلاة المجسمة اليهود، من يحكى عنه أنه قال: (إن الله بكى على الطوفان حتى رمد، وعادته الملائكة، وأنه ندم حتى عض يده وجرى منه الدم). ذكر ابن تيمية أن هذا كفر واضح صريح. انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤/ ٤٥٦، وانظر: درء تعارض العقل والنقل ٦/ ٣٤٨.

(٢) يشير إلى حديث: «أسرى بي في قفص من لؤلؤ وفراشه من ذهب». أخرجه الديلمي (١/١/١٧٤) كما في السلسلة الضعيفة للشيخ الألباني (٦/ ٢٨٤، رقم ٢٧٦٤). وعزاه الحافظ في الإصابة (٤/ ٦، ترجمة ٤٥٣١) لأبي بكر بن أبي شيبة والبزار والبغوي وابن السكن والحاكم. وقال الحافظ: ومعظم الرواة في هذه الأسانيد ضعفاء والمتن منكر جدا.

(٣) يشير إلى قوله: «رأيت ربي بمنى يوم النفر على جمل أورق عليه جبة صوف أمام الناس». وهو حديث موضوع، وانظر: الموضوعات لابن الجوزي (١/ ١٢٤)، وأحاديث مختارة من موضوعات الجوزقاني وابن الجوزي للذهبي (ص ٤٠)، واللآلئ المصنوعة (١/٢٧/٢٨)، والفوائد المجموعة (ص ٤٤٧)، وتنزيه الشريعة المرفوعة (١/١٣٨-١٣٩). وراجع درء التعارض (٧/٩٢-٩٣)، وانظر أيضًا (١/١٤٨-١٤٩)، ومناهج السنة (٢/٤٢٢)

(٤) الصحيح إثبات الساق صفة لله عز وجل، فإن الله سبحانه في هذه الآية قال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ وساق في الآية نكرة غير معروفة، إلا أن الحديث الصحيح جاء بتعريفها وإضافتها إلى الخالق جل وعلا كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في حديث الرؤية الطويل قال: قلنا يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟، قال: «هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كان صحوا». فذكر الحديث عن الناس يوم القيامة ثم قال: «حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس فيقولون: فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم، وإنا سمعنا مناديا ينادي ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون، وإنما ننتظر ربنا قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه أول مرة فيها، فيقول: أنا ربكم، فيقولون أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون الساق، فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا» الحديث، أخرجه البخاري، كتاب التوحيد ـ باب قول الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ ٩/ ١٠٥، واللفظ له، وأخرجه مسلم كتاب الإيمان ـ باب معرفة طريق الرؤية ١/ ١٦٨. وفي الصحيح للبخاري في كتاب التفسير ١٣٢/٦ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقا واحدا».

فهذا التفسير الواضح في هذا الحديث الصحيح يجب المصير إليه في بيان المراد من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾. وقد روى القاضي أبو يعلى في كتابه إبطال التأويلات ورقة (٤٣) بسنده عن إبراهيم، قال: كان ابن مسعود يقول: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: يكشف الرحمن عن ساقه، ورواه أيضًا البيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٢٨، واعلم أنه ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الآية: «إن المراد بها شدة القيامة وهولها وفسر الساق بالشدة»، روى ذلك عنه ابن جرير في تفسيره ٢٩/ ٣٨، والبيهقي في الأسماء والصفات ص٤٣٦ =

على رب العالمين شعرا جعدا قططا[١] ـ تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا ـ وأن له أذنا يسمع بها المسموعات[٢] ، ورجلًا يمشي عليها وعينا يرى بها المرئيات ، وقلبا يعلم به الأشياء كلها ، ونفسا منفوسة ، وأن لنفسه نفسا ، وأن لرجله وطأة[٣] .

=إلا أن ابن عباس ﷺ لم يسند هذا التفسير إلى النبي ﷺ ، وإنما أسنده كما في بعض الروايات إلى لغة العرب حيث تجعل كشف الساق كناية عن الشدة ، وهذا مقبول في حالة عدم ورود أدلة أخرى شرعية تبين المراد ، وقد جاءنا الحديث الصحيح يبين المراد بأن الله جل وعلا (يكشف عن ساقه يوم القيامة) فوجب المصير إليه .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ "وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة وما رووه من الحديث ووقفت من ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير فلم أجد إلى ساعتي هذه عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئًا من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف إلا في مثل قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ فروي عن ابن عباس وطائفة أن المراد به الشدة أن الله يكشف عن الشدة في الآخرة ، وعن أبي سعيد وطائفة أنهم عدوها في الصفات للحديث الذي رواه أبو سعيد في الصحيحين ، ولا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل على أن هذه من الصفات فإنه قال : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ نكرة في الإثبات لم يضفها إلى الله ، ولم يقل عن ساقه ، فمع عدم التعريف بالإضافة لا يظهر أنه من الصفات إلا بدليل آخر". انتهى بتصرف . الفتاوى ٦/٣٩٤ ـ ٣٩٥، وانظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ الغنيمان ٢/ ١٢١.

(١) هذا من الوارد في صفة الدجال كحديث مرفوع : «أراني الليلةَ عند الكعبةِ فرأيتُ رجلًا آدمَ كأحسنِ ما أنت راءٍ من أُدْمِ الرجالِ له لِمَّةٌ كأحسنِ ما أنت راءٍ من اللِّمَمِ قد رجَّلَها فهي تقطرُ ماء متكئًا على رَجُلَيْنِ يطوفُ بالبيتِ فسألتُ من هذا فقيل المسيحُ ابنُ مريمَ ثم إذا أنا برجلٍ جَعْدٍ قَطَطٍ أعْوَرِ العينِ اليمنى كأنها عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ فسألتُ من هذا فقال المسيح الدجال»
أخرجه مالك (٢/ ٩٢٠، رقم ١٦٤٠) ، وأحمد (٢/ ١٤٤، رقم ٦٣١٢) ، والبخاري (٥/ ٢٢١١، رقم ٥٥٦٢) ، ومسلم (١/ ١٥٤، رقم ١٦٩) ، وأبو عوانة (١/ ١٣٠، رقم ٣٨٨) .
أما كلمة (جعد) فالوارد فيها : «رأيت ربي جعدا أمرد عليه حلة خضراء» .
قال ابن الجوزي : "هذا الحديث لا يثبت ، وطرقه كلها على حماد بن سلمة ، قال ابن عدي : قد قيل : إن ابن أبي العوجاء كان ربيب حماد فكان يدس في كتبه هذه الأحاديث" ، وأورده الكناني في تنزيه الشريعة وقال : "رواه الخطيب من حديث أم الطفيل امرأة أبي ، وفيه نعيم بن حماد ، وقال ابن عدي : يضع الحديث ، ومروان وعمارة بن عامر مجهولان" .
قلت : ومما يعل به أيضا أن فيه عنعنة قتادة ، وهو مدلس ، وهي علة مؤثرة في اتصال السند .
(٢) السمع من الصفات الثابتة بالقرآن الكريم : ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء : ٥٨] وغيرها .
(٣) عن خولة بنت حكيم أن النبي ﷺ قال : «آخر وطأة يطؤها الرحمن بوج» .
هذا حديث ضعيف ، ووج واد بأرض الطائف ، وقد رواه البيهقي وغيره . وبتقدير ثبوته قال سفيان بن عيينة :=

وأشباه لهذا كثيرة من سخافاتهم وحماقاتهم، وما لا يجوز التلفظ بها لأحد إلا حاكيا عنهم، معرفا قبح اعتقادهم وفاحش روايتهم.

فتكلَّفْتُ بمبلغ علمي ومقدار طاقتي تفسيرَ ما رُوي من الأخبار، وتأويلَ ما نُقل من الأحاديث التي ظاهرها بخلاف باطنها، مثل ما روي وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن**»[1]. وكنحو ما روي: «**إن الصدقة أول ما تقع في كف الرحمن، فيُرَبِّيهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوَّهُ**[2] **أو فصيله**»[3]. وكنحو ما روي عنه أنه قال: «**إني أجد نفس ربكم من قبل اليمن**»[4]. وغير ذلك مما يكثر عدده، ويصح نقله، ولا يجهل معناه - وتفسيرَه[5]: كما يوافق المعقول من الأصول، والمعمول به من اللغات، ليعرف الناقل لذلك بعين الشفقة والبصيرة أن

=هو آخر خيل الله بوج، ومعناه أن الوطأة المذكورة في هذا الحديث عبارة عن نزول تأييده سبحانه وتعالى، قال ابن منده: آخر ما أوقع الله سبحانه بالمشركين بالطائف، وكان آخر غزاة قاتل فيها رسول الله ﷺ العدو، وهي آخر وقعة كانت مع المشركين، وهي غزوة حنين واستعاره من وطء القدم؛ لأن الواطيء يقهر الموطوء ويتمكن منه والمراد منه وطء النبي ﷺ.

إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، ص ٢٢٢.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، بترتيب وتبويب محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء، حديث ٣٦٥٤، ٢٠٤٥/٤ عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء" ثم قال رسول الله ﷺ: "اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك».

وأخرجه أيضا أحمد (٣/ ١١٢، رقم ١٢١٢٨)، والترمذي (٤/ ٤٤٨، رقم ٢١٤٠) وقال: حسن. والحاكم (١/ ٧٠٧، رقم ١٩٢٧) وقال: صحيح. وابن أبي شيبة (٦/ ١٦٨، رقم ٣٠٤٠٥)، وأبو يعلى (٦/ ٣٦٠، رقم ٣٦٨٨)، والضياء (٦/ ٢١١، رقم ٢٢٢٢).

(٢) الفلو: هو المهر الصغير إذا عظم. والفصيل هو ولد الناقة إذا فصل عن أمه.

(٣) أخرجه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤). وأخرجه أيضا الترمذي (٣/ ٤٩، رقم ٦٦١) وقال: حسن صحيح. والنسائي (٥/ ٥٧، رقم ٢٥٢٥)، وابن ماجه (١/ ٥٩٠ رقم ١٨٤٢)،

وأحمد (٦/ ٢٥١، رقم ٢٦١٧٨)، وابن حبان (٨/ ١١١، رقم ٣٣١٧)، وإسحاق بن راهويه (٢/ ٤٠٤، رقم ٩٥٧).

(٤) أخرجه أحمد (٥٤١/٢)، وقال العراقي في المغني - تخريج الأحياء (١٠٣/١): رجاله ثقات. وأخرجه الطبراني (٦٠/٧/رقم ٦٣٥٨)، والبزار في «المسند» (١٦٨٩ - كشف الأستار)، والبخاري في التاريخ الكبير (١٩٩٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٩/٢)، وإسنادهم صحيح، ورجاله ثقات.

(٥) معمول: تكلفت في بداية الفقرة.

مَخْرَجَها بخلاف ما يذهب إليه هؤلاء الجهلة الرعاع والهمج الغثاء .

وكشفتُ عن معاني جميع ذلك ، محتسبا للثواب ، وكريم المآب ، ورجوت ألا يطلع ذوو النهى مني على تمويه ، ولا ميل لهوى ، ولا ظلم لأحد ، وعلى الله ـ سبحانه ـ أتوكل فيما أحاول ، وبه أستعين إنه أقوى معين ، وأهدى دليل .

وقدمتُ قبلَ ذلك طرفا يسيرا ، ونُبذا قليلا من أدلة الموحدة في إثبات الصانع ، وتوحيده ، ونفي تشبيهه بخلقه ، وتأويل ما وجِد في كتابه من أسمائه ، مثل قوله : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾(١) . ومثل قوله : ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(٢) . وغير ذلك مما جاء في القرآن من أنه يَستهزئُ بالكفار ، ويَسخر منهم ، ويمكر بهم ، ويخدعهم ... إلى سائر ما جاء في هذا الباب من تفسير الجَنْب ، بقوله سبحانه : ﴿مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾(٣) . وبيان قول الموحدين بأن الله ـ سبحانه ـ واحد ، ليكون الكتاب جامعا لما قصدنا به إليه ، مستوعبا لذلك ، وصلى الله على محمد عَوْدا وبَدْءا ، وسلَّم كثيرا .

* * *

---

(١) الحديد : ٣.

(٢) النور : ٣٥.

(٣) الزمر : ٥٦.

باب ذكر الدلالة في إثبات الصانع، وتوحيده ونفي التشبيه عنه

إن قال القائل: ما الدليل على أن للخَلْق صانعًا صنعه، ومدبِّرًا دبَّره؟

قيل له: الدليل على ذلك: أن الإنسان الذي هو بغاية الكمال والتمام كان نُطْفةً، ثم عَلَقةً، ثم مُضْغةً، ثم لحمًا ودمًا، وقد علمنا أنه لم ينقل نفسه من حال إلى حال، لأنا نراه في حال كمال قوته وتمام عقله لا يقدر أن يحدث لنفسه سمعا ولا بصرا، ولا أن يخلق لنفسه جارحة، فدل بذلك على أنه قبل تكامله، واجتماع قوته وعقله، كان عن ذلك أعجز، لأن ما عجز عنه في حال الكمال فهو في حال النقصان عنه أعجز[1].

---

(١) هذا الدليل يطلق عليه المتكلمون: «دليل الخلق والتدبير» وقد تناول القرآن الكريم قضية الخلق والتدبير تناولا فريدا، وعني بتوجيه العقول إلى النظر في آفاق الكون وآيات الله الكثيرة، وأهاب بالعقل أن يستيقظ من سباته ليتفكر في ملكوت السماوات والأرض، وما أودع فيهما من الآيات، ويكرر القرآن ذلك في أساليب متنوعة ليرى هذا الإنسان ويسمع في آفاق الكون ما يقوده إلى الإيمان بخالقه سبحانه وتعالى ويعلم أن هذا الكون لم يكن وليد الصدفة كما يزعم الملحدون الجاحدون، بل هو صنع الله الخالق المدبر، المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

فوا عجبا كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

وجاء الحديث في القرآن الكريم عن قضية الخلق في أغلب سوره عن خلق الإنسان وخلق السماوات والأرض والجبال والأنعام وغير ذلك، ومن هذه الآيات قوله تعالى عن خلق الإنسان: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق: ٥-٧]. وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحج: ٥]. وغير ذلك من الآيات، كما دعا سبحانه إلى التفكير في الخلق المتقن المتناسق فقال: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

وهذه قد جمعت مع خلق السموات والأرض آيات أخرى من آيات الله تعالى التي يراها البشر ويحسونها تتجلى فيها عظمة خالقها سبحانه، وآيات كثيرة تجمع عددا كبيرا من آيات الله تعالى ويعرضها القرآن للناس دلائل على الخالق سبحانه وعظمته وتدبيره وعنايته وأنه خالق كل شيء ومالكه وهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له..

وقد رأيناه طفلا ، ثم شابًا ، ثم كهلا ، ثم شيخا ، وعلمنا أنه لم ينقل نفسه من حال الشباب إلى حال الكبر .

فدل جميع ذلك على أنه ليس هو الناقل لنفسه في هذه الأحوال ، وأن ناقلا نقله من حال إلى حال ، ودبره على ما هو عليه .

ومما يوضح ذلك ويبينه : أن القُطن لا يجوز أن ينتقل ، فيتحول غزلا مفتولا ، ثم ثوبا منسوجا بغير صانع ، ولا مدبر ، ومن تَوَهَّم ذلك كان عمن يعقل خارجا ، وفي الجهل والجا .

فدل ذلك على أن اللّٰه ـ سبحانه ـ صنعه ونقله ودبر أمره على ما أراد .

فإن قال قائل : فما الدليل أن هذا الصانعَ واحدٌ؟

قيل له : إن الاشتراك رأيناه لا يجري على نظام ، ولا يتسق على إحكام ، ولا بد من أن يلحق الشريكين أو واحدا منهما العجز ، إذا أراد واحدٌ منهما أن يُحيي زيدا ، وأراد الآخر إماتته ، لم يخل من أن يتم ما يريدان ، أو لا يتم ما يريدان جميعا ، أو يتم ما يريد أحدهما دون الآخر[١] .

ويستحيل أن يتم ما يريدان جميعا ، لأنه يستحيل أن يكون الجسم الواحد حيًّا ميتا في حال واحدة ، فإن لم يتم ما يريدان جميعا ، وجب عجزهما ، والعاجز لا يكون إلها ولا قديما . وإن لم يتم ما يريده أحدهما ، وجب عجزه ، والعاجز لا يكون إلها ولا قديما .

فدل ما قلناه على أن الصانع واحد ، وقد قال اللّٰه ـ سبحانه ـ : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾[٢] . فدل ذلك على معنى ما قلناه .

---

(١) يستخدم المؤلف في إقامة الدليل على الواحدانة ما يسمى بدليل التمانع .

(٢) الأنبياء : ٢٢.

يسوق المصنف الدليل على وحدانية اللّٰه سبحانه وتعالى من خلال الآية الكريمة : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ ، إلا أنه ـ رحمه اللّٰه ـ سلك طريقة المتكلمين في ذلك ، قال الشيخ عبد اللّٰه شاكر محمد الجنيدي : وإن كانت طريقة صحيحة مفضية إلى المطلوب إلا أنها ليست المقصودة من الآية ، والاستدلال بها في هذا الموطن غير سليم ، بل هو مناف للفهم السلفي الدقيق ؛ وذلك أن المتكلمين ذهبوا إلى أن اللّٰه واحد . بمعنى : عدم مشاركة الغير له في الألوهية ، ويقول ابن تيمية : «إن المتقدمين منهم اعتمدوا دليل التمانع ، وظنوا أنه هو الدليل المذكور في قوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ مع أن الأمر ليس كذلك » (انظر : منهاج السنة ٢/٨١) . =

فإن قيل : فإذا علمنا أن للعالم صانعا واحدا ، فمن أين نعلم أنه لا يشبه خلقه؟

قيل له : نعلم ذلك بشاهدة من المحدثات المصنوعات فيما بيننا ، وذلك أن كل صنعة لا تشبه صانعها ، كالكتابة لا تشبه الكاتب ، والبناء لا يشبه الباني ، فإذا وجد كل صنعة مخالفة لصانعها ، دل ما ظهر لنا من ذلك على ما غاب عنا ، وعلمنا أن

= ويرى ابن تيمية أن المقصود من الآية بيان امتناع الألوهية من جهة الفساد الناشئ عن عبادة ما سوى الله تعالى ؛ لأنه لا صلاح للخلق إلا بالمعبود المراد لذاته من جهة غاية أفعالهم ونهاية حركاتهم ، وما سوى الله تعالى لا يصلح أن يكون معبودا ، فلو كان فيهما معبود غيره لفسدتا من هذه الجهة فإنه سبحانه هو المعبود المحبوب لذاته ، كما أنه هو الرب الخالق بمشيئته وهذا هو معنى قول النبي ﷺ : «أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل»

ويوضح الدكتور محمد خليل الهراس وجهة نظر ابن تيمية فيقول : «فالآية في نظر ابن تيمية ليس المقصود منها تقرير توحيد الربوبية وبيان أنه سبحانه الخالق لكل شيء ، فإن هذا النوع من التوحيد كان يعرفه المشركون من العرب وغيرهم في نظر "ابن تيمية" ثم يقول : "ولكن المقصود منها هو تقرير التوحيد في الألوهية بمعنى بيان امتناع وجود إله يستحق العبادة مع الله ، وهو متضمن أيضًا لتوحيد الربوبية ، والحاصل أن ابن تيمية يرى أن برهان التمنانع الذي ذهب إليه نظار المتكلمين كاف في إثبات امتناع صدور العالم عن اثنين الذي هو توحيد الربوبية ، ولكنه قاصر عن توحيد الألوهية ، والقرآن إنما جاء بتقرير النوعين معا» . (انظر : كتابه ابن تيمية السلفي ص٨٨) .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا : أن ابن تيمية لم يبطل طريقة المتكلمين التي ذكرها الأشعري ، وإنما أشار إلى أنها ليست طريقة القرآن وإن كانت طريقة عقلية صحيحة ، وطريقته في ذلك هي تقرير توحيد الألوهية المتضمن لتوحيد الربوبية ، ويذكر ابن تيمية أن أعظم دليل جاء في ذلك هو قول الله جل ذكره : ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون : ٩١]

فهذه الآية ذكر فيها برهانين يقينين على امتناع أن يكون مع الله إله آخر بقوله : ﴿إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض﴾ ، وقد عرف أنه لم يذهب كل إله بما خلق ، ولا علا بعضهم على بعض .

ويستمر ابن تيمية في الكلام على هذه الآية مبينًا أن توحيد الله وعبادته أمر هام جدًا دعا إليه القرآن ووضحه الرسول توضيحًا شافيًا ؛ لأن الحاجة تدعو إليه ، وخاصة أن مشركي قريش كانوا يعترفون بتوحيد الربوبية . (انظر : منهاج السنة ٢/٨٤-٩٠) .

وهذا التحليل الذي عرضه "ابن تيمية" لهذه القضية يدل على أنه ـ رحمه الله ـ كان صاحب فهم دقيق عميق بكتاب الله جل ذكره .

ولقد أشاد بهذا الفهم الدكتور محمد خليل الهراس ، فعقب على كلام ابن تيمية بقوله : «ومن الحق أن نقرر أننا لم نجد من سبق "ابن تيمية" إلى تفسير تلك الآية ، وتقرير ما فيها من الأدلة على التوحيد على هذا النحو من البسط والبيان» . (انظر : كتابه ابن تيمية السلفي ص٩١) ، وانظر : شرح وتعليق ابن القيم على هذه الآية في مختصر الصواعق ١/٩٥) .

صنعة الباري لا تشبهه.

فإن قيل: فما الدليل على أن الصانع ليس بجسم؟

قيل له: إن اللّٰه ـ سبحانه ـ لم يُسم نفسه جسما، ولا اتفق المسلمون عليه، ونحن لا نسمي اللّٰه باسم لم يتفقِ المسلمون عليه، ولا سمى هو نفسه به، ولأن حقيقة الجسم أن يكون طويلا عريضا عميقا، فمن كان ذلك وصفه، فلا يكون شيئا واحدا.

ومما يدل على ذلك قول الخاصة والعامة: إن فلانا أجسم من فلان، إذا كان أطول وأعرض منه، كما يقول: إنه أشد سوادا من فلان، إذا كان أكثر سوادا منه، فالمعول في ذلك على كثرة الأجزاء، كما أن المعول فيما ذكرناه على كثرة السواد وإثباته.

فإن قيل: فإذا كان القديم[1] شيئا لا كالأشياء، فما أنكرتم أن يكون جسما لا كالأجسام؟

قيل له: لو لزم ذلك للزم أن يكون صورة[2] لا كالصور، وشخصا لا كالأشخاص، وشبحًا[3] لا كالأشباح، وجوهرا[4] لا كالجواهر، وجسدا لا كالأجساد، من حيث كان شيئا لا كالأشياء.

وبعد: فإن الشيء سمة لكل موجود، وقد سمى اللّٰه نفسه شيئا، حيث يقول: ﴿قُلْ

---

(١) في إطلاق صفة «القديم» على اللّٰه تعالى نظر وهو مناف لقاعدة التوقيف المعمول بها لدى أهل السنة والجماعة؛ فهذه الصفة لم يرد إطلاقها على اللّٰه سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة، وإنما الذي ورد للتعبير عن معناها لفظ «الأول» كما قال سبحانه ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣]، وقول النبي ﷺ في ثنائه على اللّٰه سبحانه وتعالى: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء» [أخرجه مسلم ٢٧١٣]. فهذا اللفظ مما أدخله المتكلمون في أسماء اللّٰه تعالى، وليس هو من الأسماء الحسنى؛ وذلك لأنه يحتوي على معنى الزمن، فإذا كان «قديمًا» فهناك «أقدم» قياسا على صيغة أفعل. أما لفظ القرآن والسنة «الأول» فكان أدق في التعبير عن هذا المعنى. انظر شرح العقيدة الطحاوية ٧٤/١ ـ ٧٧.

(٢) الصورة: عبارة عن أحد جزئي الجسم وهو حال في الجزء الآخر منه، وهي بمنزلة شكل السرير بالنسبة إلى السرير. الآمدي: المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين ص ١٠٩، ١١٨.

(٣) الشبح: ما بدا لك شخصه من الناس غيرهم من الخلق يقال: شبح لنا، أي مثل. اللسان (ش ب ح).

(٤) الجوهر في اصطلاح المتكلمين هو المتحيز الذي يقوم بنفسه، وينقسم إلى بسيط ويعبر عنه بالجوهر الفرد، وإلى مركب وهو الجسم، والجوهر منحصر فى خمسة؛ هيولى، وصورة، وجسم، ونفس، وعقل. الآمدي: المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين ص ١٠٩، ١١٠، والجرجاني: التعريفات ص ٣٥، ١١٣، والمعجم الوسيط (جوهر).

﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ﴾(١) . ولم يسمِّ نفسه جسما في موضع ، ولا اتفق المسلمون عليه ، فلم يجب القول بالجسم ، ووجب القول بالشيء .

واعلم : أن الجسمية(٢) اعتلَّتْ بأن الله جسم بما قد صح أنه فاعل ، ولم يجدوا فاعلا ليس بجسم ، قالوا : فوجب لذلك أن يكون معبودهم جسما .

فأُلْزِموا : أن يكون معبودُهم مؤلفا ، محدثا ، طويلا ، ذا جوارح مختلفة ، محلًّا للصفات ؛ لأنهم لم يجدوا فاعلا خارجا عن هذه الصفة ، فلم يكن لهم إلا أحد أمرين :

* إما أن يعطوا القياس حظه ، فيصفوه بجميع هذه الصفات .

* أو ينقضوها . وهذا كما اعتلت المعتزلة(٣) في نفي الصفات ؛ لأنهم لم يشاهدوا صفة لا هي الموصوف ولا غيره ولا بعضه ، ولا كلاما خرج من أقسامه ، وعلى هذا النحو أنكروا خلق الأفعال ، وأن الله ـ سبحانه ـ يريد الكفر من الكافر ، لكونه قبيحا ،

---

(١) الأنعام : ١٩.

(٢) المقصود بلقب المجسمة أو الجسمية عند خصوم أهل السنة هو تجسيم الإله بحيث يصير مشابها للمخلوق في أنه جسم ، والتشبيه والتجسيم مقترنان في كلام خصوم أهل السنة بحيث يعبر أحدهما عن الآخر عند غيابه ، وهذا يقتدي منا التعريف بكلمة التجسيم في اللغة أولا حتى يتضح الأمر .
فالتّجسيم : هو إثبات الجسم لله تعالى . قال الإمام يحيى بن حمزة في كتاب التحقيق في التكفير والتّفسيق : «وعن الخليل بن أحمد في كتاب العين(٦) أنّه قال : «الجسم البدن وجميع أعضائه من النّاس والدّوابّ ونحو ذلك مما عظم في الخلقة ، وأنشد الخليل :
وأجسم من عاد جسوم رجالهم وأكثر إن عدّوا عديدًا من التّرب
انظر التهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون ٣٦٨/١ ـ ٣٧١، التحقيق في التكفير والتّفسيق ١/ ٢٨٤.

(٣) اختلف في سبب تسميتهم المعتزلة ؛ فقيل : نسبة إلى اعتزال واصل بن عطاء ـ أو عمرو بن عبيد ـ مجلس الحسن البصري بسبب اختلافهم حول مسألة مرتكب الكبيرة ، وقيل : نسبة إلى من اعتزلوا عليًا رضي الله عنه وامتنعوا عن محاربته أو المحاربة معه كما فعل ابن عمر وسعد بن أبي وقاص وغيرهما من الصحابة ، وقيل : نسبة لمن اعتزلوا الحسن بن علي ومعاوية وتفرغوا للعبادة . وقيل : نسبة لمن اعتزلوا رأي الأمة في الحكم على مرتكب الكبيرة ، وقد انقسم المعتزلة إلى فرق كثيرة وهم على تعدد فرقهم ومدارسهم متفقون على خمسة أصول هي : التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهذه الأصول يجمع الكل عليها ، ومن لم يقل بها جميعا فلا يكون معتزليا . المسعودي : مروج الذهب ٣/ ٢٢٢. الملطي : التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص ٤١، النوبختي : فرق الشيعة ص ٥، والبغدادي : الفرق بين الفرق ص ٨١، ويمكن الرجوع إلى كتاب الدكتور : عبد الرحمن بدوي : التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ص ١٧٣، والدكتور أحمد صبحي : فى علم الكلام : المعتزلة (١) ص ١٠٥.

وأن يخلق فعل الكافر ثم يعذبه عليه ، لأنهم لم يشاهدوا حكيما فعل ذلك فيما بيننا .

فأُلزموا ألا يكون متكلما ولا عالما ، لأنهم لم يشاهدوا متكلما ولا عالما إلا معتقدا ذا آلة ، وأُلزموا أن اللّٰه ـ سبحانه ـ لا يكلف من يعلم أنه يكفر ، فإنه لا يفعل ذلك فيما بينهم إلا سفيه ليس بحكيم ، ولم يجدوا حكيما مؤلما للأطفال إلا للمنفعة ، وهو يقدر على تعويضه ، من غير ذلك الوجه ، فانتقض بذلك قولهم ، فكذلك سبيل الجسمية معنا وباللّٰه التوفيق .

واعلم ـ وفقك اللّٰه للخير برحمته ـ أن المشبهة لما ثَبَّتَتْ للّٰه جسما له عين وسمع ، ورجل وقلب ـ دعا جهما[١] حرصُهُ على توحيد اللّٰه ونفي تشبيهه بخلقه إلى أن نفى أن يكون شيئا ، وأن يكون موجودا ، وأن يكون عالما ؛ إذ كان ذلك أجمع عنده من صفات المخلوقين ، فزعم أنه موجد الموجود ، ومُشَيِّئ الشيء ، ومعلم العلماء ، فكان الحق خارجا عن المذهبين جميعا .

والصواب أن يقال : إنه عالم بلا قلب ، سميع بلا أذن ، وراءٍ بلا عين[٢] ، وكان مثلهم في ذلك كمثل المعتزلة والمجبرة[٣] ؛ لأن المعتزلة أثبتتِ الأفعال

---

(١) جَهْم بن صَفْوان (١٢٨هـ/. . . ـ ٧٤٥م) هو : جهم بن صفوان السمرقندي ، أبو محرز ، من موالي بني راسب ، رأس (الجهمية) قال الذهبي : الضالّ المبدع ، هلك في زمان صغار التابعين وقد زرع شرا عظيما . كان يقضي في عسكر الحارث بن سريج ، الخارج على أمراء خراسان ، فقبض عليه نصر بن سيار ، فطلب جهم استبقاءه ، فقال نصر : (لا تقوم علينا مع اليمانية أكثر مما قمت) وأمر بقتله ، فقتل .

ترجمته في : تاريخ الطبري ٧/ ٢٢٠، ٢٢١، ٢٣٦، ٢٣٧، وتاريخ الجهمية والمعتزلة ص١٠ وما بعدها للقاسمي ، وميزان الاعتدال ٤٢٦/١ والملل والنحل ١٩٩/١ ـ ٢٠٠، والفصل ٢٠٤/٤ والكامل لابن الأثير ٣٤٢/٥ ـ ٣٤٤ وخطط المقريزي ٢٤٩/٢ و ٣٥١.

(٢) سلك المصنف مسلك المعتزلة الذين ينفون الصفات التي تدل عليها الأسماء الحسنى ، فيقولون : سميع بلا سمع ، بصير بلا بصر ، عليم بلا علم .. وهكذا يسلكون قي نفي صفات اللّٰه تعالى . فالمعتزلة ومن وافقهم واتبعهم يثبتون للّٰه تعالى الأسماء دون ما تضمنته من الصفات . لوامع الأنوار ١/ ١١٨.

(٣) قال الإمام يحيى : لفظُ المجْبِرَةِ وهم اسم لهذه الفرقةِ . والمجبرةُ اسم فاعل من أجبر فهو مُجْبِر ، وقد يُطلق ويُراد به فعلُ ذلك الفعلِ كما يقال : مكرم ومُحسِن . لمن فعل الإكرامَ والإحسانَ وهو أكثرُ في إطلاقِه ، وقد يُطلق ويُراد به أنه صارَ ذا كذا ، كما يقال : رجلٌ مريب . إذا صار ذا ريبةٍ ، وليس ذلك على معنى أنه فعَل الريبةَ ، فإنه لم يفعلْها ، وصار كقولِنا : امرأةٌ حائضٌ ، إذا صارت ذا حيضٍ . وامرأة طالق . إذا صارت ذا طلاقٍ ، لا على معنى أنها فاعلةٌ شيئًا من ذلك ، وإنما الغرضُ صارتْ ذا كذا ، فإذا قلنا رجلٌ مُجبِر ، فالغرضُ أنه صار ذا قولٍ بالجبرِ ،=

الاختيارية[١] كلها لفاعلها، والمجبرة أثبتت جميع ذلك للخالق، ولا إيثار، فكان مذهبهم فاسدا، والحق عن جملة قولهم خارجا، فكان الصواب أن يقال: إن اللّٰه ـ سبحانه ـ خالق لفعل عبده، بمعنى أنه مخرجه من العدم إلى الوجود، والإنسان متكسب ومتحرك وساكن به ومختار له، فكان ذلك أحسن المذاهب وأسدها[٢].

وحكى لنا بعض المتكلمين بأن رجلا من الجهمية[٣] ـ الذاهبة إلى أن معبوده ليس

=وهكذا إذا قلنا: أجبر الرجلُ. كما يُقال: أحربَ الرجلُ، إذا صار ذا حَربٍ في ماله. فأما قولنا: جبرى فإنه منسوبٌ إلى الجبرِ، كما يقال: تمريٌّ ولبنيٌّ. في النسبة إلى التمر واللبن. التحقيق في تقرير أدلة الإكفار والتفسي ١/ ٤١٨.

(١) الأفعال الاختيارية: هي المتعلقة بالمشيئة، مثل: النزول (فعل اختياري) يفعله الرب بمشيئته، والاستواء (فعل اختياري) يفعله الرب بمشيئته، والغضب والرضا والحب، فيغضب إذا شاء، ويرضى إذا شاء، ويحب مَن شاء إذا شاء. ونُفاة الأفعال الاختيارية بنوه على شبهة باطلة لا أصل لها. قالوا: إنه تعالى منزه عن حلول الحوادث، فيقال: هذا لفظٌ محدث فليس في القرآن ولا في السنة أن اللّٰه تعالى منزه عن حلول الحوادث.
شرح العقيدة السفارينية ـ الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، ص ٥٧.

(٢) قال بالكسب بدلا من الجبر، فالإنسان كاسب لأفعاله غير مجبر عليها، ليصح أن يُسأل، لكن لو أجبر على فعل معين فلا تصح مساءلته. فالإنسان عند أصحاب هذا الاتجاه كاسب وليس فاعلا ولا خالقًا على الحقيقة، وتعنى نظرية الكسب مباشرة القدرة الحادثة لأفعالها، فالفعل لا يقع بالقدرة بل يقع مصاحبا لها، كالرى لا يقع بالشرب بل مصاحبا له وأما سلف الأمة فقد ذهبوا إلى أن أفعال العباد خلق للّٰه سبحانه وتعالى وكسب للعباد كمنزلة الأسباب للمسببات؛ فقدرة العباد ومشيئتهم تحت قدرةاللّٰه ومشيئته. فالسلف يؤمنون بأن الإنسان فاعل حقيقة وموصوف بفعله حقيقة فهو الصادق وهو الكاذب، وقدرته مؤثرة في فعله، ولكناللّٰه تعالى هو الخالق لفعله؛ لأن الإنسان يباشر فعله بأدوات خلقهااللّٰه، فكلمة الخلق وصفة الخلق تنسب إلى الخالق، وأوصاف الأفعال تنسب إلى مَن وقع منه الفعل فاللّٰه خالق والإنسان فاعل.
الفرق بين الفرق، ص ١٢٨، وكشاف اصطلاحات الفنون ١/ ١٨٢.

(٣) هم المنسوبون إلى جهم بن صفوان المقتول سنة ١٢٨، وهو من أهل خراسان، سموا جهمية؛ لأن الجهم اشتق كلامه من كلام (صنف من العجم بناحية خراسان)، ويقال: إنهم شككوه في دينه حتى ترك الصلاة أربعين يومًا. وقال: لا أصلي لمن لا أعرفه. ثم اشتق هذا الكلام وبنى عليه ما بعده، وتطلق الجهمية أحيانًا بمعنى عام ويقصد بها نفاة الصفات، وتطلق أحيانًا بمعنى خاص ويقصد بها الذين تابعوا جهما في آرائه وأهمها نفي الصفات والقول بالجبر والقول بفناء الجنة و النار.
الملطي: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص ٩٦، البغدادى: الفرق بين الفرق ص ٢١١، الإسفرائينى: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ص ٦٣.

بشيء ادعى أنه ليس بموجود ، ولا عالم ولا قادر ـ ناظر رجلا من المشبهة الذاهبة إلى أنه جسم ، وله عين ، ورجل ، وقلب ، وأذن ، فأكثرا الجدال في ذلك ، حتى إن أحدهما قال : لا يفصل الأمر بيننا إلا أعرابي يطرأ علينا من البادية ، يكون فارغ القلب من المذاهب كلها ، فمرا إلى موضع من البصرة ، يقال له : المربد[١] ، فبينا هما في ذلك إذ طرأ عليهما أعرابي ، فعرضا عليه المذهبين جميعا ، فقال للجهمي : أما أنت فتعبد معبودا معدوما ، وقال للآخر : أما أنت فتعبد إنسانا مثلك[٢] .

لعمري لقد وفق الأعرابي في تضليلهما وتخطئتهما جميعا ، لذهابهما عن الحق .

وقد احتجت المشبهة في إثباتهم لله ـ سبحانه ـ عينا وأذنا ، حيث عيَّر المشركين في عبادتهم الأصنام ، وقرعهم بذلك ، فقال : ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾[٣] . فدل أنه إنما قرعهم بذلك من حيث أثبت لنفسه رجلا وعينا ويدا .

فيقال لهم : ليس كل ما قرعهم به ، فقد أوجبه لنفسه وأثبته لها ، إذ قد قرعهم بقوله : ﴿۞ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾[٤] . يعني : موتا ، ولا يجب أن يكون القديم ـ سبحانه ـ موصوفا بشيء من ذلك ، وكذلك قوله ـ سبحانه ـ : ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾[٥] . فلا يجب أن يوصف القديم ـ عز وجل ـ أنه يملك لنفسه شيئا من ذلك .

وقد زعمت الجهمية والمعتزلة أن الله ـ سبحانه ـ لما قرع العرب بأن قال : ﴿فَأْتُواْ

---

(١) هو الموضع الذي يجفف فيه التمر وقال الأصمعي : المربد كل شيء حبست فيه الإبل أو الغنم ، وسمي مربد البصرة ، لأنه كان موضع سوق الإبل . فتح الباري ٧/ ٢٨٩ .

(٢) روى هذه الحكاية الأخشاد حيث قال : تناظر رجلان في وصف الباري سبحانه ، واشتدّ بينهما الجدال ، فتراضيا بأوّل من يطلع عليهما ويحكم بينهما ، فطلع أعرابيّ ، فأجلساه وقصّا قصّتهما ، ووصفا له مذهبيهما ، فقال الأعرابيّ لأحدهما ـ وكان مشبّها ـ : أمّا أنت فتصف صنما ، وقال للثاني : وأمّا أنت فتصف عدما ، وكلاكما تقولان على الله ما لم تعلما . الإمتاع والمؤانسة ، ص ٣٩٨ .

(٣) الأعراف : ١٩٥ .

(٤) الإسراء : ٥٠ ، ٥١ .

(٥) الفرقان : ٣ .

﴿بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾(١) . فإنما قرعهم أن يأتوا بما يعجزون عنه ، وهذا يقر الله ـ سبحانه ـ عليه فيكون مقدورا ، وما كان مقدورا له فيكون محدثا :

فيقال لهم : هذا ـ كما أنه فيه تحكم ـ مردود ، وهو قولكم : « أنتم تعجزون عما يقدر الله عليه » . ولو كان ذلك صحيحا ، لكان الله يقدر أن يكتسب كلاما مثل القرآن ، إذ هم قد عجزوا عنه ، مع أن التقريع يحتمل معاني منها : أن ذلك كما قرعهم يوم القيامة ، فقال لهم : ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾(٢) . وقال سبحانه : ﴿وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾(٣) . وقال لأهل الباطل : ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾(٤) . والله ـ سبحانه ـ لا يوصف على أن يأتي ببرهان على الباطل ، ولا بإثبات شريك له من حيث ما عجزوا عنه .

وكذلك قوله ـ سبحانه ـ : ﴿قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾(٥) . وزعمت المعتزلة خاصة : أنه لا يوصف بالقدرة على أن يجعل الجسم موتا ، وقد قرع الله ـ سبحانه ـ هؤلاء بأن يصيروا خلقا يكبر في صدورهم ، وذلك هو الموت عند أهل التفسير .

وقد قيل : إن الإعجاز في ذلك واقع على نظمه وجمع حروفه ، وذلك عَرَض محدث .

وقد أُلزم جهم في مقالته بأن الله لا يوصف بشيء مما في المخلوقين : أن لا يقول بأن الله متكلم ؛ لأن ذلك من صفة المَربوبين المحدثين عنده ، فلم يمر على ذلك ، فبان به انتقاص قوله ، بحمد الله .

وقد احتجت المشبهة في إثباتهم لله عينا : بقوله في سفينة نوح : ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾(٦) . وبقوله : ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾(٧) .

---

(١) البقرة : ٢٣.

(٢) القصص : ٦٢.

(٣) يونس : ٣٨.

(٤) البقرة : ١١١.

(٥) الإسراء : ٥٠، ٥١.

(٦) القمر : ١٤.

(٧) طه : ٣٩.

والجواب عن ذلك : أن يقال لهم : إن العين ـ في كلام العرب ـ على وجوه :

* منها : عين الماء .
* ومنها : عين المتاع .
* ومنها : النقد .
* ومنها قولهم : فلان عين اللصوص ، إذا كان جاسوسا لهم .
* وقد يسمون الحفظ ، وترك الغفلة : عينا ، مثل قول القائل إذا كلّم إنسانا فيقول له : اجعل عينيك إليّ ؛ يريد بذلك الكلام : اجعل حفظك لكلامي . ويقول القائل إذا وضع عند إنسان شيئا : اجعل عينك إلى متاعي ، أي : اصرف حفظك إليه ، فكان قوله ـ عز وجل ـ : ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[1] . معناه : بحفظنا وبمرآنا ، من حيث لا يخفى علينا مكانها ، وكذلك قوله ـ سبحانه ـ : ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾[2] . أي : حفظي ورعايتي لك ، فكان ذلك أحسن من أن نجعل لله عينا ، والعين من الآلات مخلوقة ؛ لأن من أدرك الشيء لو أطبق جفنه ، لم ير شيئا ، فإذا خفي عليه ما هو الحال ، فكيف يعلم ما في غده؟

واحتجوا ـ أيضا ـ في إثباتهم لله عينا : بقول النبي ﷺ حين ذكر الدجال ، فقال : «**إن ربكم ليس بأعور**»[3] . قالوا : فدل على أن له عينا . فيقال لهم : إن العور نقص وآفة ، والقديم عنه منزه ، فإذا زال عنه ، ثبتت له الرؤية اللائقة به ، لا العين التي هي آلة وجارحة ، لأن ضد العور ـ الأعور في العين ـ الرؤية ، لا العين التي تجتمع مع فقدان الرؤية ، وهذا بين لمن تدبره وألقى سمعه وهو شهيد!

* * *

---

(١) القمر : ١٤.

(٢) طه : ٣٩.

(٣) أخرجه الطيالسي (ص ٢٦٥، رقم ١٩٦٣) ، وأحمد (٣/ ٢٩٠، رقم ١٤١٢٦) ، والبخاري (٦/ ٢٦٩٥، رقم ٦٩٧٣) ، ومسلم (٤/ ٢٢٤٨، رقم ٢٩٣٣) ، وأبو داود (٤/ ١١٦، رقم ٤٣١٦) ، والترمذي (٤/ ٥١٦، رقم ٢٢٤٥) وقال : حسن صحيح .

باب الواحد ، والأول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن وغير ذلك

أجمع المسلمون على أن اللّٰه ـ سبحانه ـ واحد ، والواحد والوتر والفرد ـ في كلام العرب ـ واحد .

وزعم عباد بن سلمان(١) : أن اللّٰه واحد ، لا يقال : فرد ، وزعم بعض الفلاسفة : أن الصانع فرد ، لا يقال : واحد .

واختلف المتكلمون في معنى قولهم : إنه واحد . على أقاويل شتى :

* فقال قوم : نريد بقولنا : إنه واحد ؛ أي : أنه لا ينقسم .

* وقال آخرون : معنى « واحد » أنه لا مثل له ولا نظير ، كما يقال : فلان واحدُ الناس ، وواحد قومه ، وواحد البلد . يراد : أنه ليس في قومه مثله ، ولا في بلد نظيره ، وهذا قول الحسين النجار ، واستشهد بعضهم في ذلك(٢) :

يا واحد العرب الذي ... ما في الأنام له نظير
لو كان مثلك آخر ... ما كان في الدنيا فقير

* وقد قيل : إنه واحد ، بمعنى : لا شريك له في ملكه وسلطانه .

فكان الجبائي(٣) يقول :

---

(١) أبو سهل عباد بن سلمان البصري المعتزلي ، من أصحاب هشام الفوطي ، يخالف المعتزلة في أشياء اخترعها لنفسه ، وكان أبو علي الجبائي يصفه بالحذق في الكلام ، ويقول : لولا جنونه .وله كتاب (إنكار أن يخلق الناس أفعالهم) ، وكتاب (تثبيت دلالة الأعراض) ، وكتاب (إثبات الجزء الذي لا يتجزأ) .
ترجمته في : طبقات المعتزلة : ٧٧، الفهرست لابن النديم : ٢١٥، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٥١.

(٢) البيتان في الحماسة البصرية ٥٨٣/١ لمحمد بن عبد اللّٰه بن المولى ، وفي الأغاني ٣/ ٢٨٩، ومعجم الشعراء ، ص ٣٤٢، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٨٣، والخزانة ٣/ ٥٣، وملحق ديوان بشار ٤/ ٧٠.

(٣) أبو علي محمد بن عبد الوهاب البصري الجبائي شيخ المعتزلة ، كان مولده سنة خمس وثلاثين ومائتين ، وكان متوسعا فى العلم سيال الذكاء ، والجبائي نسبة إلى جبّى ، مدينة عظيمة بخوزستان ، وقيل : من قرى البصرة ، له من الكتب «كتاب الأصول» ، و«الأسماء والصفات» ، و«التعديل والتجوير» ، مات بالبصرة سنة ثلاث وثلاثمائة .
ترجمته عند : القاضي عبد الجبار : طبقات المعتزلة (ضمن كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة) :=

إن اللَّه ـ سبحانه ـ واحد على هذه الوجوه كلها[١] .

وحُكي عن النظام[٢] أنه كان يقول : إن اللَّه واحد من طريق العدد . وهذا الطريق فاسد ؛ لأن المعدود هو الذي كان كثيرا بأشكاله ، أو قليلا بانفراده ، فأما ما لا يجوز أن يكون له أشكال توجد معه ، أو تُعدم أشكاله فيكون قليلا ـ فليس بمعدود ، والقديم ـ جل جلاله ـ قد خلا من هذه الأوصاف ، فبطل أن يكون معدودا ، وكان الواحد أيضا أقل الأعداد ، فلو كان القديم ـ جل جلاله ـ واحدا من طريق العدد ، لوجب أن يكون أقل قليل ، تعالى اللَّه عن ذلك علوًّا كبيرا .

وقال قوم : حقيقةُ الواحد هو الموجود الذي لا يتبعض ولا يتجزأ .

فيقال لهم : لو كان هذا هكذا ، لكان علم اللَّه وقدرته وحياته واحدا ؛ لأن ذلك لا يتبعض ولا يتجزأ عند صاحب هذه المقالة ؛ إذ كان ممن يعتقد الصفاتِ ويقول بها .

وزعم بعض أصحاب الصفات من المتأخرين : أن حقيقة « الواحد » الشيءُ الذي لا يكون متبعضا من غير أن يقال له : شيء وشيء على غير وجه التكرير ، فإذا قيل له : فما تقول في الصفات ، وهي غير متبعضة عندك؟ قال : إني أستثبت الصفات ، قلت : من غير أن يقال له : شيء وشيء على غير وجه التكرير ، والصفات منها : علم ، وقدرة ، وكلام ، ويقال كذلك : شيء وشيء وشيء ، على غير وجه التكرير .

وحقيقة الأول : أن يكون موجودا ليس له حالُ ابتداءٍ ، ولا يكون غيرُه موجودا معه .

ومعنى الآخر : الدائم الذي لا يفنى .

وقال قوم : معنى « الآخر » : هو الذي يبقى بعد انقضاء الخلق .

=ص ٢٨٧، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤/ ٢٦٧، الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٤/ ١٨٣، ابن حجر : لسان الميزان ٥/ ٢٧١.

(١) وقد نقل غير هذا عن الجبائي ، راجع المغني للقاضي عبد الجبار ٤/ ٢٤١.

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن سيار بن هانئ ، من رءوس المعتزلة وأحد فرسان أهل النظر والكلام ، له تصانيف عدة على مذهب الاعتزال ، كما كان متأدبًا شاعرا يجيد نظم الكلام ؛ ولذا سمي النظام . وقيل : سمي النظام ؛ لأنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة ، وكانت وفاته سنة إحدى وثلاثين ومائتين .

ترجمته عند ابن النديم : الفهرست ص ٢٠٥، الخطيب : تاريخ بغداد ٦/ ٩٧، الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٤١. ويمكن الرجوع إلى كتاب الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة : إبراهيم بن سيار النظام وآراؤه الكلامية والفلسفية .

وهذا فاسد من القول ؛ لأنه لو كان كذلك لكان اللّٰه ـ سبحانه ـ آخرا في حال دون حال ، وقد ثبت أنه لم يزل أولا وآخرا ، فتبين بهذا فساد قوله .

وأما قوله : ﴿وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾[1] . فإن قوما من اللغويين زعموا : أنه هو العالم بما ظهر وبما بطن .

وقال آخرون : هو الظاهر ، أي هو العالي ، كما تقول العرب : ظهر فلان على السطح : إذا علا عليه[2] ، ومنه قوله : ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ﴾[3] . ومعناه : أن يعلوه ، وقيل له : الباطن . لأنه خفي عن أن تدركه الخلائق ، أو تحيط به أوهامهم ، أو تبلغه صفاتهم ، أو تدركه عقولهم ، فلما كان هكذا ، قيل : هو الباطن .

❊ ❊ ❊

---

(١) الحديد : ٣.

(٢) غريب الحديث لابن قتيبة ٢/ ٤٣٨.

(٣) الكهف : ٩٧.

باب ذكر تأويل

النور، والجميل، والصمد، والوكيل

اختلف المتكلمون واللغويون في إطلاقهم على القديم: أنه نور.

فزعم بعضهم: أن معنى قولنا: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1]: أنه منورهما، وهادي أهلهما[2].

وحكى لنا ابن الأنباري[3]،

---

(١) النور: ٣٥.

(٢) قال الشيخ مرعي الكرمي: قال القرطبي: فيه ستة أقوال؛ إما أنه بمعنى منور، أو ذو النور، أو هادي، أو مزين، أو ظاهر، أو أنه تعالى نور لا كالأنوار. قاله الشيخ أبو الحسن، قال: وقالت المعتزلة: لا يقال: إنه نور إلا بالإضافة. قال: والصحيح عندنا أنه نور لا كالأنوار. قال القرطبي: وقول الأشعري: إنه نور ليس كالأنوار لا يصح أن يريد أنه جسم نوراني ليس كالأجسام النورانية لمعرفتنا بمذهبه وتنزيه الله تعالى، بل باعتبار أنه من نوره تستمد جميع الأنوار كما سمي العلم نورا والقرآن نورا لاستنارة القلوب به، ويسمى النبي نور؛ لأنه منير في ذاته ويستنير به غيره، والمنير في ذاته بنوره الذاتي والمنير غيره بنوره الفعلي هو الله وحده. وقال بعضهم: إن العرب تسمي كل ما جلا الشبهات وأزال الالتباس وأوضح الحق نورا، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا﴾ [النساء: ١٧٤]. يعني القرآن، وعلى هذا المعنى سمى نبيه سراجا منيرا. قال الخطابي: ولا يجوز أن يتوهم أن الله تعالى نور من الأنوار فإن النور يضاد الظلمة وتعاقبه فتزيله وتعالى الله عن أن يكون له ضد. وفي صحيح مسلم عن أبي ذر ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ قال: «نور أنى أراه» وصحفه بعضهم فقال: نوراني، والمعنى غلبني نور أو غشيني نور كيف أراه، فأنى استفهام على جهة الاستبعاد لغلبة النور على بصره كنور الشمس فإنه يغشى البصر ويحيره إذا نظر إليه. قال القرطبي: ولا يعارضه الرواية الأخرى رأيت نورا فإنه عند وقوع بصره على النور رآه ثم غلبه عليه بعد فضعف عنه بصره كالرائي عين الشمس عند كثرة شعاعها قال هكذا قال علماؤنا. أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات، ص ١٩٦.

(٣) ابن الأنباري (٢٧١ - ٣٢٨هـ/٨٨٤ - ٩٤٠م) هو: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري: من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، ومن أكثر الناس حفظا للشعر والأخبار، قيل: كان يحفظ ثلاثمائة ألف شاهد في القرآن. ولد في الأنبار (على الفرات) وتوفي ببغداد. وكان يتردد إلى أولاد الخليفة الراضي بالله، يعلمهم.

من كتبه (الزاهر) في اللغة، و(شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات) و(إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزوجل) و(الهاءات) و(عجائب علوم القرآن) و(شرح الألفات)، و(خلق الإنسان) و(الأمثال) و(الأضداد) وأجل كتبه (غريب الحديث). وله (الامالي). =

عن ثعلب النحوي(١)، في قوله ـ سبحانه ـ : ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ . بمعنى : أنه حق أهل السموات والأرض، وهذا نظير قول العرب إذا سمعوا قول القائل يقول حقًّا : « كلامك هذا عليه نور » . أي : حق .

وزعم الجبائي : أن اللّه تعالى نور السموات والأرض على التوسع والمجاز، ومعنى ذلك : أنه هادي أهل السموات والأرض، وأنهم يهتدون به كما يهتدون بالنور والضياء، وأنه لا يجوز أن نسميه نورا على الحقيقة .

وفي أسماء اللّه « الجميل » بمعنى : المُجْمِل للشيء، فيُجْمِل الشيء إجمالا، والعرب كثيرا ما تخرج لفظ الْفَعِيل بمعنى المُفْعِل، كما قالوا : حكيم بمعنى مُحْكِم، وقد جعلوا فعيلا بمعنى مُفعَل، من ذلك : ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾(٢) . بمعنى : مُعَدّ .

= ترجمته في : طبقات النحويين واللغويين : ١٧١، الفهرست : ١١٢، تاريخ بغداد : ١٨١/٣ ـ ١٨٦، طبقات الحنابلة : ٦٩/٢ ـ ٧٣، الأنساب : ١/ ٣٥٥، نزهة الألباء : ١٨١ ـ ١٨٨، المنتظم : ٣١١/٦ ـ ٣١٥، معجم الأدباء : ٣٠٦/١٨ ـ ٣١٣، إنباه الرواة : ٢٠١/٣ ـ ٢٠٨، وفيات الأعيان : ٣٤١/٤ ـ ٣٤٣، تذكرة الحفاظ : ٨٤٢/٣ ـ ٨٤٤، معرفة القراء : ٢٢٥/١ ـ ٢٢٧، العبر : ٢١٤/٢ ـ ٢١٥، الوافي بالوفيات : ٣٤٤/٤ ـ ٣٤٥، مرآة الجنان : ٢/ ٢٩٤، البداية والنهاية : ١١/ ١٩٦، غاية النهاية : ٢٣٠/٢ ـ ٢٣٢، النجوم الزاهرة : ٣/ ٢٦٩، بغية الوعاة : ٩١ ـ ٩٢، شذرات الذهب : ٣١٥/٢ ـ ٣١٦.

(١) ثَعْلَب (٢٠٠ ـ ٢٩١هـ/٨١٦ ـ ٩١٤م) هو : أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيبانيّ بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب، إمام الكوفيين في النحو واللغة، كان راوية للشعر، محدثا، مشهورا بالحفظ وصدق اللهجة، ثقة حجة . ولد ومات في بغداد . وأصيب في أواخر أيامه بصمم فصدمته فرس فسقط في هوة، فتوفي على الأثر، من كتبه (الفصيح) و(قواعد الشعر) رسالة، و(شرح ديوان زهير) و(شرح ديوان الأعشى) و(مجالس ثعلب) مجلدان، وسماه (المجالس) و(معاني القرآن) و(ما تلحن فيه العامة) و(معاني الشعر) و(الشواذ) و(إعراب القرآن) وغير ذلك .

ترجمته في : مروج الذهب ٤٩٧/٢ ٤٩٦، طبقات النحويين واللغويين، ص١٥٠ ١٤١، فهرست ابن النديم، ص١١١ ١١٠، تاريخ بغداد ٢١٢/٥ ٢٠٤، نزهة الالباء، ص٢٣٢ ٢٢٨، معجم الأدباء ١٤٦/٥ ١٠٢، إنباه الرواة ١٥١/١ ١٣٨، تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢٧٥، وفيات الأعيان ١٠٤/١ ١٠٢، تذكرة الحفاظ ٦٦٧/٢ ٦٦٦، العبر ٢/ ٨٨، دول الإسلام ١/ ١٧٦، الوافي بالوفيات ٢٤٥/٨ ٢٤٣، مرآة الجنان ٢٢٠/٢ ٢١٨، البداية والنهاية ١١/ ٩٨، البلغة في تاريخ أئمة اللغة، ص٣٥ ٣٤، طبقات القراء للجزري ١٤٩/١ ١٤٨، النجوم الزاهرة ٣/ ١٣٣، طبقات الحفاظ، ص ٢٩٠، بغية الوعاة ٣٩٨/١ ٣٩٦، مفتاح السعادة ١٤٦/١ ١٤٥، شذرات الذهب ٢٠٨/٢ ٢٠٧.

(٢) ق : ٢٣.

ومن أسمائه « الوكيل » . وأجمع المتكلمون على إطلاق القول به في القديم أنه « وكيل » مع مجيء ذلك نصًا في كتاب الله ، وقد كان هشام بن عمرو الفُوطي[١] ينكر إطلاق ذلك في القديم ، ويقول : حسبي الله ، ونعم المتوكل عليه .

واختلف اللغويون في تأويله :

* فقال الفراء[٢] : الوكيل الكافي ، وفسر قوله : ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾[٣] . أي : كافيا[٤] .

* وقال آخرون : الوكيل الكفيل ، ومعنى - عندهم - : « حسبي الله ، ونعم الوكيل » . أي : ونعم الكفيل بأرزاقنا ، واحتجوا لذلك بما أنشدنا ابن دُريد[٥] ، لبعض

---

(١) هشام بن عمرو أبو محمد الفوطي ، المعتزلي ، الكوفي ، مولى بني شيبان . صاحب ذكاء وجدال وبدعة ووبال . أخذ عنه : عباد بن سلمان ، وغيره . ونهى عن قول : (حسبنا الله ونعم الوكيل) ، وقال : لا يعذب الله كافرا بالنار ، ولا يحيي أرضا بمطر ، ولا يهدي ولا يضل . ويقول : يعذبون في النار ، لا بها ، ويحيي الأرض عند المطر ، لا به ، وأن معنى : نعم الوكيل ، أي : المتوكل عليه .

ترجمته في : طبقات المعتزلة : ٦١، الفهرست لابن النديم : ٢١٤، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٤٧.

(٢) أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي ، كان مولده تقريبا في حدود سنة أربع وأربعين ومائة بالكوفة في عهد المنصور ، ولقب بالفراء لأنه يفرى (يحسن) الكلام ، وكان يقال : إنه أمير المؤمنين في النحو ، ومن مؤلفاته «معاني القرآن» ، كانت وفاته وهو في طريق عودته إلى مكة سنة سبع ومائتين ، وقيل : تسع ومائتين .

ترجمته عند ياقوت : معجم الأدباء ٢٠/ ٩ - ١٤، الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ص ١٣١، الأنباري : نزهة الألباء ص ٩٨.

(٣) الإسراء : ٢.

(٤) الفراء : معاني القرآن ٢/ ١١٦.

(٥) ابن دُرَيْد (٢٢٣ - ٣٢١هـ/٨٣٨ - ٩٣٣م) هو : محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، من أزد عمان من قحطان ، أبو بكر : من أئمة اللغة والأدب . كانوا يقولون : ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء . وهو صاحب (المقصورة الدريدية) ، ولد في البصرة ، وانتقل إلى عمان فأقام اثني عشر عاما ، وعاد إلى البصرة . ثم رحل إلى نواحي فارس ، فقلده (آل ميكال) ديوان فارس ، ومدحهم بقصيدته (المقصورة) ثم رجع إلى بغداد ، واتصل بالمقتدر العباسي فأجرى عليه في كل شهر خمسين دينارا ، فأقام إلى أن توفي . ومن كتبه (الاشتقاق) ، و(المقصور والممدود) و(شرحه) و(الجمهرة) في اللغة ، ثلاثة مجلدات ، أضاف إليها المستشرق كرنكو مجلدا رابعا للفهارس ، و(ذخائر الحكمة) رسالة ، و(المجتنى) و(صفة السرج واللجام) و(الملاحن) و(السحاب والغيث) و(تقويم اللسان) و(أدب الكاتب) و(الأمالي) ، و(الوشاح) و(زوار العرب) و(اللغات) . =

المتقدمين[١] :

ذكرت أبا أروى فبتُّ كأنني لرد الأمور الماضيات وكيل

أي : كفيل[٢] .

فأما « الصمد » : فقد اختلفوا فيه :

* قال قائلون : بمعنى الأول .

* وقال آخرون : هو الباقي .

* وقال غيرهم : هو الذي انتهى سؤدده[٣] .

* وقال قائلون : هو المصمود إليه في النوائب والحوادث ، وهذا القول أصح عند اللغويين وأهل النظر ، لوجود ذلك كثيرا شائعا ذائعا فيما بينهم : أنشدنا ابن الأنباري[٤] :

= ترجمته في : مروج الذهب ٢/ ٥١٨، طبقات الزبيدي ، ص ٢٠١ ، معجم الشعراء ، ص ٤٢٥، الفهرست ، ص٩١ ـ ٩٢، تاريخ بغداد ١٩٥/٢ ـ ١٩٧، نزهة الألباء ، ص١٧٥ ـ ١٧٨، معجم الأدباء ١٢٧/١٨ ـ ١٤٣، إنباه الرواة ٩٢/٣ ـ ١٠٠، وفيات الأعيان ٣٢٣/٤ ـ ٣٢٩، العبر ٢/ ١٨٧، ميزان الاعتدال ٣/ ٥٢٠، الوافي بالوفيات ٣٣٩/٢ ـ ٣٤٣، مرآة الجنان ٢٨٢/٢ ـ ٢٨٤، طبقات الشافعية ١٣٨/٣ ـ ١٤٢، البداية والنهاية ١٧٦/١١ ـ ١٧٧، غاية النهاية ٢/ ١١٦، لسان الميزان ١٣٢/٥ ـ ١٣٤، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٤٠ ـ ٢٤١، بغية الوعاة ٣٠ ـ ٣٣، شذرات الذهب ٢٨٩/٢ ـ ٢٩١.

(١) البيت في البيان والتبيين ٣/ ١٢٥ ، والتعازي والمراثي ، ص٢٠٧ غير منسوب ، ونسب في المنازل والديار لابن منقذ ١٠١ لشقران ، ونسب في التمام في تفسير أشعار هذيل مما اغفله ابو سعيد السكري لابن جني لسعران السلاماني .

(٢) قال ابن منظور في «اللسان» : «وفي أسماء الله تعالى الوكيل : هو المقيم الكفيل بأرزاق العباد ، وحقيقته أنه يستقل بأمر التوكل الموكل إليه ، وفي التنزيل العزيز : ﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ . .. وقال أبو إسحاق : الوكيل في صفة الله تعالى الذي توكل بالقيام بجميع ما خلق» اهـ .

وقال ابن جرير في تفسير قوله تعالى : ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ : «كفانا الله ؛ يعني : يكفينا الله ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ ، يقول : ونعم المولى لمن وليه وكفله ، وإنما وصف الله تعالى نفسه بذلك ؛ لأن الوكيل في كلام العرب هو : المسند إليه القيام بأمر من أسند إليه القيام بأمره ، فلما كان القوم الذين وصفهم الله بما وصفهم به في هذه الآيات قد كانوا فوضوا أمرهم إلى الله ، ووثقوا به ، وأسندوا ذلك إليه ؛ وصف نفسه بقيامه لهم بذلك ، وتفويضهم أمرهم إليه بالوكالة ، فقال : ونعم الوكيل الله تعالى لهم» .

(٣) في النهاية لابن الأثير (٥٢/٣) الصمد من أسماء الله سبحانه وتعالى ، هو : السيد الذي انتهى إليه السؤدد ، وقيل : هو الدائم الباقي ، وقيل : هو الذي لا جوف له ، وقيل : الذي يصمد في الحوائج إليه ، أي : يقصد ..

(٤) البيت في البيان والتبيين ١/ ١٦١، وأمالي القالي ١/ ٢٨٨، والجليس الصالح ١/ ٧٠٣، وخزانة الأدب ١١/ ٢٦٩.

أَلاَ بَكَّرَ النَّاعِي بِخَيْرِ بَنِي أَسَدِ   بِعَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ

قال : وأنشدنا آخر[١] :

عَلَوْتُهُ بِحُسَامٍ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ   خُذْهَا حُذَيْفُ فَأَنْتَ السَّيِّدُ الصَّمد[٢]

❊ ❊ ❊

---

(١) البيت في العقد الفريد ٦/ ٢٤، وأمالي القالي ٢/ ٢٨٨، وسمط اللآلئ ١/ ٩٣٢، ونهاية الأرب ١٦/ ٣٦٢.

(٢) قال بعض العلماء ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ السيد الذي يلجأ إليه عند الشدائد والحوائج . وقال بعضهم : هو السيد الذي تكامل سؤدده وشرفه وعظمته ، وعلمه وحكمته . وقال بعضهم ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ هو الذي ﴿لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد﴾ ، وعليه فما بعده تفسير له . وقال بعضهم : هو الباقي بعد فناء خلقه . وقال بعضهم « ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ هو الذي لا جوف له ، ولا يأكل الطعام ، وهو محل الشاهد ، وممن قال بهذا القول ابن مسعود ، وابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، ومجاهد ، وعبد الله بن بريدة ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح ، وعطية العوفي ، والضحاك ، والسدي . كما نقله عنهم ابن كثير وابن جرير وغيرهما .

باب ذكر بيان تأويل قوله سبحانه

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾[١]

اختلف اللغويون والمتكلمون :

إن سأل سائل فقال : إن الخداع مكر واحتيال ، واللّٰه ـ سبحانه ـ يَجِلُّ عنه ، فما معنى الخداع من الله؟

قيل : إن الخداع يقع بالاحتيال والمكر منَّا ، والخداع من اللّٰه : أن يظهر لهم ، ويعجل لهم من الأموال والنعم ما يدخرونه ، ويؤخر عنهم عذابه وعقابه ، إذ كانوا يُظْهِرون الإيمان به وبرسوله ، ويضمرون خلاف ما يظهرون ، فاللّٰه ـ سبحانه ـ يظهر لهم من الإحسان في الدنيا خلاف ما يغيب عنهم ، ويستر من عذاب الآخرة فجمع الفعلان ، لتساويهما من هذه الجهة .

والخداع معناه ـ في كلام العرب ـ الفساد قال ابن الأنباري ، حدثنا أبو العباس النحوي عن ابن الأعرابي[٢] أنه قال : الخادع ـ عند العرب ـ : الفاسد من الطعام وغيره ، وأنشد في ذلك[٣] :

أبيضُ اللَّونِ لذيذٌ طعمهُ طَيِّبَ الرِّيقِ إِذَا الرِّيقُ خَدَعْ

معناه : الريق فسد ، فتأويل قوله : ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾[٤] . أي : يفسدون ما يظهرون

---

(١) النساء : ١٤٢.

(٢) أبو عبد اللّٰه محمد بن زياد الكوفي اللغوي ربيب المفضل الضبي صاحب المفضليات ، كان أبوه عبدا سنديا ، ولد في سنة خمسين ومائة وتوفي لأربع عشرة ليلة خلت من شعبان سنة إحدى وثلاثين ومائتين بسر من رأى ، وصلى عليه القاضي أحمد بن دؤاد الإيادي .

ترجمته عند الخطيب : تاريخ بغداد ٥/ ٢٨٢، القفطي : إنباه الرواة على أنباء النحاة ٣/ ١٢٨، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤/ ٣٠٦.

(٣) البيت لسويد بن أبي كاهل ، ديوانه ٢٤. واطلبه أيضا في إيضاح شواهد الإيضاح ١/ ٤٦٣، ديوان الأدب ٢/ ٢٠٨، تهذيب اللغة ١/ ١١١، والصحاح ٣/ ١٢٠٢، والمجمل لابن فارس ١/ ٢٧٩، ومقاييس اللغة ٢/ ١٦١، والمفضليات ١٩١.

(٤) البقرة : ٩.

من الإيمان بما يضمرون من الكفر ، كما أفسد اللّٰه عليهم نعيمهم في الدنيا بما أصارهم إليه من عذاب الآخرة[١] .

❋ ❋ ❋

---

(١) قارن مع الأسماء والصفات للبيهقي ٦١٨.

باب بيان تأويل قوله سبحانه

﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾(١)

إن سأل سائل فقال: لأي علة خبَّر الله عن نفسه بالاستهزاء، وظاهره ظاهر مستقبح، تأباه العقول، وَيَسْمُجُ ذلك في النفوس؟

قيل له: في هذا عدة أجوبة:

* منها: ما قال عبد الله بن عباس(٢) ـ رضي الله عنهما ـ: إن الله سبحانه يأمر يوم القيامة بأن يفتح للكفار ـ وهم في النار ـ باب إلى الجنة، فيقبلون في النار إليه مسرعين، حتى إذا انتهوا إليه، سُدَّ عنهم، وفُتح لهم باب آخر في موضع آخر، فيقبلون إليه مسرعين، فيسد عنهم، وَيُضْحِكُ الله المؤمنين منهم، فذلك قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾(٣).

* وقال غيره: يُضرب بينهم وبين المؤمنين بسور على الصراط، فيقول الكافرون للمؤمنين: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾(٤). فيقول لهم المؤمنون: ﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾(٥).

---

(١) البقرة: ١٥.

(٢) ابن عبّاس (٣ ق هـ ـ ٦٨هـ = ٦١٩ ـ ٦٨٧م) هو: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس، حبر الأمة، الصحابي الجليل. ولد بمكة. ونشأ في بدء عصر النبوّة، فلازم رسول الله ﷺ وروى عنه الأحاديث الصحيحة. وشهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها. قال ابن مسعود: نعم، ترجمان عباس، كان عمر إذا أعضلت عليه قضية دعا ابن عباس وقال له: أنت لها ولأمثالها، ثم يأخذ بقوله ولا يدعو لذلك أحدا سواه. وكان آية في الحفظ، وينسب إليه كتاب في "تفسير القرآن" جمعه بعض أهل العلم من مرويات المفسرين عنه في كل آية فجاء تفسيرا حسنا. وأخباره كثيرة. ترجمته في: طبقات ابن سعد ٢/ ٣٦٥، نسب قريش، ص ٢٦، طبقات خليفة: ت ٨٢١، ١٤٨٥، ٢٦٠٥، الحلية ١/ ٣١٤، الاستيعاب: ٩٣٣، تاريخ بغداد ١/ ١٧٣، أسد الغابة ٣/ ٢٩٠، تهذيب الأسماء واللغات ١/١/ ٢٧٤.

(٣) المطففين: ٣٤. والأثر أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص ٦١٦، وأخرج نحوه الطبري في تفسيره ٢٤/ ٣٠٤.

(٤) الحديد: ١٣.

(٥) الحديد: ١٣.

قال : فهو الاستهزاء الذي ذكر اللّٰه في كتابه[١] .

* وقال آخرون : معنى الاستهزاء من اللّٰه بهم : أن أظهر لهم من أحكامه في الدنيا خلاف ما لهم في الآخرة ، كما أظهروا للمسلمين خلاف ما أسروا .

* وقد قيل : إن الاستهزاء من اللّٰه ـ سبحانه ـ مخالف للاستهزاء من المخلوقين ، والاستهزاء ـ ههنا ـ من اللّٰه : أن يستدرجهم من حيث لا يعلمون .

* وقد قيل : إن الاستهزاء من اللّٰه معناه : التجهيل ، والتخطئة لهم ، وتأويله : أن اللّٰه يخطئ فعلهم ، ويجهلهم في إقامتهم على الكفر ، فسُمي ذلك استهزاء مجازا واتساعا .

وقال بعض اللغويين : معنى قوله : ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[٢] . أي : يجازيهم على ذلك بالعذاب ، فسُمي جزاء الذنب باسمه ، لانكشاف المعنى وبيانه ، كما تُسمي العرب الشيء باسم الشيء إذا قاربه وصاحبه وعُرف معناه ، من ذلك قولهم للبعير : راوية ، وللمزادة المحمولة على البعير : راوية . لما عرف المعنى في ذلك ، وسموا الكأس : خمرا . والأصل فيها : الإناء الذي يكون فيه الشراب ، لبيان المعنى ، ولكثرة ما يستعملون الخمر في الآنية ، قال الشاعر[٣] :

---

(١) قال ابن جرير : اختلف في صفة استهزاء اللّٰه جل جلاله ، الذي ذكر أنه فاعله بالمنافقين ، الذين وصف صفتهم . فقال بعضهم : استهزاؤه بهم ، كالذي أخبرنا تبارك اسمه أنه فاعل بهم يوم القيامة في قوله تعالى : (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى) [سورة الحديد : ١٣، ١٤] . الآية . وكالذي أخبرنا أنه فعل بالكفار بقوله : ﴿ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما﴾ [سورة آل عمران : ١٧٨] . فهذا وما أشبهه من استهزاء اللّٰه جل وعز وسخريته ومكره وخديعته للمنافقين وأهل الشرك به ـ عند قائلي هذا القول ، ومتأولي هذا التأويل .

وقال آخرون : بل استهزاؤه بهم ، توبيخه إياهم ولومه لهم على ما ركبوا من معاصي اللّٰه والكفر به ، كما يقال : "إن فلانا ليهزأ منه منذ اليوم ، ويسخر منه" ، يراد به توبيخ الناس إياه ولومهم له ، أو إهلاكه إياهم وتدميره بهم ، كما قال عبيد بن الأبرص :

سائل بنا حجر ابن أم قطام ، إذ ظلت به السمر النواهل تلعب

(٢) البقرة : ١٥.

(٣) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ١٦٩/٢ قال : ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ : مجازه : ليس فيها غول . والغول : أن تغتال عقولهم . قال الشاعر : " وما زالت الكأس . . . . البيت" . وقال الفراء في معاني القرآن ٣/ ١٠٥ : وقوله : ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ : " لو قلت : لا غول فيها كان رفعا ونصبا (أي كانت "لا" عاملة عمل ليس =

وَمَا زَالَتِ الْكَأْسُ تَغْتَالُنَا وَتَـذْهَـبُ بِـالْأَوَّلِ الْأَوَّلِ

فإذا جاز أن يسمى البعير باسم المزادة ، لكثرة الاصطحاب ، جاز أن يسمى جزاء الذنب باسم الذنب ، لكثرة الاصطحاب ، ولزوال اللبس والإشكال .

وقد قيل : إن اللّٰه ـ سبحانه ـ خبر عن نفسه بالاستهزاء ، لأنه قدّم قبل ذلك ذكر استهزائهم ، قال : ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾(١) . ثم قال : ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾(٢) . فسمَّى فعله استهزاء وليس باستهزاء على الحقيقة ، لتزدوج اللفظة الثانية مع اللفظة الأولى ، فيكون ذلك أخف على اللسان من المخالفة بينهما ، قال : ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾(٣) . فالأولى سيئة ، والثانية ليست بسيئة ، لأنها عدل وإنصاف ، فحُمل على اللفظ الأول ، لما وصفنا ، قال عمرو بن كلثوم(٤) :

أَلاَ لاَ يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا(٥)

= أو عمل إن) . قال : فإذا حلت بين الغول بلام أو بغيرها من الصفات (حروف جر) لم يكن إلا الرفع . والغول : يقول : ليس فيها غيلة ، غائلة وغول . اهـ . وأنشد البيت في (اللسان : غول) ، والمخصص ١٧/ ٦، وتاج العروس . عن أبي عبيدة ، وفيه : "الخمر" في وضع : "الكأس" .اهـ . وانظره في تفسير الطبري (٣٥/٢٣) .

(١) البقرة : ١٤.

(٢) البقرة : ١٥.

(٣) الشورى : ٤٠.

(٤) عَمْرو بن كُلْثُوم (نحو ٤٠ ق هـ/ نحو ٥٨٤م) هو : عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتّاب ، من بني تغلب ، أبو الأسود : شاعر جاهلي ، من الطبقة الأولى . ولد في شمالي جزيرة العرب في بلاد ربيعة . وتجوّل فيها وفي الشام والعراق ونجد . وكان من أعز الناس نفسا ، وهو من الفتاك الشجعان . ساد قومه (تغلب) وهو فتى ، وعمر طويلا . وهو الّذي قتل الملك عمرو بن هند . أشهر شعره معلقته التي مطلعها : " ألا هبّي بصحنك فاصبحينا " يقال : إنها كانت في نحو ألف بيت ، وإنما بقي منها ما حفظه الرواة ، وفيها من الفخر والحماسة العجب . مات في الجزيرة الفراتية .

ترجمته في الأعلام ٥/ ٨٤، خزانة الأدب للبغدادي ٣٣٣/٢ ـ ٣٣٦، والمرزباني ص ٢١٤.

(٥) انظر : ديوانه ، ص ١١٧، والمعلقات السبع ، ص ٥٢٨، والأغاني ٤/ ٢٢٨، ونهاية الأرب ١٢/ ٣٦٦، وخزانة الأدب ٨/ ٣٦٨، وجمهرة أشعار العرب ٢/ ٤١.

و «ألا» استفتاحية تفيد التوكيد ـ و«لا» ناهية . والنون لتوكيد النهى . أى : لا يسفهن أحد علينا ويبدأنا بالشر ، ونجهل : نصب بأن مضمرة بعد فاء السببية لأنه بعد النهى . وسمى جزاء الجهل جهلا مشاكلة ، أى : فنجازيه فوق فعله بنا ، أو فوق جهل كل جاهل وزيادة عليه .

فيحمل قوله : « فنجهل فوق جهل الجاهلينا » على معنى : فنعاقبه بأغلظ عقوبة[١] ، فسمى ذلك جهلا ، والجهل لا يفخر به ذو عقل ، وإنما قاله ليزدوج اللفظان[٢] .

---

(١) زارد المسير ١/ ٣٥.

(٢) قال صاحب معارج القبول بعد أن ذكر مثل هذه الآيات : فلا يجوز أن يطلق على الله تعالى مخادع ماكر ناس مستهزئ ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه ، ولا يقال : الله يستهزئ ويخادع ويمكر وينسى على سبيل الإطلاق ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : إن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء مطلقا ، ولا ذلك داخل في أسمائه الحسنى ومن ظن من الجهال المصنفين في شرح الأسماء الحسنى أن من أسمائه تعالى الماكر المخادع المستهزئ الكائد فقد فاه بأمر عظيم تقشعر منه الجلود وتكاد الأسماع تصم عند سماعه ، وغر هذا الجاهل أنه سبحانه وتعالى أطلق على نفسه هذه الأفعال فاشتق له منها أسماء وأسماؤه تعالى كلها حسنى فأدخلها في الأسماء الحسنى وقرنها بالرحيم الودود الحكيم الكريم ، وهذا جهل عظيم فإن هذه الأفعال ليست ممدوحة مطلقا بل تمدح في موضع وتذم في موضع فلا يجوز إطلاق أفعالها على الله تعالى مطلقا فلا يقال : إنه تعالى يمكر ويخادع ويستهزئ ويكيد فكذلك بطريق الأولى لا يشتق له منها أسماء يسمى بها بل إذا كان لم يأت في أسمائه الحسنى المريد والمتكلم ولا الفاعل ولا الصانع لأن مسمياتها تنقسم إلى ممدوح ومذموم وإنما يوصف بالأنواع المحمودة منها كالحليم والحكيم والعزيز والفعال لما يريد فكيف يكون منها الماكر والمخادع والمستهزئ ثم يلزم هذا الغالط أن يجعل من أسمائه الحسنى الداعي والآتي والجائي والذاهب والقادم والرائد والناسي والقاسم والساخط والغضبان واللاعن إلى أضعاف أضعاف ذلك من التي أطلق تعالى على نفسه أفعالها في القرآن ، وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل والمقصود أن الله سبحانه وتعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق ، وقد علم أن المجازاة على ذلك حسنة من المخلوق فكيف من الخالق سبحانه وتعالى .

قلت ومن هنا يتبين لك ما ذكرنا من النظر في بعض ما عده ابن العربي فإن الفاعل والزارع إذا أطلقا بدون متعلق ولا سياق يدل على وصف الكمال فيهما فلا يفيدان مدحا ، أما سياقها من الآيات التي ذكرت فيها فهي صفات كمال ومدح وتوحد كما قال تعالى : ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء : ١٠٤]

وقال تعالى : ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [الواقعة : ٣٦-٦٤]

الآيات بخلاف ما إذا عدت مجردة عن متعلقاتها وما سيقت فيه وله ، وأكبر مصيبة أن عد في الأسماء الحسنى رابع ثلاثة وسادس خمسة مصرحا قبل ذلك بقوله : وفي سورة المجادلة اسمان ، فذكرهما وهذا خطأ فاحش فإن الآية لا تدل على ذلك ولا تقتضيه بوجه لا منطوقا ولا مفهوما فإن الله عز وجل قال : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة : ٨]

الآية وأين في هذا السياق رابع ثلاثة سادس خمسة؟ وكان حقه اللائق بمراده أن يقول : رابع كل ثلاثة في نجواهم وسادس كل خمسة كذلك فإنه تعالى يعلم أفعالهم ويسمع أقوالهم كما هو مفهوم من صدر الآية ولكن لا يليق بهذا المعنى إلا سياق الآية . والله تعالى أعلم .

باب

بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾(١)

اعلم ـ وفقك اللّٰه للخير برحمته ـ أن المكر من اللّٰه استدراجه(٢) إياهم من حيث لا يشعرون ، وقد يوصف اللّٰه ـ سبحانه ـ بالمكر على هذا المعنى ، ولا يوصف بالاحتيال ؛ لأن المحتال الذي يقلب الفكرة حتى يهتدي بتقليب الفكرة إلى وجه ما أراد .

والماكر : الذي يستدرج فيأخذ من وجه غفلة المستدرَج ، قال اللّٰه تعالى : ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٣) . قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : معنى

---

(١) الأنفال : ٣٠.

(٢) قال العز بن عبد السلام : الاستدراج : أن يأتي الشيء من حيث لا يعلم ، أو أن ينطوي منزلة بعد منزلة من الدرج لانطوائه على شيء بعد شيء ، أو من الدرجة لانحطاطه عن منزلة بعد منزلة ، يستدرجون إلى الكفر ، أو إلى الهلكة بالإمداد بالنعم ونسيان الشكر ، أو كلما أحدثوا خطيئة جدد لهم نعمة ، والاستدراج بالنعم الظاهرة ، والمكر بالباطنة . ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ بالاستدراج ، أو الهلكة . تفسير القرآن ١ / ٥١٦.

(٣) الأعراف : . ١٨٢.

قال الخليل بن أحمد : سنطوي أعمارهم في اغترار منهم ، وقال أبو عبيدة : الاستدراج أن تدرج إلى الشيء في خفية قليلا قليلا ولا تهجم عليه وأصله من الدرجة وذلك أن الراقي والنازل يرقى وينزل مرقاة مرقاة ومنه درج الكتاب طواه شيئا بعد شيء ودرج القوم ماتوا بعضهم في إثر بعض ، وقال ابن قتيبة : هو أن يذيقهم من بأسه قليلا قليلا من حيث لا يعلمون ولا يتابعهم به ولا يجاهرهم ، وقال الأزهري سنأخذهم قليلا قليلا من حيث لا يحتسبون وذلك أن اللّٰه تعالى يفتح بابا من النعمة يغتبطون به ويركنون إليه ثم يأخذهم على غرتهم أغفل ما يكون انتهى ومنه درج الصبي إذا قارب بين خطاه والمعنى سنسترقهم شيئا بعد شيء ودرجة بعد درجة بالنعم عليهم والإمهال لهم حتى يغتروا ويظنوا أنهم لا ينالهم عقاب ، وقال الجبائي سنستدرجهم إلى العقوبات حتى يقعوا فيها من حيث لا يعلمون استدراجا لهم إلى ذلك فيجوز أن يكون هذا العذاب في الدنيا كالقتل ويجوز أن يكون عذاب الآخرة ، وقال الزمخشري : ومعنى سنستدرجهم سنستدنيهم قليلا قليلا إلى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك أن يواتر اللّٰه نعمة عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين أن مواترة النعم أثرة من اللّٰه وتقريب ، وإنما هي خذلان منه وتبعيد فهذا استدراج اللّٰه نعوذ باللّٰه تعالى منه ، من حيث لا يعلمون قيل : بالاستدراج ، وقيل : بالهلاك ، وقرأ النخعي وابن وثاب : سيستدرجهم بالياء فاحتمل أن =

استدراجه إياهم : أنهم كلما أحدثوا خطيئة ، جدد لهم نعمة[1] .

* * *

= يكون من باب الالتفات واحتمل أن يكون الفاعل ضمير التكذيب المفهوم من كذبوا أي سيستدرجهم هو أي التكذيب . البحر المحيط لأبي حيان ٥/ ٢٣٣.

(١) روي عن الحسن كما في تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) ٥/ ١٠١، وروي عن الضحاك كما في تفسير الواحدي ٢/ ٤٣١.

باب بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[١]

اعلم أن النسيان على وجهين :

أحدهما : نسيان إغفال .

والآخر : نسيان ترك[٢] .

والله سبحانه منفي عنه الإغفال ؛ لأن المُغَفَّلَ لا يغفل إلا عن :

* ضَعْفِ نَحِيزَة[٣] .

* أو شُغْلٍ لبعض الأمور له عن بعض .

* أو آفة حلت طبيعته

فلما كان الله ـ سبحانه ـ متنزِّهًا عن ذلك كله ، كان منزها عن النسيان بمعنى الإغفال .

وأما النسيان بمعنى الترك : فنحو قوله ـ عز وجل ـ : ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[٤] . بمعنى : أنهم تركوا طاعة الله ، فترك الله ثوابهم ، وقال في موضع آخر : ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾[٥] . أي : نترككم من الرحمة والخير ، كما تركتم العمل لمعادكم ، وكذلك قوله ـ سبحانه ـ : ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾[٦] . أي : فترك[٧] .

---

(١) التوبة : ٦٧.

(٢) قال أبو عبد الله ، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي في شرح سلم الوصول في علم الأصول ٢/ ٥: قوله تعالى : ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ . قال رحمه الله تعالى : معناه تركوا الله . ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ تركوا الله أن يُطيعوه ويتبعوا أمره فتركهم الله ، إذًا فسر النسيان هنا بماذا؟ بمعنى الترك ، تركهم من ماذا؟ فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته .

(٣) نَحيزة الرجل : طبيعتُه وغريزته وَالجمع نحائز . العين ٣/ ١٦٣، جمهرة اللغة ١/ ٥٣٠.

(٤) التوبة : ٦٧.

(٥) الجاثية : ٣٤.

(٦) طه : ١١٥.

(٧) راجع تفسير الطبري ٦/ ١٣٣.

باب بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآيِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾[(١)]

اعلم أن اللّٰه ـ سبحانه ـ لا يوصف بالقيام الذي هو انتصاب ؛ لأن الانتصاب نعت ، والمنتصب ينعت بانتصابه ، ولكنه القائم بأمر خلقه ، بمعنى : أنه مدبر لأحوالهم وحاجاتهم ، وهو الحافظ لهم ، يكلؤهم في آناء ليلهم ونهارهم ، وهذا واضح في اللغة تقول العرب : فلان يقوم بأمر أهل بيته ، وأمرِ أهل مصره . تريد به : أنه هو المدبر لهم ، والناظر في أمرهم . ويقول القائل : أنا أقوم بحقك وحاجتك . يريد : أنا أشفعها لك ، وإن لم يكن فيها قيام انتصاب ، قال اللّٰه ـ سبحانه ـ : ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآيِمًا﴾[(٢)] . يريد : ما دمت عليه مواظبا بالاختلاف إليه ، والاقتضاء له والمطالبة ، ولم يُرد القيام الذي هو انتصاب ؛ قال الأعشى[(٣)] :

يقوم على الْوَغْم[(٤)] في قومه ويعفو إذا شاء أو ينتقم[(٥)]

يريد بقوله : على الوغم : أنه يطالب بالذَّحل ، يعني : الحقد ، ويسعى في ذلك حتى يدركه . فالقيام متصرف على هذه الوجوه ، ولا يوصف القديم ـ جل جلاله ـ إلا بما يليق به .

---

(١) الرعد : ٣٣.

(٢) آل عمران : ٧٥.

(٣) هو : ميمون بن قيس بن جندل ، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي ، أبو بصير ، المعروف بأعشى قيس ، ويقال له : أعشى بكر بن وائل ، والأعشى الكبير : من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية ، وأحد أصحاب المعلقات . كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس ، غزير الشعر ، يسلك فيه كل مسلك ، وليس أحد ممن عرف قبله أكثر شعرا منه . وكان يغني بشعره ، فسمي (صناجة العرب) قال البغدادي : كان يفد على الملوك ولا سيما ملوك فارس ، عاش عمرا طويلا ، وأدرك الإسلام ولم يسلم . ولقب بالأعشى لضعف بصره . وعمي في أواخر عمره . مولده ووفاته في قرية (منفوحة) باليمامة قرب مدينة (الرياض) وفيها داره ، وبها قبره . أخباره كثيرة ، ومطلع معلقته :

ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالي وما ترد سؤالي

ترجمته في الأغاني ٩/١٠٨، وجمهرة أشعار العرب ٢٩، ٥٦ ومعجم االشعراء للمرزباني ٤٠١ والشعر والشعراء ١/ ٧٩، ورغبة الآمل ٤/ ٧٠.

(٤) الوغم التِرة والذحل ، يقوم عليه في قومه أي يطالب فإذا قدر فهو بالخيار إن شاء عفا وإن شاء انتقم المعاني الكبير ٢/ ١٠٢٣.

(٥) البيت في المعاني الكبير ٢/ ١٠٢٣، ، وأمالي القالي ٢/ ٢٦٣، والسمط ١/ ٩٠٢.

باب بيان تأويل قوله سبحان:

﴿يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾[١]

اعلم أن اللّٰه ـ سبحانه ـ هو المدبر للأمور، فإذا أعطى عطية وأخذها، قيل: قبض اللّٰه عطيته، فإذا مات ميت، قيل: قبضه اللّٰه إليه، وليس يعني بالقبض: القبض بالبراجم[٢]، ولا بالبسط: بسطها، قال اللّٰه تعالى: ﴿ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا﴾[٣]. والشمس لا تُقبض بالبراجم، وقال في موضع آخر: ﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ﴾[٤]. أي: يبسط بأن يسبغه له، وقابض ما يشاء من عباده، منتزع عنهم ذلك.

* * *

(١) البقرة: ٢٤٥.

(٢) أي العقد التي على ظهر مفاصل الأصابع.

(٣) الفرقان: ٤٦.

(٤) الرعد: ٢٦.

باب : بيان تأويل قول المسلمين : (الأشياء كلها بين يديِ اللَّه)

اعلم أنهم قالوا ذلك ، لموضعِ جَزْيِ قدرتِهِ عليها ، وإحاطتِهِ بها ، وكذلك المعنى في "قُدَّامَهُ" على ما يجوز في اللغة من أن يقال : أنا بين يديك ، وأنا قُدَّامَكَ ، وفي يديك . يريدون : أنه لا يستطيع الامتناع منك ، قال النابغة الذبياني[١] :

حَلفتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفسِكَ رِيبَةً   وَلَيسَ وَرَاءَ اللهِ للمرءِ مَذْهَبُ[٢]

يريد : ليس للخلق مفر ولا ملجأ إلا إليه ، ولم يرد أن يثبت وراء اللَّه للعباد إليه مفرًا .

* * *

(١) النابغة الذبياني (نحو ١٨ ق هـ/نحو ٦٠٤م) هو : زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري ، أبو أمامة : شاعر جاهلي ، من الطبقة الأولى . من أهل الحجاز ، كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها . وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة . كان حظيا عند النعمان بن المنذر ، حتى شبب في قصيدة له بالمتجردة (زوجة النعمان) فغضب منه النعمان ، ففر النابغة ووفد على الغسانيين بالشام ، وغاب زمنا . ثم رضي عنه النعمان فعاد إليه . شعره كثير وكان أحسن شعراء العرب ديباجة ، لا تكلف في شعره ولا حشو . عاش عمرًا طويلًا .
ترجمته في : الأعلام ٣/ ٥٤.

(٢) البيت في ديوان النابغة الذبياني ص(٥٥) وانظره أيضا في جمهرة أشعار العرب ١/ ٧٢، والمحاسن والأضداد ٢٦٢، والشعر والشعراء ١/ ١٥٧، والعقد الفريد ١/ ٣٧.

باب : بيان تأويل القول : الفرار من اللّٰه سبحانه

اعلم : أن الفرار على وجهين :

أحدهما : أن يكون الفارُّ يُعْجِزُ مَنْ فَرَّ منه ، وهذا منفيٌّ عن اللّٰه سبحانه .

والمعنى الآخر : أن يقال : قد فرتِ العصاة من اللّٰه ، على معنى : أنهم فروا عن طاعته ، وكذلك يقال : أَبَقَ العبدُ من ربه ، أي : أدبر عن طاعته . وقد فرت العصاة من طاعة اللّٰه وثوابه إلى عذابه وسخطه ، فعلى هذا المعنى يتأول الفرار من اللّٰه ، لا على المعنى الأول .

❊ ❊ ❊

باب : بيان تأويل قوله ـ سبحانه ـ : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[(١)]
وقوله ـ سبحانه ـ : ﴿مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ﴾[(٢)]

زعمتِ المشبهة : أن اللّٰه ـ سبحانه ـ يُظْهِرُ يوم القيامة ساقَهُ وعليها شعيرات ، واحتجوا بهذه الآية غفلةً منهم عن تأويلها ، وإنما تأويل قوله : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[(٣)] . أي : شدة الأمر ، كذلك قال قتادة[(٤)] ، وقال إبراهيم النخعي[(٥)] : عن أمر عظيم[(٦)] ، وقد قال

---

(١) القلم : ٤٢.

(٢) الزمر : ٥٦.

(٣) القلم : ٤٢.

(٤) قتادة بن دعامة (٦١ ـ ١١٨هـ/٦٨٠ ـ ٧٣٧م) هو : قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز ، أبو الخطاب السدوسي البصري : مفسر حافظ ضرير أكمه . قال الإمام أحمد بن حنبل : قتادة أحفظ أهل البصرة . وكان مع علمه بالحديث ، رأسا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب . وكان يرى القدر ، وقد يدلس في الحديث . مات بواسط في الطاعون .
ترجمته في : طبقات ابن سعد ٧/ ٢٢٩، طبقات خليفة(٢١٣) ، تاريخ خليفة ٣٣٢ و ٣٤٨، التاريخ الكبير ٧/ ١٨٥، التاريخ الصغير ١/ ٢٨٢، المعارف : ٤٦٢، تاريخ الفسوي ٢/ ٢٧٧، الجرح والتعديل ٧/ ١٣٣، جمهرة الأنساب : ٣١٨، طبقات الشيرازي : ٨٩، معجم الأدباء ١٧/ ٩، ١٠، تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٥٧، وفيات الأعيان ٤/ ٨٥، تذكرة الحفاظ ١/ ١٢٢، ميزان الاعتدال ٣/ ٣٨٥، العبر ١/ ١٤٦، نكت الهميان ٢٣٠، البداية والنهاية ٩/ ٣١٣، ٣١٤، طبقات القراء ٢/ ٢٥، تهذيب التهذيب ٨/ ٣٥١، النجوم الزاهرة ١/ ٢٧٦، طبقات الحفاظ : ٤٧، طبقات المفسرين ٢/ ٤٣، شذرات الذهب ١/ ١٥٣.

(٥) النخعي (٤٦ ـ ٩٦هـ/٦٦٦ ـ ٨١٥م) هو : إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود ، أبوعمران النخعي ، من مذحج ، من أكابر التابعين صلاحا وصدق رواية وحفظا للحديث . من أهل الكوفة . مات مختفيا من الحجاج . قال فيه الصلاح الصفدي : فقيه العراق ، كان إماما مجتهدا له مذهب . ولما بلغ الشعبي موته قال : واللّٰه ما ترك بعده مثله
ترجمته في : طبقات ابن سعد ٦/ ٢٧٠، وطبقات خليفة ت ١١٤٠، وتاريخ البخاري ١/ ٣٣٣، والمعارف ٤٦٣، والمعرفة والتاريخ ٢/ ١٠٠ و ٦٠٤، والجرح والتعدل القسم الأول من المجلد الأول ١٤٤، والحلية ٤/ ٢١٩، وطبقات الفقهاء للشيرازي ٨٢، وتهذيب الأسماء واللغات القسم الأول من الجزء الأول ١٠٤، ووفيات الأعيان ١/ ٢٥، وتذكرة الحفاظ ١/ ٦٩، والعبر ١/ ١١٣، وشذرات الذهب ١/ ١١١، والأعلام ١/ ٨٠.

(٦) الملاحظ ورود هذه الصفة مُنكّرة دون أن تضاف إلى اللّٰه بخلاف الصفات الأخرى ، التي جاءت مضافة إلى اللّٰه ومختصة به ، ذلك الاختصاص الذي يزيل الإشكال ، أو دعوى المشاركة بين الخالق والمخلوق في =

الشاعر(١) :

وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقِ

أي : شدة .

وأصل هذا : أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى معاناة وَجِدٍّ فيه ، شمَّر عن ساقه ، فاستعيرت الساق في موضع الشدة ، وقال دُرَيْدُ بنُ الصمةِ(٢) يرثي رجلا :

= حقائق الصفات .

وهذا التنكير هو الذي جعل الصحابة والتابعين يختلفون في المراد (بالساق) ، هل الساق صفة من صفات الله كالوجه واليد والقدم؟ أو للساق معنىً آخر . روي عن ابن عباس قوله : إن الله يكشف عن قدرته التي تظهر بها الشدة . وأسند البيهقي الأثر المذكور عن ابن عباس بسندين كلاهما حسن [ابن حجر فتح الباري نقلًا عن الخطابي ١٧/ ٢٠٠.] .

وجاء عن أبي موسى الأشعري في تفسير الساق "عن نور عظيم" . وقال ابن فورك : معناه ما يتجدد للمؤمنين من العفو والألطاف . ويروى عن المهلب : كشف الساق للمؤمنين رحمة ولغيرهم نقمة .

وذكر ابن القيم اختلاف الصحابة في المراد بالساق ، ويرى أنه ليس في ظاهر الآية ما يدل على أنه صفة لله تعالى ، لأنه سبحانه وتعالى لم يضف الساق إلى نفسه بل ذكره مجردًا ومُنكّرًا كما تقدم [مختصر الصواعق المرسلة ص : ٢٣] .

ويرى ابن القيم أن الذين يثبتونه صفة لله ، إنما يثبتونه بدليل خارجي ، وهو حديث أبي سعيد الخدري المتفق على صحته ، وهو من أحاديث الشفاعة ويميل ابن القيم إلى أن الساق صفة من صفات الله مثل الوجه واليد وغيرهما ، وتنكيره للتعظيم والتفخيم .

ويرى ابن القيم أن حمل الآية على الشدة لا يصح ويعلل ذلك لأن في لغة العرب إنما يقال كُشِفَتْ الشدة عن القوم ، ولا يقال كشفت عن الشدة ، مثل قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ﴾ ، فالعذاب هو المكشوف في الآية وليس هو المكشوف عنه .

ويرى ابن القيم أن سياق الآية يوم يكشف عن ساق لا يدل على ما قيل إن معنى الساق الشدة . فلذلك يرى أن تُفسّر الآية بحديث أبي سعيد الخدري الذي أشرنا إليه ، فيصبح معنى الآية - في ضوء الحديث المذكور : "يوم يكشف الله لعباده عن ساقه فيدعون إلى السجود فيسجد المؤمنون الذي يسجدون لله مخلصين له الدين ، أما المنافقون المراءون الذين كانوا يسجدون رياء وسمعة فلا يستطيعون السجود . الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه ، ص ٣١٥.

(١) عجز بيت صدره :

صبـرًا أُمـامُ إنّـه شـرٌّ بـاقِ . . . .

والبيت بلا نسبة في تفسير البحر المحيط لأبي حيان ٨/ ٣١٠، وفتح القدير ٥/ ٢٧٥، وتفسير الطبري ١٢/ ١٩٧.

وجاء على هيئة المثل . كما في اللسان (مادة سوق) ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص(٤٨١) .

(٢) دريد بن الصمة (٨هـ/ ٦٣٠م) هو : دريد بن الصمة الجشمي البكري ، من هوازن : شجاع ، من الأبطال ،=

كَمِيشُ الإزار خارج نصف ساقه صبور على الجلاَّء طلاَّعُ أَنْجُدِ[(١)]

وقال الهذلي[(٢)] :

وكنتُ إذا جاري دعا لِمَضُوفَةٍ[(٣)] أُشَمِّرُ حتى يَنْصِفَ الساق مئزري

وأما قوله سبحانه : ﴿مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[(٤)] . فإن اللغويين قالوا : معناه : ما فرطت في طاعة اللَّه وأمره ؛ لأن التفريط لا يقع إلا في ذلك ، ولا يصلح إلا له ، والجنب المعهود من ذي الجوارح لا يقع فيه تفريط ، فكيف يجوز وصف القديم بما لا يجوز وجود ذلك فيه ، تعالى اللَّه عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا .

وحكى ثعلب في الجنب أنه أمره ، وأنشد[(٥)] :

خليلي كفا واذكرا اللَّه في جنبي . . . .

أي : أمري .

=الشعراء ، المعمرين في الجاهلية . كان سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم ، وغزا نحو مائة غزوة لم يهزم في واحدة منها . وعاش حتى سقط حاجباه عن عينيه ، وأدرك الإسلام ، ولم يسلم ، فقتل على دين الجاهلية يوم حنين ، وكانت هوازن خرجت لقتال المسلمين فاستصحبته معها تيمنا به ، وهو أعمى ، فلما انهزمت جموعها أدركه ربيعة بن رفيع السلميّ فقتله . له أخبار كثيرة . والصمة لقب أبيه مُعَاوِيَة بن الحارث .

ترجمته في : الأغاني طبعة دار الكتب ١٠/٣ ـ ٤٠ والمحبر ٢٩٨، ٢٩٩ وفيه : (واسم الصمة : معاوية بن الحارث ابن معاوية بن بكر بن هوازن) وشرح الشواهد ٣١٧ والتبريزي ٢/١٥٦ وتهذيب الأسماء واللغات ، القسم الأول من الجزء الأول ١٨٥ وخزانة البغدادي ٤/٤٤٦ والروض الأنف ٢٨٧.

(١) البيت في الأصمعيات ، ص١٠٨، والشعر والشعراء ٢/ ٧٣٩، والتعازي والمراثي ، ص٥٨، والكامل ١/ ٣٠١، وأمالي اليزيدي ، ص٣٨.

(٢) هو أبو جندب الهذلي كما في شرح أشعار الهذليين ٣٥٨، واللسان (جور ، ضيف ، نصف ، كون) ، والتاج (حير ، ضوف ، ضيف) ، وأساس البلاغة (ضيف) ، والمعاني الكبير ٧٠٠، ١١١٩، وبلا نسبة في شرح المفصل ١٠/ ٨١، والممتع في التصريف ٢/ ٤٧٠، والمنصف ١/ ٣٠١.

(٣) قال في الفاخر ، ص١٢٩: كان الأصل : مَضْيُفَة أي أمر ينزل به من الضيافة . والياء حرف إعراب والضمة حرف إعراب فاستثقلوا ذلك ، فنقلوا الضمة إلى الضاد وبقيت الياء ساكنة فانقلبت واوًا للضمة التي قبلها . قال : وتكون مَفْعَلة من الأَوْن وهو الدِّعة والسكون .

(٤) الزمر : ٥٦.

(٥) البيت في اللسان ، والمحكم والتاج مادة (ج ن ب) .

باب بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾[١]

اعلم : أن (فَرَغَ) في كلام العرب على وجهين :

أحدهما : أن يكون بمعنى : قطع شغلا كان فيه ، وخرج منه . هذا المعنى لا يوصف القديم به .

والمعنى الثاني : أن يكون (فرغ) بتأويل : قصد وأحكم كما يقول القائل : ما أنت بشيء إذا تُفُرِّغَ لك ، أي : إذا قُصد قصدك ، ويقال : تفرغت لك من هذا الكلام ، يراد : قد أحكمته لك .

فقوله ـ جل ثناؤه ـ : ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ . معناه : سنقصد لعقوبتكم ، ونحكم جزاءكم ، وأنشدنا ابن الأنباري في هذا المعنى لجرير[٢] :

الْآنَ وَقَدْ فَرَغْتُ إِلَى نُمَيْرٍ ... فَهَذَا حِينَ كُنْتُ لَهَا عَذَابَا[٣]

أراد : وقد قصدت قصدها .

* * *

---

(١) الرحمن : ٣١.

(٢) جرير (٢٨ ـ ١١٠هـ/٦٤٠ ـ ٧٢٨م) هو : جرير بن عطية بن حذيفة الخطفى بن بدر الكلبي اليربوعي ، من تميم : أشعر أهل عصره . ولد ومات في اليمامة . وعاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم ـ وكان هجاءا مرا ـ فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل . وكان عفيفا ، وهو من أغزل الناس شعرا . وأخباره مع الشعراء وغيرهم كثيرة جدا . وكان يكنى بأبي حزرة .

ترجمته في : طبقات ابن سلام ١/ ٣٧٤، الشعر والشعراء ٣٧٤، الأغاني ٧/ ٣٨، سمط اللآلي ٢٩٢، شرح المقامات للشريشي ٢/ ٣٤٩، وفيات الأعيان ١/ ٣٢١، مرآة الجنان ١/ ٢٣٥، البداية والنهاية ٩/ ٢٦٠ النجوم الزاهرة ١/ ٢٦٩، شرح شواهد المغني ١/ ٤٥، شذرات الذهب ١/ ١٤٠، خزانة الأدب ١/ ٣٦.

(٣) البيت في تفسير الماوردي ٥/ ٤٣٤، وتفسير ابن عطية ٣/ ١٠٩، و باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن ٣/ ١٤٣٣، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٦٨، والبحر المحيط ١٠/ ٦٣.

باب بيان تأويل قوله سبحانه

﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾(١)

اعلم : أن الروح في كلام العرب يتصرف على وجوه كثيرة :

* **فالروح** : روح الأجساد التي يقبضها اللّٰه عند الممات .

* **والروح** : جبريل ـ عليه السلام ـ لقوله سبحانه : ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾(٢) . يعني : جبريل .

* **والروح** ـ فيما ذكر المفسرون ـ : مَلَكٌ عظيم من ملائكة اللّٰه سبحانه ، يقوم وحده ، فيكون صفًّا ، قال اللّٰه ـ سبحانه ـ : ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾(٣) .

* **والروح** : النفخ ، سمّي روحا ، لأنه ريح تخرج عن الروح ، وقال ذو الرُّمّة(٤) ـ وذكر نارا قدحها(٥)ـ :

وقلت له ارفعها إليك ، وأحيها بروحك واجعله لها قيتة قدرا

قوله : أحيا بروحك ، أي : بنفخك .

---

(١) التحريم : ١٢.

(٢) الشعراء : ١٩٣.

(٣) النبأ : ٣٨.

(٤) ذو الرمة (٧٧ ـ ١١٧هـ/٦٩٦ ـ ٧٣٥م) هو : غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي ، من مضر ، أبو الحارث ، ذو الرمة : شاعر ، من فحول الطبقة الثانية في عصره . قال أبو عمرو بن العلاء : فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة . وكان شديد القصر ، دميما ، يضرب لونه إلى السواد . أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال ، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين . وكان مقيما بالبادية ، يحضر إلى اليمامة والبصرة كثيرا . وامتاز بإجادة التشبيه . قال جرير : لو خرس ذو الرمة بعد قصيدته : ما بال عينك منها الماء ينسكب ... لكان أشعر الناس . وقال الأصمعي : لو أدركت ذا الرمة لأشرت عليه أن يدع كثيرا من شعره ، فكان ذلك خيرا له . وعشق " مية " المنقرية واشتهر بها . توفي بأصبهان ، وقيل : بالبادية .
ترجمته في : طبقات فحول الشعراء ١٢١، ١٢٥، الشعر والشعراء ٥٢٤، ٥٣٦، الأغاني ١٦/ ١٠٦، ١٢٥، سمط اللآلي ، ٨١ و ٨٢، وفيات الأعيان ٤/ ١١، تاريخ الإسلام ٤/ ٢٤٧، سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٧، البداية ٩/ ٣١٩، ٣٢٠، الاشتقاق ١١٦، خزانة الأدب ١/ ٥٠، ٥٣.

(٥) البيت في ديوانه ٢/ ٩٥٤، ورسالة الصاهل والشاهج ، ص ٢٠١.

والروح بمعنى : الرحمة ، في قوله سبحانه : ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[١] . أي : من رحمتنا ، ومنه قوله : ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[٢] . أي : برحمة ، كذلك قال المفسرون[٣] .

ومن قرأ : (فرُوح وريحان)[٤] . ـ بضم الراء[٥] ـ أراد : فرحمةٌ ورزق ، جعل الروح رحمة ، والريحان رزقا ، قال النمر بن تولب[٦] :

سَلَامُ الْإِلَـهِ وَرَيْـحَـانُـهُ وَجَـنَّـتُـهُ وَسَـمَـاءٌ دِرَرْ[٧]

فجمع بين الرزق والرحمة ، كما قال الله سبحانه : ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ . وعلى هذا المعنى يقال : عيسى ـ عليه السلام ـ روح الله ، أي : رحمة الله على من قبله ، وآمن به .

وقد قيل : إنما قيل للمسيح : روح الله ، لأنه تكوَّنَ من نفخة جبريل في درع مريم ـ عليها السلام ـ فنُسب الروح إلى الله تعالى ، لأنه بأمره كان[٨] .

---

(١) التحريم : ١٢.

(٢) المجادلة : ٢٢.

(٣) تفسير ابن جرير ٩/ ٤٢١، وقد ذكر الماتريدي في تأويلات أهل السنة ٥٠٩/٩ عدة تفاسير مختلفة للروح .

(٤) الواقعة : ٨٩.

(٥) قرأ ذلك الحسن البصري كما في تفسير الطبري ٢٣/ ١٥٩، وروت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ ، أنه قرأ : بالضم كما في تفسير السمرقندي ٣/ ٣٩٨، ورويت عن ابن عباس كما في تفسير القرطبي ٢٣٢/١٧.

(٦) في م : «نوار» وهو النمر بن تولب بن زهير بن أقيش العكلي ، شاعر مخضرم ، عاش عمرا طويلا في الجاهلية ، وكان فيها شاعر " الرباب " ولم يمدح أحدا ولا هجا . وكان من ذوي النعمة والوجاهة ، جوادا وهابا لماله .يشبه شعره بشعر حاتم الطائي . أدرك الاسلام وهو كبير السن ، ووفد على النبي ﷺ فكتب عنه كتابا لقومه ، وعاش إلى أن خرف . ترجمته في الشعر والشعراء ١/ ١٠٥، والأعلام ٨/ ٤٨.

(٧) البيت في (اللسان : روح) وبعده :

غمام ينزل رزق العباد فأحيا البلاد وطاب الشجر

وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ٤٣/٢ قال : والريحان والحب منه الذي يؤكل ، يقال : سبحانك وريحانك : أي رزقك ؛ قال النمر بن تولب " سلام الإله ... البيت " اهـ . وفي (اللسان : درر) : والدرة في الأمطار أن يتبع بعضها بعضا ، وجمعها : درر ، وللسحاب درر : أي صب ، الجمع : درر ؛ قال النمر بن تولب : ... البيتين . سماء درر أي : ذات درر . اهـ .

(٨) تفسير الطبري ٩/ ٤١٩.

باب بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[١]

يعني : يؤذون أولياء الله[٢] ، ومثل هذا قوله : ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[٣] . أي : اسأل أهلها[٤] ، وكذلك قال بعض أهل التأويل ، وقال سهل بن سعد الساعدي[٥] ـ رضي الله عنهما ـ : جئت مع رسول الله ﷺ حيث قَفَلَ من تبوك[٦] ، فلما بدا له أُحدٌ ، قال النبي ﷺ : «هذا جبل يحبنا ونحبه[٧]»[٨] . أي : يحبنا (أهله والمجاورون له ، ونحب أهله

---

(١) الأحزاب : ٥٧.

(٢) قاله الشعبي كما في الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، وأحكامه ، وجمل من فنون علومه٩/ ٥٨٦٧، وقال المظهري في تفسيره : وهذا القول عندى غير سديد لأن ذلك يفضي إلى تقديم ذكر الأولياء على ذكر الرسول ﷺ ، فإن قيل هو تخصيص بعد تعميم فإن الرسول داخل فى أولياء اللّه قلنا لو كان كذلك لزم التكرار فى قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ .. إلخ .
قال الماوردي في تفسيره ٤/ ٤٢٢. وفي قوله : ﴿يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ ثلاثة أوجه : أحدها : معناه يؤذون أولياء اللّه . الثاني : أنه جعل أذى رسوله ﷺ أذى له تشريفًا لمنزلته . الثالث : هو ما روي عن النبي ﷺ : «يَقُولُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَتَمَني ابْنُ آدَمَ وَمَا كَانَ يَنبَغِي لَهُ أَن يَشْتُمَنِي ، وَكَذَّبَنِي وَمَا كَانَ لَهُ أَن يُكَذِّبَنِي فَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّاي فَقَولُهُ إِنَّ لِيَ وَلَدًا وَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَولُهُ إِنِّي لاَ أَبْعَثُ بَعدَ المَوتِ أَحدًا . وَلَعنَةُ الدُّنيَا التَّقْتِيلُ وَالجَلاَءُ ، وَلَعْنَةُ الآخرَةِ النَّارُ» .

(٣) يوسف : ٨٢.

(٤) انظر تفسير البغوي ٦/ ٣٧٥.

(٥) سهل بن سعد (٩١هـ ٧١٠م) هو : سهل بن سعد الخزرجي الأنصاري ، من بني ساعدة : صحابي ، من مشاهيرهم . من أهل المدينة . عاش نحو مائة سنة .
ترجمته في : طبقات خليفة ت ٦٠٦، والمعرفة والتاريخ ١/ ٣٣٨، والجرح والتعديل ٤/ ١٩٨، ومشاهير علماء الأمصار ت ١١٤، والاستيعاب ٦٦٤، وأسد الغابة ٢/ ٤٧٢، وتهذيب الأسماء واللغات ١/١/ ٢٣٨، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤٢٢، والإصابة ٢/ ٨٨، وشذرات الذهب ١/ ٩٩.

(٦) مدينة بين وادي القرى والشام وهي حصن فيه عيون ونخل وبساتين غزاها النبي ﷺ سنة ٩هـ وكانت آخر غزواته وهي اليوم من بلاد المملكة العربية السعودية . تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير ١/ ٣٧٣.

(٧) يحبنا ونحبه″ : نأنس به وترتاح نفوسنا لرؤيته .

(٨) حديث سهل بن سعد : أخرجه البخاري (٤/ ١٦١٠، رقم ٤١٦٠) . ومن حديث أنس : أخرجه الترمذي (٥/ ٧٢١، رقم ٣٩٢٢) ، وقال : حسن صحيح . =

والقريبين منه ، ومنه قوله : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[١] . أي : على أهلها ، فحذف الأهل هناك ، وجعل المحبة للجبل ، كما قال : ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾[٢] . والعرب تقول : استب الموضع ، أي : أهله ، أنشدنا ابن الأنباري لمهلهل[٣] يرثي أخاه كليبا[٤] :

أُنبئتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أُوقِدَتِ وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يا كُلَيبُ المَجْلِسُ[٥]

أي : أهله .

* * *

= وحديث عقبة بن سويد : أخرجه أحمد (٣/ ٤٤٣، رقم ١٥٦٩٧) ، والطبراني (٧/ ٩٠، رقم ٦٤٦٧) . قال الهيثمي : (٤/١٣) : رواه أحمد ، والطبراني في الكبير ، وعقبة ذكره ابن أبي حاتم ، ولم يذكر فيه جرحًا ، وبقية رجاله رجال الصحيح . قال الحافظ في الإصابة (٣/ ٢٣١، ترجمة ٣٦٢٠) : رواه أحمد ، والبخاري في تاريخه ، ورواه البغوي ، وابن أبي عاصم ، وابن شاهين ، وأبو نعيم .

(١) الأحزاب : ٧٢.

(٢) البقرة : ٩٣.

(٣) المُهَلْهِل (نحو ١٠٠ ق هـ/نحو ٥٢٥م) هو : عديّ بن ربيعة بن مرة بن هبيرة ، من بني بجشم ، من تغلب ، أبو ليلى ، المهلهل : شاعر ، من أبطال العرب في الجاهلية . من أهل نجد . وهو خال امرئ القيس الشاعر . قيل : لقب مهلهلا ؛ لأنه أول من هلهل نسج الشعر ، أي رققه . وكان من أصبح الناس وجها ، ومن أفصحهم لسانا . عكف في صباه على اللهو والتشبيب بالنساء ، فسماه أخوه أليب " زير النساء " أي جليسهن . ولما قتل جساس بن مرة كليبا ثار المهلهل ، فانقطع عن الشراب واللهو ، آلى أن يثأر لأخيه ، فكانت وقائع بكر وتغلب ، التي دامت أربعين سنة ، وكانت للمهلهل فيها العجائب والاخبار الكثير . أما شعره فعالي الطبقة . والمحمد فريد أبي حديد كتاب " المهلهل سيد ربيعة" .
ترجمته في : الشعر والشعراء ٩٩، والأعلام ٤/ ٢٢٠.

(٤) هو كُلَيب بن رَبِيعَة بن عامر بن صعصعة : جدّ جاهلي ، يعرف بنوه بيني "مجد" نسبة إلى أم صاحب الترجمة " مجد بنت تيم " .
ترجمته في : الأعلام ٥/ ٢٣٢.

(٥) البيت في أمالي القالي ١/ ٩٥، والسمط ٢٩٨- ٢٩٩، وثمار القلوب (١٩١) ، وديوان المعاني ٢/ ١٧٦، والحماسة البصرية ١/ ٢٣٤، ومجالس ثعلب ٣٨، ٥٨٤- ٥٨٥، ومجمع الأمثال ٢/ ٤٢، والمستقصى ١/ ٢٤٧، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ١/ ٣٨٥، وشعراء النصرانية ٢/ ١٧٩.

باب : بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ و﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾

إن قال قائل : الغالب على « لعل » أن يكون شكًّا ، واللّٰه سبحانه لا يشك ، فلأي معنى جاء ذلك في القرآن؟

قيل له : قد قالت جماعة من نحويي البصرة : إن معنى « لعل » : الرجاء ، والتأويل عندهم في قوله : ﴿اعبدوا ربكم﴾ . إلى قوله : ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(١) . أي : اعبدوا ربكم راجين للتقوى بأن تَقُوا أنفسكم ـ بعبادتكم ـ عذابَ ربكم ، كما قال في موضع آخر : ﴿اذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ . إلى قوله : ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾(٢) . معناه : راجين لتذكره وخشيته .

وقال آخرون : ﴿اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ . إلى قوله : ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ . بمعنى : كي تتقوا ربكم فـ "لعل" معناه : كي ، وكذلك قوله سبحانه : ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ .

فإن قال قائل : فكيف يكون « عسى » بمعنى : اليقين ، وفي أنفس الناس يؤذن بالشك؟!

قيل : إن العرب تحمل « عسى » شكًّا ويقينا :

* **فأما الشك** : فأكثر من أن نحصيه ، ولا ينسب منه إلى اللّٰه سبحانه .

* **وأما اليقين** : فشاهده ـ من كلام العرب ـ : ما أنشدنا ابن الأنباري ، لتميم بن مُقْبِل(٣) :

---

(١) البقرة : ٢١.

(٢) طه : ٤٣، ٤٤.

(٣) ابن مُقْبِل (بعد ٣٧هـ/بعد ٦٥٧م) هو : تميم بن أُبيّ بن مقبل ، من بني العجلان ، من عامر بن صعصعة ، أبو كعب : شاعر جاهلي ، أدرك الإسلام وأسلم ، فكان يبكي أهل الجاهلية . عاش نيفا ومائة سنة . وعدّ في المخضرمين . وكان يهاجي النجاشي الشاعر . له (ديوان شعر) ورد فيه ذكر وقعة صفين سنة ٣٧هـ .
ترجمته في : خزانة الأدب للبغدادي ١١٣/١ وطبقات ابن سلام ٣٤ وسمط اللآلي ٦٦ ـ ٦٨ والإصابة ١/ ١٩٥ وانظر ماكتب عنه الدكتور عزة حسن ، في مقدمة (ديوان ابن مقبل) الأعلام ٢/ ٨٧.

ظَنِّي بِهِمْ كَ« عَسَى » وهم بِتَنُوفَةٍ[١] يَتَنَازَعُون جَوَائِزَ الأَمْثَالِ[٢]

وقال بعض المفسرين: كل ما في كتاب الله من « عسى » فهي على الإيجاب[٣]، إلا في حرفين:

* **أحدهما**: في السورة التي يَذْكر فيها بني إسرائيل: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾[٤]. يعني: بني النضير[٥]، فما رحمهم؛ لأن النبي ﷺ قتل مقاتليهم،

---

(١) وهي القفز من الأرض، راجع لسان العرب ٥/ ٣٢٧.

(٢) في مجاز القرآن ١/ ١٣٤، والأضداد لأبي حاتم ٩٥ وللأنبارى ١٤ وفى القرطبي ٥/٢٩٤ واللسان (عسى)، وابن يعيش ٢/١٠٢ والخزانة ٤/ ٧٦. وقال أبو الطيب: قال أبو حاتم وقطرب: «عسى» تكون شكا مرة ويقينا مرة أخرى كما قال تعالى ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾، وعسى فى القرآن واجبة، قال ابن عباس رضى الله عنهما: هى واجبة من الله، قال أبو عبيدة: ومثله قول ابن مقبل. والتسوفة: الفلاة ويتنازعون يتجاذبون، وجوائز الأمثال: الأمثال السائرة فى البلاد، والمعنى: يقينى بهم كشك فى حال كونهم فى الفلاة إذ لست أعلم الغيب (عن خزانة الأدب للبغدادي)

(٣) انظر: ابن جرير (٨/٥٧٩) (١٤/ ١٦٧، ٤٤٧)، حجج القرآن ص ٨٣، تفسير ابن كثير (٣/٣٩٧)، البرهان للزركشي (٤/ ٥٧، ١٥٨، ٢٨٨) الإتقان (٢/٢٠٤ ٢٠٥)، الكليات ص ٢٩٧، ٦٣٥، فتح البيان (٧/ ١١٠ ١١١، ١٦٩).

(٤) الإسراء: ٨.

(٥) قوم من اليهود الذين أجلاهم رسول الله ﷺ لخيانتهم ونقضهم العهود والمواثيق. في ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة، تم إجلاؤهم لأنهم هموا بقتل الرسول ﷺ فهم كبني قينقاع الذين قلبوا ظهر المجن للمسلمين، فقد جروا على سنة سابقيهم، فحدثتهم أنفسهم أن يغتالوا النبي ﷺ.
وذلك بينما كان رسول الله ﷺ مع بعض أصحابه في ديار بني النضير، تآمر رجال منهم إلى إلقاء صخرة عليه من مكان عال. رغم ما بينهم من عهود ومواثيق. فلما تبين رسول الله قصدهم رجع إلى المدينة، وأرسل محمد بن مسلمة يكلفهم الجلاء عن بلاد العرب حيث يشاءون.
فتهيأ القوم للرحيل علما منهم أنهم لا يقوون على حرب المسلمين، فأرسل إليهم منافقوا المدينة من يخبرهم بأنهم يساعدونهم لو وقع عليهم عدوان، وأنهم وإياهم متكافلون في الحياة، وقد حكى القرآن ما قالوه في القرآن الكريم وحكم بإجلائهم عن المدينة ولكن بنو النضير تلكئوا عن الجلاء، فأمر النبي ﷺ بالتعبئة، فلما اجتمع العدد المطلوب خرج بهم، فلما بلغ بنو النضير خبر خروجه دخلوا إلى حصونهم وامتنعوا فيها، منتظرين ما يقوم به المنافقون الذين غرروا بهم تحت إمرة زعيمهم عبد الله بن أبي، فلم يمدوا إليهم يدا بمساعدة، كما لم يفعل مع بني قينقاع من قبلهم.
فطلبوا إلى رسول الله ﷺ أن يقوموا بما تعهدوا به من الجلاء، آخذين معهم ما تحمله الإبل من الأموال إلا آلة الحرب، فقبل النبي ﷺ ما طلبوه وخرجوا، فمنهم من نزل بخيبر، ومنهم من هاجر=

وسبى ذراريهم[١] .

* وحَزف في السورة التي يذكر فيها المحرم : ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا﴾[٢] . فما طلقهن رسول الله ﷺ ولا تبدل بهن أزواجا .

وقال غيره : « عسى » في هذين الموضعين لم يزل على الإيجاب ، بل على الجهة التي هي لها في جميع القرآن ، لأن « عسى » تعلقت بشرط ، والمعنى : واجب أن يبدله الله أزواجا إن أَبَتَّ طلاقَكُنَّ ، فلما لم يُبِتَّ الطلاق ، لم يجب التبديل .

فكذلك قوله ـ سبحانه ـ : ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ . على شرط ، أي في وقت من الأوقات ، فلما زال الشرط وتقضَّى الوقت ـ وجب عليهم العذاب .

* * *

=إلى الشام ، وأسلم منهم اثنان .

(١) راجع مسلم (٣/ ١٣٧٧، رقم ١٧٥٧) ، وأبو داود (٣/ ١٣٩، رقم ٢٩٦٣) ، والنسائي في الكبرى (٤/ ٦٤، رقم ٦٣١٠) ، والبيهقي (٦/ ٢٩٧، رقم ١٢٥٠٨) .

(٢) التحريم : ٥.

باب بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ﴾[١]

إن سأل سائل عن ذلك : لأي علة نسب الظن إلى الله ، وهو شك؟

قيل : فيه غير جواب :

أحدها : أن يكون ذلك الظن لفرعون ، وهو شك ؛ لأنه قال قبل هذا : ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾[٢] . وإني لأظن موسى كاذبا ، الظن ـ على هذا التفسير ـ لفرعون دون أن يكون لغيره .

الثاني : أن يكون الكلام انقطع عند قوله : ﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ . ثم ابتدأ : ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ﴾ . على معنى : وإني لأعلمه كاذبا ، فإذا كان الظن لله ـ عز وجل ـ كان علما ويقينا ، ولم يك شكًّا ، وكان كقوله : ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾[٣] . معناه : علمته . ومثله قوله سبحانه : ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾[٤] . أي : وعلم . وكذلك قوله سبحانه : ﴿يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾[٥] . أي : موقنون ذلك .

❊ ❊ ❊

---

(١) غافر : ٣٧.

(٢) غافر : ٣٧.

(٣) الحاقة : ٢٠.

(٤) القيامة : ٢٨.

(٥) البقرة : ٤٦.

باب بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[١]

اعلم : أن اللّٰه سبحانه لم يرد بنفي النوم والسنة عن نفسه إثبات اليقظة والحركة ؛ لأنه لا يقال له : يقظان ولا نائم ؛ لأن اليقظان لا يكون إلا عن نوم ، والنوم لا يجوز وصف القديم به ، إنما أراد بذلك نفي الجهل والغفلة ، كقولك لرجل آخر : ما عدوي بنائم عني ، أي : بغافل عني ، وما أنا عنك بنائم ، أي : وما أنا عنك بغافل ، قال الشاعر :

فإن يك قومنا حلوا نياما فقل قوموا فقد حان القيام[٢]

أي : حلوا غافلين عن عدوهم .

* * *

---

(١) البقرة : ٢٥٥.

(٢) من أبيات ضمنها نصر بن سيار والى خراسان فى آخر أيام بنى أمية ـ كتابه إلى مروان بن محمد حينما وجد أمر أبى مسلم الخراسانى يشتد فى الدعوة إلى آل العباس . ومنها :

أقول من التعجب : ليت شعري أأيقاظ أمية أم نيام
فإن يك قومنا أضحوا نياما فقل : قوموا ، فقد حان القيام
فقرى عن رحالك ، ثم قولي على الإسلام والعرب السلام

مروج الذهب ٣/ ٢٥٦، وأخبار الطوال ، ص ٣٥٧، تجارب الأمم ٣/ ٢٧٨، مرآة الجنان ١/ ٢٢٦.

باب بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾[١]

اعلم : أن الكتابة - في كلام العرب - متصرفة على وجوه كثيرة :

* **منها** : الفرض والإيجاب ، كقوله : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[٢] أي : فرض[٣] .

* **ومنها** : القضاء ، كقوله : ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾[٤] . أي : ما قضى اللّٰه لنا[٥] .

* **ومنها** : الأمر كقوله : ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[٦] . أي : أمركم أن تدخلوها[٧] .

* **ويقال** : إنَّ كتب ههنا بمعنى جعل ، يريد : ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب اللّٰه لكم ، يعني : لولد إبراهيم ، أي : جعلها لهم[٨] .

* **ومنها** : الكتابة باليد .

* **ومنها** : جمع الحروف لا باليد .

فمعنى قوله تعالى : ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ . أي : وجمعنا له في الألواح حروفا من كل شيء دالة على معانٍ كثيرة ، وأحكام من كل جنس ، يأخذ بها الأنبياء والمتبعون لهم ، والعرب توقع اسم الكتابة على كل مجتمع ، من ذلك قولهم : كَتَبَتْ رَحِمُ الدَّابَّةِ : إذا جمعت بين شُفْرَيْهَا ، ومن ذلك قولهم للجيش المجتمع : كتيبة ،

---

(١) الأعراف : ١٤٥.

(٢) البقرة : ١٨٣.

(٣) تفسير الطبري ٣/ ٤٠٩.

(٤) التوبة : ٥١.

(٥) تفسير الماتريدي ٥/ ٣٨٥.

(٦) المائدة : ٢١.

(٧) تفسير الطبري ١٠/ ١٦٩.

(٨) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، وأحكامه ، وجمل من فنون علومه ١/ ٥٦٥.

لاجتماعهم، ومنها يقال لكتابة العبد: كتابة، لاجتماع معانٍ فيها، قال النابغة الذبياني[(١)]:

وَلاَ عَيبَ فِيهِمْ غَيرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ[(٢)] مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ[(٣)]

وأما قوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾[(٤)]. فبمعنى: حكم الله لأغلبن أنا ورسلي[(٥)]، إما بالقتل أو بالحجة؛ لأنا رأينا جماعة من الأنبياء قد قُتلوا وعذبوا.

وأما قوله: ﴿أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ﴾[(٦)]. فمعناه: يقضون بقضاياهم، ويحكمون بأحكامهم، ومنه الخبر المروي، أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إن ابني كان عسيفا[(٧)] عند هذا الرجل، وإنه زنا بامرأته، فافتديت منه بمائة شاة وخادم، ثم إني سألت رجلا من أهل العلم. فقالوا: إن على ابنك جلدَ مائة، وتغريبَ عام، وإن على امرأة هذا الرجمَ، فقال رسول الله ﷺ: «**لأحكمن بينكما بكتاب الله، أما المائة الشاة فمردود على ابنك، وأما أنت يا أُنيس فاغدُ على امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها**»[(٨)]. فمعنى قوله: «**بكتاب الله**». أي: بما حكم الله وقضى به، وإن لم يكن ذكره في الكتاب نصًا، إذ كان الرجم ذِكْرُهُ في كتاب الله ليس بنصٍّ مقروء الآن.

قال النابغة الجعدي[(٩)]

---

(١) ديوانه، ص ١٦١،

(٢) الفلول: موضع الفل.

(٣) القراع: المضاربة. والكتائب: الجماعات، والبيت من استتباع المدح بما يشبه الذم، أى إن كانت فلول السيف من ذلك عيبًا، فأثبته، وهي ليست عيبا فلا عيب فيهم قط، وهو مبالغة في المدح.

(٤) المجادلة: ٢١.

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي، ص ٣٥١.

(٦) الطور: ٤١.

(٧) أي: أجيرا. اللسان (ع س ف).

(٨) أخرجه الطيالسي (ص ١٨٩، رقم ١٣٣٣)، وأحمد (٤/ ١١٥، رقم ١٧٠٧٩)، والبخاري (٢/ ٩٧١، رقم ٢٥٧٥)، ومسلم (٣/ ١٣٢٤، رقم ١٦٩٧)، والنسائي (٨/ ٢٤١، رقم ٥٤١١)، والترمذي (٤/ ٣٩، رقم ١٤٣٣)، وابن ماجه (٢/ ٨٥٢، رقم ٢٥٤٩).

(٩) النَّابِغَة الجَعْدي (نحو ٥٠هـ/نحو ٦٧٠م) هو: قيس بن عبد الله بن عُدَس بن ربيعة الجعديّ العامري، أبو ليلى، شاعر مفلق، صحابي من المعمرين، اشتهر في الجاهلية. وسمي النابغة؛ لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقوم الشعر ثم نبغ فقاله. وكان ممن هجر الأوثان، ونهى عن الخمر، قبل ظهور الإسلام. ووفد على النبي صلى =

في الكتاب بمعنى الحكم والقضاء[1] :

يَا ابْنَةَ عَمِّي كِتَابُ اللَّهِ أَخْرَجَنِي عَنْكُمْ فَهَلْ أَمْنَعَنَّ اللَّهَ مَا فَعَلَا

وقال الآخر[2] :

ومالَ الولاءُ[3] بالبلاءِ فَمِلْتُمُ وما ذاك قال اللّه إذ هو يكتب

* * *

= اللّه عليه وآله فأسلم، وأدرك صفين، فشهدها مع علي، ثم سكن الكوفة، فسيره معاوية إلى أصبهان مع أحد ولاتها، فمات فيها وقد كف بصره، وجاوز المائة. وأخباره كثيرة.

ترجمته في: طبقات خليفة: ت ٤١٠، طبقات فحول الشعراء ١/ ١٢٣، ١٣١، الشعر والشعراء، ص ٢٠٨، الأغاني ٥/ ١، ٣٤، معجم الشعراء، ص ١٩٥، المعمرين للسجستاني، ص ٥٦، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٨٩، الاستيعاب ٢/ ١٢٩٧، ١٥١٤، أسد الغابة ٤/ ٢٢٣ و٥/ ٢، تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢/ ١٢٠، ٢٨٦، تاريخ الإسلام ٣/ ٨٧، أمالي المرتضى ١/ ٢١٤، الإصابة ٣/ ٥٣٧، خزانة الأدب ١/ ٥١٢، شرح شواهد المغني ٤/ ٣٨٢، المؤتلف والمختلف، ص ٢٩٢، سمط اللآلي ١/ ٢٤٧.

(١) البيت في اللسان (كتب) وأساس البلاغة (كتب)، والمقاييس ٥: ١٥٩، وفي الأساس: "أخرني"، فأخشى أن تكون خطأ من الناسخ. والشعر والشعراء ١/ ٢٨٣.

(٢) غريب الحديث ١/ ٧٠ ـ تفسير القرطبي ٢٠/ ١٤٣.

(٣) كذا في الأصل، ولعل صوابه: «الولاة».

باب بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾[١]

اعتصموا بحبل اللّٰه ، أي : بعهد الله[٢] ، وقد قيل : بكتابه[٣] ، يريد : تمسكوا به ؛ لأنه وُصلة لكم إليه وإلى جنته ، ويقال للأمان : حبل ، لأن الخائف مستتر مقموع ، والآمن منبسط بالأمان ، متصرف فيه ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾[٤] . أي : بأمان ؛ قال امرؤ القيس[٥] :

---

(١) آل عمران : ١٠٣.

(٢) راجع تفسير القرطبي ٤/ ١٦٧.

(٣) تفسير ابن جرير الطبري ٤/ ٣١.

(٤) آل عمران : ١١٢.

(٥) هو : امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي ، من بني آكل المرار : أشهر شعراء العرب على الإطلاق . يماني الأصل . مولده بنجد ، أو بمخلاف السكاسك باليمن . اشتهر بلقبه ، واختلف المؤرخون في اسمه ، فقيل : حندج ، وقيل : مليكة ، وقيل : عدي . وكان أبوه ملك أسد وغطفان . وأمه أخت المهلهل الشاعر ، فلقنه المهلهل الشعر ، فقاله وهو غلام ، وجعل يشبب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب ، فبلغ ذلك أباه ، فنهاه عن سيرته فلم ينته . فأبعده إلى (دمون) بحضرموت ، موطن آبائه وعشيرته ، وهو في نحو العشرين من عمره . فأقام زهاء خمس سنين ، ثم جعل يتنقل مع أصحابه في أحياء العرب ، يشرب ويطرب ويغزو ويلهو ، إلى أن ثار بنو أسد على أبيه وقتلوه ، فبلغ ذلك امرأ القيس وهو جالس للشراب فقال : رحم اللّٰه أبي ! ضيعني صغيرا وحملني دمه كبيرا ، لاصحو اليوم ولا سكر غدا ! اليوم خمر وغدا أمر ! ونهض من غده فلم يزل حتى ثأر لأبيه من بني أسد ، وقال في ذلك شعرا كثيرا . وكانت حكومة فارس ساخطة على بني آكل المرار (آباء امرئ القيس) فأوعزت إلى المنذر (ملك العراق) بطلب امرئ القيس ، فطلبه ، فابتعد ، وتفرق عنه أنصاره ، فطاف قبائل العرب حتى انتهى إلى السموأل ، فأجاره . فمكث عنده مدة . ثم رأى أن يستعين بالروم على الفرس . فقصد الحارث ابن أبي شمر الغساني (والي بادية الشام) فسيره هذا إلى قيصر الروم يوستينيانس . فوعده ومطله . ثم ولاه إمرة فلسطين (البادية) ولقبه (فيلارق) أي : الوالي ، فرحل يريدها . فلما كان بأنقرة ظهرت في جسمه قروح . فأقام إلى أن مات في أنقرة . وقد جمع بعض ما ينسب إليه من الشعر في ديوان صغير (ط) وكثر الاختلاف فيما كان يدين به ولعل الصحيح أنه كان على المزدكية وفي تاريخ ابن عساكر أن امرأ القيس كان في أعمال دمشق وأن (سقط اللوى) و(الدخول) و(حومل) و(توضيح) و(المقراة) الواردة في مطلع معلقته ، أماكن معروفة بحوران ونواحيها . وقال ابن قتيبة : (هو من أهل نجد . والديار التي يصفها في شعره كلها ديار بني أسد) . وكشف لنا ابن بليهد (في صحيح الأخبار) عن طائفة من الأماكن الوارد ذكرها في شعره ، أين تقع=

إني بحبلِكَ واصلٌ حَبْلِي وبريش نَبْلِكَ رائِشٌ نَبْلي[١]

❋ ❋ ❋

=وبماذا تسمى اليوم ، وكثير منها في نجد . ويعرف امرؤ القيس بالملك الضليل (لاضطراب أمره طول حياته) وذي القروح (لما أصابه في مرض موته) وكتب الأدب مشحونة بأخباره .

ترجمته في ديوانه ص ٧، وطبقات فحول الشعراء ١/ ٤٣، والشعر والشعراء ١/ ١٠٥، والأغاني ٩/ ٧٧، والاشتقاق ٣٧٠.

(٦) ديوانه ١١٥، واطلب البيت أيضا في : تفسير ابن عطية ١/ ٤٨٣، والبحر المحيط ٢/ ٥٢٨، والدر المصون ١/ ٤٨٦، واللباب في علوم الكتاب ٤/ ٢٠٧، وغريب الحديث لابن سلام ٤/ ١٠٣، وتهذيب اللغة ٥/ ٥١.

باب بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[(١)]

قوله : ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ...﴾ . أي : ادع لهم ، فإن دعاءك مما يسكن منهم ، وتطمئن إليه قلوبهم قال الأعشى[(٢)] :

عَلَيْكِ مِثْلُ الَّذِي صَلَّيْتِ فَاغْتَمِضِي ... نَوْمًا فَإِنَّ لِجَنْبِ الْمَرْءِ مُضْطَجِعَا

أي : عليكِ مثل الذي دعوتِ .

والصلاة من اللَّه : رحمته ومغفرته ، ومن الملائكة : استغفار ، قال اللَّه تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾[(٣)] . وقال رسول اللَّه ﷺ : «**اللهم صل على آل أبي أوفى**»[(٤)] . أي : ارحمهم ، واغفر لهم .

وقد تكون الصلاة بمعنى : الدِّين ، قال اللَّه تعالى ـ حكاية عن قوم شعيب ـ : ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾[(٥)] . أي : دينك يأمرك بذلك .

* * *

---

(١) التوبة : ١٠٣.

(٢) ديوانه ص ١٦١، وانظره أيضا في معاني للقرآن للنحاس ١/ ٨٤، ولسان العرب (ضجع)، و(ص ل و)، وتهذيب اللغة ١٢/ ٢٣٦، وتاج العروس (ضجع)، جمهرة الأشعار، والاقتضاب ٦، والخزانة ١/ ٣٥٩.

(٣) الأحزاب : ٥٦.

(٤) أخرجه البخاري (١٤٢٦)، ومسلم (١٧٦، ١٠٧٨) والنسائي (٢٤٥٩)، وأبو داود (١٥٩٠).

(٥) هود : ٨٧.

باب بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾(١)

اعلم : أن الضرب في كلام العرب على وجوه كثيرة :

منها : الضرب باليد ، كقوله : ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾(٢) . وكقوله : ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾(٣) .

والضرب : المسير ، من قوله : ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾(٤) . أي : إذا سرتم .

وقد يكون الضرب : التبيين والوصف ، من قوله سبحانه : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾(٥) . أي : بين الله مثلا . وقال ـ عز وجل ـ : ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾(٦) . أي : لا تصفوه بصفات غيرِ لائقة به .

* * *

(١) النحل : ٧٤.

(٢) محمد : ٤.

(٣) النساء : ٣٤.

(٤) النساء : ٩٤.

(٥) إبراهيم : ٢٤.

(٦) النحل : ٧٤.

باب بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[١]

اعلم : أن الأخذ أصله باليد ، ثم يستعار في مواضع :

فيكون بمعنى القبول ، كقوله تعالى : ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾[٢] . أي : قبلتم عهدي ، وكقوله : ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾[٣] . أي : اقبله .

ويكون الأخذ بمعنى : الحبس والأسر ، كقوله : ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ﴾[٤] . أي : احبسه ، ويقال للأسير : أخيذٌ ، والعرب تقول : أكذب من الأخيذ[٥] ، وهو الأسير ، لأنه يكذب كيفما شاء آخذه ـ أي : آسره ـ رجاء التخليص .

وقد يكون الأخذ بمعنى التعذيب ، من قوله : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾[٦] . أي : كذلك تعذيبه ، وكذلك قوله : ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾[٧] . أي : ليعذبوه .

* * *

(١) هود : ١٠٢.

(٢) آل عمران : ٨١.

(٣) الأعراف : ١٩٩.

(٤) يوسف : ٧٨.

(٥) أكذب من الأخيذ الصبحان :
وأصله أن رجلا خرج من حيه وَقد اصطبح فَلَقِيَهُ جيشٌ يُرِيدُونَ قومه فَسَألُوهُ عَنْهُم فَقَالَ لَا عهد لي بهم ثمَّ غَلبه النّوْل فَعَلمُوا أنه مصطبح فطعنوه فِي بَطْنه فبدره اللَّبن فَعَلمُوا أَن الحي قريب فقصدوهم فظفروا بهم وَقد يُقَال أكذب من الأَخذ على وزن فعل وَالأَخذ دَاء يَأْخُذ الفصيل فيدنى من أمه وَهِي حافل فَيضْرب بِرَأْسِهِ ويعرض كَأَنَّهُ لَا يجد شَيْئا فَجعل مثلا للكاذب . جمهرة الأمثال ٢/ ١٧٢.

(٦) هود : ١٠٢.

(٧) غافر : ٥.

باب : بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[١]

اعلم أن ظاهر هذا القول يدل على أن مثله شيء لا يشبهه ، لأن مثل الشيء غير الشيء ، ولكن المعنى في ذلك ـ عند أهل اللغة ـ أن يقام المثل مقام الشيء نفسه ، كقول القائل : مثلي لا يقابل بمثل هذا الكلام ، أي : أنا ، وكذلك قوله : مثلي لا يفتات عليه ، أي : أنا لا يفتات عليَّ ، فكذلك قوله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ . يريد : ليس كهو شيء .

ويحتمل أن تكون الكاف في قوله : ﴿ كَمِثْلِهِۦ﴾ زائدة ، كما تقول في الكلام : كلمني فلان بلسان كمثل السنان ، ولهذه الجارية بنان كمثل العندم[٢] .

* * *

---

(١) الشورى : ١١.

(٢) العندم صبغ أحمر ، وقيل هو البقم ، وقيل هو العصفر ، وقيل هو صبغ للعرب ، وهو جمع عندمة . شرح المعلقات التسع ، ص ٢٣٩.

باب بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[١]

قوله : ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ . اختلف اللغويون : فزعم أبو عبيدة البصري[٢] : أن معنى قوله : ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ أي : قضى الله[٣] ، وحكى لنا ابن الأنباري ، عن ثعلب النحوي : أنه كان يقول : ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ ، بمعنى : بين الله وأظهر[٤] ، واستدل على ذلك أيضا بقوله : ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾[٥] . أي : مبينين على أنفسهم الكفر ، وذلك أنهم لما كانوا يؤمنون بأنبيائه كلهم دون محمد ﷺ بينوا على أنفسهم الكفر ، وكذلك قوله : ﴿فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾[٦] . أي : فإن أظهروا الأمر الذي يكون فيه الكفر ، فلا تتبعهم .

* * *

---

(١) آل عمران : ١٨ .

(٢) معمر بن المثنى (١١٠ ـ ٢٠٩هـ/٧٢٨ ـ ٨٢٤م) هو : معمر بن المثنى التيمي بالولاء البصري ، أبو عبيدة النحوي : من أئمة العلم بالأدب واللغة . مولده ووفاته في البصرة . استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد سنة ١٨٨هـ ، وقرأ عليه أشياء من كتبه . قال الجاحظ : لم يكن في الارض أعلم بجميع العلوم منه . وكان إباضيا ، شعوبيا ، من حفاظ الحديث . قال ابن قتيبة : كان يغض العرب وصنف في مثالبهم كتبا . ولما مات لم يحضر جنازته أحد ، لشدة نقده معاصريه . وكان ، مع سعة علمه ، ربما أنشد البيت فلم يقم وزنه ، ويخطئ إذا قرأ القرآن نظرا .

ترجمته في : تاريخ خليفة : ١٩ ـ ٢٠، المعارف : ٥٤٣، فهرست ابن النديم : ٥٣ ـ ٥٤، تاريخ بغداد ١٣/ ٢٥٢، معجم الأدباء ٩/ ١٥٤، الكامل لابن الأثير ٦/ ٣٩٠، إنباه الرواة ٣/ ٢٧٦، وفيات الأعيان ٥/ ٢٣٥، ميزان الاعتدال ٤/ ١٥٥، العبر ١/ ٣٥٩، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٧١، مرآة الجنان ٢/ ٤٤ ـ ٤٦، تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٤٦، النجوم الزاهرة ٢/ ١٨٤، بغية الوعاة ٢/ ٢٩٤، طبقات المفسرين ٢/ ٣٢٦، شذرات الذهب ٢/ ٢٤.

(٣) مجاز القرآن ١/ ٨٩.

(٤) تفسير القرطبي ٤/ ٤٢.

(٥) التوبة : ١٧.

(٦) الأنعام : ١٥٠.

باب بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾[١]

اعلم أن أصل الظلم في كلام العرب وضع الشيء في غير موضعه ، ومنه يقال : « من أشبه أباه فما ظلم »[٢] . أي : ما وضع الشبه في غير موضعه ، وظُلْمُ السقاء هو أن يشرب منه قبل إدراكه ، وظُلم الجزور : هو أن ينحرها من غير علة ، وأرض مظلومة : إذا حفرت ، وليس فيها موضع حفر[٣] ، وأنشدنا ابن الأنباري[٤] :

وصاحِبِ[٥] صِدْقٍ لم تَنَلْنِي أَذَاتُه ظَلَمْتُ وفي ظُلْمِي لَهُ عَامِدًا أَجْرُ

يعني : وَطْبا من لبن يشربه قبل أن يروب ، فذلك ظلمه إياه .

ويقال : الزم الطريق ، ولا تظلمه أي : لا تعدل عنه .

ثم يصير الظلم بمعنى الشرك ، لأن من جعل للّه شريكا ، فقد وضع الربوبية في غير موضعها ، قال اللّه ـ تعالى ـ : ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾[٦] . وقال في موضع آخر : ﴿وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾[٧] . أي : بشرك .

والظلم : النقصان . قال اللّه تعالى : ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ . أي : وما نقصونا . وقال اللّه سبحانه : ﴿وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ﴾[٨] . أي : لم تنقص ، ويقال : ظلمتك حقك ، أي : نقصتك .

والظلم : الجحد ، قال اللّه تعالى : ﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ﴾[٩] . أي : جحدوا بها بأنها من عند اللّه عز وجل .

---

(١) البقرة : ٥٧.

(٢) مثل يضرب في شدة الشبه بين الأب والابن . راجع مجمع الامثال للميداني ٢/ ٢٨.

(٣) راجع اللسان مادة (ظ لم) ، والحيوان ١/ ٢١٩.

(٤) البيت في الفاخر ، ص ١٠٣ ، والمعاني الكبير ١/ ٤٠٤.

(٥) يعني بالصاحب وَطَبَ اللبن سقى ما فيه قبل أن يُروب . الفاخر : الموضع السابق .

(٦) لقمان : ١٣.

(٧) الأنعام : ٨٢.

(٨) الكهف : ٣٣.

(٩) الإسراء : ٥٩.

باب بيان تأويل قول :

(الْهُدَى من اللَّه)

اعلم أن « هَدَى » : رشد ، كقوله : ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[١] . أي : أن يرشدني إلى طريق مستقيم ، ومنه قوله : ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ﴾[٢] . أي : أرشدنا .

ثم يصير للإرشاد معاني ، كقوله : ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾[٣] . أي : بينا لهم ، والإرشاد ـ ههنا ـ البيان .

ومنها إرشاد بالإلهام ، كقوله : ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾[٤] . أي : ألهم إتيان الأنثى ، ويقال : طلب المرعى فتوقّى المهالك .

وقد قيل في قوله : ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾ . بمعنى : دعوناهم إلى الهدى ، وقد قيل : إن قوم ثمود أسلموا ، ثم ارتدوا عن الإسلام ، وقوله : ﴿فَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾ . أي : أعطيناهم الهدى ، ﴿فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾[٥] . أي : ارتدوا بعد ذلك .

* * *

---

(١) القصص : ٢٢.

(٢) الفاتحة : ٦.

(٣) فصلت : ١٧.

(٤) طه : ٥٠.

(٥) فصلت : ١٧.

باب بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[١]

حكاية عن إبراهيم النبي عليه السلام

ومعناه : إني خارج إلى موضع ينفذ فيه حكم الله ، ويُعمل فيه برضاه ، ولا يعدل عنه إلى غيره ، فذلك الذهاب إلى ربه .

وأما قوله : ﴿سَيَهْدِينِ﴾ . أي : سيرشدني إرشادا على إرشاد ، وبيانا إلى بيان[٢] .

فإن قال قائل : فكيف أمر المسلمين على أن يقولوا : ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[٣] . وهم على الصراط؟! أفيجوز لمن كان ببغداد أن يقول : اللهم ، اهدنا إلى بغداد؟

فيقال لهم : في هذا أجوبة .

* **أحدها** : أن يكون معنى ﴿ٱهْدِنَا﴾ . زدنا هداية إلى الإسلام ، وقد وعد الله المؤمنين الزيادة في الهدى فقال ـ سبحانه ـ : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾[٤] . وهذه زيادة إلى زيادة من لطائف الله تعالى ، وتحفة يوصلها إلى قلوبهم ، بها إحكام الإيمان في صدورهم .

* **وجواب ثانٍ** : أن يكون معنى قوله : ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[٥] . أي : أرشدنا إلى طريق الجنة ، قال الحطيئة[٦] :

---

(١) الصافات : ٩٩.

(٢) تفسير السمعاني ٤/ ٤٠٦، وتفسير النسفي ٢/ ١٣٠.

(٣) الفاتحة : ٦.

(٤) محمد : ١٧.

(٥) الفاتحة : ٦.

(٦) الحطيئة (نحو ٤٥هـ/نحو ٦٦٥م) هو : جرول بن أوس بن مالك العبسي ، أبو ملكية : شاعر مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام . كان هجاء عنيفا ، لم يكد يسلم من لسان أحد . وهجا أمه وأباه ونفسه . وأكثر من هجاء الزبرقان بن بدر ، فشكاه إلى عمر بن الخطاب ، فسجنه عمر بالمدينة ، فاستعطفه بأبيات ، فأخرجه ونهاه عن هجاء الناس ، فقال : إذا تموت عيالي جوعا ! .
ترجمته في : الأعلام ٢/ ١١٨.

تَحَنَّنْ عَلَيَّ[١] هَدَاكَ الْمَلِيكُ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالاً[٢]

يعني : أرشدك المليك .

وقال آخرون : قوله : ﴿ٱهْدِنَا﴾ . أي : ثبتنا على الصراط المستقيم[٣] .

* * *

(١) قال في اللسان : وتحنن عليه : ترحم .

(٢) انظر البيت في ديوان الحطيئة ص(٢٢٢) ، وتفسير الطبري ١٦/ ٥٧، والبحر المحيط ٦/ ١٧٧، ولسان العرب ، مادة (حنن) ، وتخليص الشواهد ص ٢٠٦، والدرر ٣/ ٦٤، وتاج العروس (قول) ، (حنن) ، وبلا نسبة في العقد الفريد ٥/ ٤٩٣، والمقتضب ٣/ ٢٢٤، وهمع الهوامع ١/ ١٨٩.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/ ٤٩، ٥/ ١٢، ونسبه البغوي في تفسيره ١/٧٥ لأبي بن كعب .

باب بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾(١)

إن سأل سائل فقال : في قولكم : « إن اللّٰه ـ سبحانه ـ لم يزل عالما » فكيف يجوز أن يقول : ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ . وهذا يدل على حدوث العلم؟!

قيل له : في هذا أجوبة :

* **أحدها** : أن اللّٰه ـ سبحانه ـ لم يزل عالما بكل شيء على وجهه ، بما كان ، وبما قد يكون إذا كان كيف يكون ، ولكن لا يقال : إن اللّٰه ـ سبحانه ـ لم يزل عالما بقعودنا في هذا المسجد الساعة ؛ لأنه يدعو إلى أن يكون المسجد وقعودنا لم يزل قديما ، وهذا محالٌ كونه ، ويجوز أن يقال : إنه علم قعودا في المسجد ساعة قعدنا فيه ، وإن كان عالما بأنا إذا قعدنا فيه كيف نقعد ، فكذلك قوله : ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ . بوقوع الاتباع منه ، كما علمناه من قبل ذلك أنه يتبعه .

* **وجواب ثان** : ما قاله الفراء وهو أنه يجوز أن يكون اللّٰه أضاف العلم إليه ، وهو في المعنى للمخاطبين به ، كما اجتمع جاهل وعالم ، فيقول الجاهل : الحطب يحرق النار . ويقول العالم : النار تحرق الحطب . فيقول العالم : نجمع بين النار والحطب ، لنعلم ـ أيها الجاهل ـ أيهما يحرق صاحبه . فمعناه : لتعلم أيها الجاهل ، فينسب إلى نفسه فعل غيره ، وكذلك قوله : ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ . معناه عنده : إلا لتعلموا أنتم يا جهلة أن اللّٰه ـ سبحانه ـ لم يزل عالما . ومثله قوله : ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ﴾(٢) . معناه عنده : حتى تعلموا أنتم المجاهدين .

* **وقال غيره** : العلم في هذه الآية بمعنى الثواب ، كما تقول للرجل : لأُعْلِمَنَّ لك هذا الكلام ، أي : لأثيبنك عليه(٣) .

---

(١) البقرة : ١٤٣.

(٢) محمد : ٣١.

(٣) قال أبو منصور الماتريدي في تأويلات أهل السنة ١/ ٥٨٦ : قيل : ليعلم من يتبع الرسول ما قد علم أنه يكون كائنًا ، وليعلم ما قد علم أنه يوجد موجودا . وقيل : إنه يجوز أن يراد بالعلم المعلوم . معناه ـ واللّٰه أعلم ـ إلا ليكون المتبع له ، والمنقلب على عقبيه . ثم الأصل في هذا ونحوه من قوله : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ﴾ أنا لا نصف=

فإن قيل : فما تقول في قوله : ﴿أَتُنَبِّئُونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ﴾[١] . وما من شيء إلا والله عالم به ، فكيف يُنبَّأ بما لا يعلم؟

قيل : إن معنى ذلك : أن الكفار لما أظهروا غير ما أبطنوا من الكفر ، **قال الله سبحانه** : أتنبئون الله بما يعلم منكم غيره باطنا ، وهذا كما تقول العرب : **الله لا يعلم مني هذا** ، أي : يعلم مني انتفاءه ، ولم يرد به نفي العلم عنه ، جل جلاله .

❊ ❊ ❊

=الله تعالى بالعلم في الخلق ، قال : غير الحال التي الخلق عليها ؛ لأن وصفنا إياه بالعلم على غير الحال التي عليها الخلق يومئ إلى وصفه بالجهل ؛ لأنه لا يجوز أن يقال : يعلم من الساكن في حال السكون حركة ، أو السكون في حال الحركة ، أو يعلم من الجالس قيامًا ، أو القائم جلوسًا . وكذلك لا يجوز أن يقال : يعلم من العدم موجودًا ، أو من الوجود معدومًا في حال وجوده ؛ لأنه وصف بعلم ما ليس ، وهو محال . وبالله العصمة . وقيل : إن كل علم يذكر على حدوث المعلوم يذكر بذكر الوقت للمحدَث ـ بفتح الدال ـ أي : يسند علمه إلى المحدث بذكر الوقت ؛ لئلا يفهم بذكره قدم المعلوم في الأزل . وإذا وصفنا الله بما هو حقيقة بلا ذكر الخلق مع ذلك نصفه بالذي نصفه به في الأزل لتعاليه عن التغير والزوال وعن الانتقال من حال إلى حال . ولا قوة إلا بالله .

(١) يونس : ١٨ .

باب بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾[١]

اعلم أن معناه : أن اللّه لا يترك أن يضرب مثلا ، فالاستحياء ـ من اللّه ـ بمعنى : الترك ؛ لأن المستحيِيَ يترك للحياء كما يترك للإيمان ، وينقطع بالحياء عن المعاصي كما ينقطع بالإيمان عنها ، ولهذا قال رسول اللّه ﷺ : **«الحياء شعبة من الإيمان»**[٢] .

وقال أبو وائل[٣] ، عن عبد اللّه بن مسعود[٤] ـ رضي الله عنهما ـ : إن آخر ما حفظ

---

(١) البقرة : ٢٦.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٤١٤، رقم ٩٣٥٠) ، والبخارى (١/ ١٢، رقم ٩) ، ومسلم (١/ ٦٣، رقم ٣٥) ، وأبو داود (٤/ ٢١٩، رقم ٤٦٧٦) ، والنسائى (٨/ ١١٠، رقم ٥٠٠٥) ، وابن ماجه (١/ ٢٢، رقم ٥٧) ، وابن حبان (١/ ٣٨٤، رقم ١٦٦) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (١/ ٣١، رقم ١) من حديث أبي هريرة .
ومن حديث أبى سعيد : أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٩/ ٢٠، رقم ٩٠٠٤) قال الهيثمي (٣٧/١) : رجال إسناده مستورون .

(٣) هو : شقيق بن سلمة أبو وائل الأسدي الكوفي الإمام الكبير ، شيخ الكوفة ، أبو وائل الأسدي ؛ أسد خزيمة ، الكوفي . مخضرم ، أدرك النبي ﷺ وما رآه . وحدث عن : عمر ، وعثمان ، وعلي ، وعمار ، ومعاذ ، وابن مسعود ، وأبي الدرداء ، وأبي موسى ، وحذيفة ، وعائشة ، وخباب ، وأسامة بن زيد ، والأشعث بن قيس ، وسلمان بن ربيعة ، وسهل بن حنيف ، وشيبة بن عثمان ، وعمرو بن الحارث المصطلقي ، وقيس بن أبي غرزة ، وأبي هريرة ، وأبي الهياج الأسدي ، وخلق سواهم . ويروي عن أقرانه : كمسروق ، وعلقمة ، وحمران بن أبان . وكان من أئمة الدين . وقيل : إنه روى عن أبي بكر الصديق . مات بعد الجماجم ، سنة اثنتين وثمانين .
ترجمته في : طبقات ابن سعد ٦/ ٩٦، ١٨٠، طبقات خليفة ت ١١١٤، تاريخ البخاري ٤/ ٢٤٥، المعارف ٤٤٩، المعرفة والتاريخ ٢/ ٥٧٤، الجرح والتعديل القسم الأول من المجلد الثاني ٣٧١، الحلية ٤/ ١٠١، الاستيعاب ت ١٢٠١، تاريخ بغداد ٩/ ٢٦٨، أسد الغابة ٣/ ٣، تهذيب الأسماء واللغات القسم الأول من الجزء الأول ٢٤٧، وفيات الأعيان ٢/ ٤٧٦، تذكرة الحفاظ ١/ ٥٦، غاية النهاية ت ١٤٢٩، الإصابة ٣٩٨٢، تهذيب التهذيب ٤/ ٣٦١، النجوم الزاهرة ١/ ٢٠١، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٢٠، خلاصة تذهيب التهذيب ١٦٧، تهذيب ابن عساكر ٦/ ٣٣٦.

(٤) الصحابى الجليل عبد اللّه بن مسعود بن غافل بن حبيب بن مخزوم، الإمام الحبر فقيه الأمة أبو عبد الرحمن البدرى ، من السابقين الأولين والنجباء العالمين ، شهد بدرا وهاجر الهجرتين ومناقبه كثيرة ، وروى علما كثيرا ، مات رضى اللّه عنه بالمدينة ودفن بالبقيع سنة اثنتين وثلاثين . وقيل : سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة . ترجمته عند ابن عبد البر : الاستيعاب ٣/ ٩٨٧، ابن الأثير : أسد الغابة ٣/ ٣٨٤، ابن حجر : الإصابة ٤/ ٢٣٣.

من كلام النبوة «**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»[١] . يريد بذلك : إذا لم يستحِ الرجل ، فكان فاسقا ذكر كل فاحشة ، وقارف كل قبيح ؛ لأنه لا يحجزه عن ذلك دين ولا حياء ، فلما كان الحياء والإيمان يعملان عملا واحدا ، قال النبي ﷺ : «**الحياء شعبة من الإيمان**» . وإن كان أحدهما غريزة مركبة في المرء ، وهو الحياء وكان الإيمان اكتسابا .

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٨٠٢) .

باب بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾(١)

إن قال قائل : إن « أو » شك ، فلأية علة دخل الشك في القرآن ، والله ـ تعالى ـ لا يشك في شيء؟

قيل له : في هذا أجوبة :

* **أحدها** : أن العرب تدخل « أو » للإباحة ، فتقول : جالس الفقهاء أو النحويين ، يريدون : إن جالست الفقهاء فحسن ، وإن جالست النحويين فحسن ، وإن جالست الفريقين فحسن ، فكذلك قوله سبحانه : ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ . معناه : إن شبهوهم بالذي استوقد نارا فحسن ، وإن شبهوهم بالصيب فحسن جميل(٢) .

---

(١) البقرة : ١٩.

قال ابن جرير : والصيب الفيعل من قولك : صاب المطر يصوب صوبا ، إذا انحدر ونزل . جامع البيان في تأويل القرآن ١/ ٣٣٣.

(٢) قال ابن جرير : وتأويل ذلك : مثل استضاءة المنافقين بضوء إقرارهم بالإسلام ، مع استسرارهم الكفر ، مثل إضاءة موقد نار بضوء ناره ، على ما وصف جل ثناؤه من صفته ، أو كمثل مطر مظلم ودقه تحدر من السماء ، تحمله مزنة ظلماء في ليلة مظلمة . وذلك هو الظلمات التي أخبر الله جل ثناؤه أنها فيه .

فإن قال لنا قائل : أخبرنا عن هذين المثلين : أهما مثلان للمنافقين ، أو أحدهما؟ فإن يكونا مثلين للمنافقين ، فكيف قيل : "أو كصيب" ، و"أو" تأتي بمعنى الشك في الكلام ، ولم يقل "وكصيب" بالواو التي تلحق المثل الثاني بالمثل الأول؟ أو يكون مثل القوم أحدهما ، فما وجه ذكر الآخر بـ "أو"؟ وقد علمت أن "أو" إذا كانت في الكلام فإنما تدخل فيه على وجه الشك من المخبر فيما أخبر عنه ، كقول القائل : "لقيني أخوك أو أبوك" وإنما لقيه أحدهما ، ولكنه جهل عين الذي لقيه منهما ، مع علمه أن أحدهما قد لقيه . وغير جائز فيه الله جل ثناؤه أن يضاف إليه الشك في شيء ، أو عزوب علم شيء عنه ، فيما أخبر أو ترك الخبر عنه .

قيل له : إن الأمر في ذلك بخلاف الذي ذهبت إليه . و"أو" ـ وإن كانت في بعض الكلام تأتي بمعنى الشك ـ فإنها قد تأتي دالة على مثل ما تدل عليه الواو ، إما بسابق من الكلام قبلها ، وإما بما يأتي بعدها ، كقول توبة بن الحمير :

وقد زعمت ليلى بأني فاجر   لنفسي تقاها أو عليها فجورها

ومعلوم أن ذلك من توبة على غير وجه الشك فيما قال ، ولكن لما كانت "أو" في هذا الموضع دالة على مثل الذي كانت تدل عليه "الواو" لو كانت مكانها ، وضعها موضعها .

جامع البيان في تأويل القرآن ١/ ٣٣٧.

* ووجه ثان : أن تكون « أو » دخلت للتفصيل والتمييز ، والمعنى : بعضهم يشبهون الذي استوقد نارا ، وبعضهم يشبهون أصحاب الصيب(١) ، كما قال : ﴿فَهِىَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾(٢) . قسوة قلوب بعضهم تشبه قسوة الحجارة ، وقسوة بعضهم تشبه قسوة أشد من الحجارة . ومثله قوله سبحانه : ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾(٣) . معناه : وقال بعضهم : كونوا يهودا ، وقال بعضهم : كونوا نصارى ، فدخلت « أو » للتفصيل . وكذلك قوله سبحانه : ﴿فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾(٤) . معناه : فجاء بعض أهلها بأسنا بياتا ، وجاء بعض أهلها بأسنا في وقت القيلولة .

* وجواب آخر : هو أن يكون « أو » بمعنى : الواو ، كقوله سبحانه : ﴿أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ﴾(٥) . معناه : وبيوت آبائكم ، أنشدنا ابن الأنباري لجرير(٦) :

نَالَ الْخِلَافَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدَرًا ... كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرِ

معناه : وكانت له قدرا .

وقال جرير أيضا(٧) :

---

(١) قال ابن جرير : والصيب الفيعل من قولك : صاب المطر يصوب صوبا ، إذا انحدر ونزل . جامع البيان في تأويل القرآن ١/ ٣٣٣.

(٢) البقرة : ٧٤.

(٣) البقرة : ١٣٥.

(٤) الأعراف : ٤.

(٥) النور : ٦١.

(٦) من قصيدة عدة تسعة وعشرون بيتا في ديوانه (طبعة الصاوي بالقاهرة ٢٧٤ ـ ٢٧٦) والرواية فيه : " نال الخلافة " كرواية المؤلف ، وفي بعض كتب الشواهد : " جاء الخلافة " . وفي هامش الديوان : ويروى : " عز الخلافة " البيت . ومحل الشاهد في البيت ، قوله : " على قدر " فإن معناه : القضاء الموافق . قال في (اللسان : قدر) : يقال : قدر الإله كذا تقديرا ؛ وإذا وافق الشيء الشيء قلت : جاء قدره ، وقال ابن سيده : القدر والقدر (بسكون الدال وتحريكها) : القضاء والحكم ، وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء ، ويحكم به من الأمور .

(٧) البيت لجرير . وهو من شواهد سيبويه (الكتاب ١/ ٥٢، ٤٨٩) وروايته في الموضع الثاني "أو رياحا" . وفي الموضع الأول : "أم ريحا" . قال : فأما إذا قلت أتضرب أو تحبس زيدا ، وهو بمنزلة أزيدا أو عمرا ضربت . قال الشاعر : "أثعلبة . . . البيت" . وإن قلت : أزيدا تضرب أو تقتل كان كقولك أتقتل زيدا أو عمرا ضربت . قال : و"أم" في كل هذا : جيد . وإن قال : أتجلس أم تذهب . فأم وأو فيه سواء .
والبيت : من شواهد أبي عبيدة في : (مجاز القرآن ٢/ ١٤٢) قال في تفسير الآية : ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ

أثَعْلَبَةَ الفَوَارِسِ أَوْ رِيَاحا   عَدَلْتَ بِهِمْ طُهَيَّةَ والخِشَابَا

أراد : ثعلبة الفوارس والرياح .

* وجواب آخر : وهو أن يقال « أو » ههنا بمعنى : بل ، كما قال جل ثناؤه : ﴿إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[1] . بمعنى : بل يزيدون ؛ أنشدنا ابن الأنباري ، عن ثعلب النحوي[2] :

بَدَتْ مثل قَرْنِ الشمسِ في رَوْنَقِ الضحى   وصورتِها أم أنتِ في العينِ أَمْلَحُ

معناه : بل أنت .

❋ ❋ ❋

هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ : لأن العرب تضع أو في موضع واو الموالاة ، قال : أثعلبة الفوارس أو . . . البيت . يعني ثعلبة ورياحا . وقال قد يتكلم بهذا من يشك في دينه ، وقد علموا أنهم على هدى ، وأولئك على ضلال ، فقال هذا ، وإن كان كلاما واحدا ، على وجه الاستهزاء .

(١) الصافات : ١٤٧ .

(٢) مجمع البيان : ١/ ٢٨١، والبيت لذي الرمة كما في باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن ١/ ٩٨ .

باب بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾[1]

اعلم أن :

* الوحي الأول ما أراه الله الأنبياء في منامهم .
* والكلام من وراء حجاب : تكليم موسى .
* والكلام بالرسالة : إرساله الروح الأمين بالرسالة إلى من يشاء من عباده .

والعرب تسمي القول وحيا ، والإيماء وحيا ، والرمز بالشفتين وحيا ، والإلهام وحيا وكل شيء دللت به : فقد أوحيت به ، غير أن إلهام النحل تسخيرها لاتخاذ البيوت ، وسلوك السبل والأكل من الثمرات ، قال العجاج[2] ـ وذكر الأرض ـ[3] :

بإذنه الأرضَ وما تَعَتَّتِ وَحَى لها القرار فاستقرَّتِ

بمعنى : سخرها لِأَنْ تستقر فاستقرت .

فإن قيل : فما معنى قوله : ﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾؟ أيجوز أن يقال : إن الله محجوب؟

قيل له : لا يجوز أن يقال : إن الله احتجب بحجاب ساتر بينه وبين الخلق من ماء وأرض ، وغير ذلك من الموانع ، ويجوز أن يقال : إنه حجب الخلق عنه بحجاب ، فيكون الحجاب راجعا إلى الخلق دونه ، ويكون في حجاب .

---

(١) الشورى : ٥١.

(٢) العجاج (٠٠٠ ـ نحو ٩٠هـ/٠٠٠ ـ نحو ٧٠٨م) عبد الله بن رؤية بن لبيد بن صخر السعدي التميمي ، أبو الشعثاء ، العجاج : ، راجز مجيد ، من الشعراء . ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها . ثم أسلم ، وعاش إلى أيام الوليد بن عبد اللمك ، ففلج وأقعد . وهو أول من رفع الرجز ، وشبهه بالقصيد . وكان لا يهجو . وهو والد " رؤبة " الراجز المشهور أيضا . ترجمته في : الشعر والشعراء١/ ٢٣٠، والأعلام ٤/ ٨٦.

(٣) ديوانه ، ص ٥، واللسان (وحى) ، ومن لغة هذا الراجز إسقاط الهمزة مع الحرف ، والبيت من رجز يذكر فيه ربه ويثني عليه بآلائه ، أوله :

الحمد لله الذي استقلت بإذنه السماء ، واطمأنت

باب بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ﴾[(١)]

اعلم أن :

* الفتح قد يكون أن يفتح المُغلق كقوله : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾[(٢)] .

* والفتح أيضا يفتح اللّٰه به أمرا مغلقا ، قال اللّٰه تعالى : ﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[(٣)] . أي : نصر .

والفتح أيضا القضاء ؛ لأن القضاء فصل الأمور ، وفتح لما أشكل منها ، قال اللّٰه تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾[(٤)] . يعني : يوم القيامة ؛ لأنه يوم يقضى فيه بين عباده . ويقال : إنه أراد به يوم فتح مكة لا ينفع الكافرين إيمانهم في خوف السيئات ، ولم ينفعهم ذلك ، فقتلهم خالد بن الوليد[(٥)] .

---

(١) الأعراف : ٨٩.

(٢) الزمر : ٧٣.

(٣) النساء : ١٤١.

(٤) السجدة : ٢٨، ٢٩.

(٥) خالد بن الوليد (٢١هـ/ ٦٤٢م) هو : خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي : سيف اللّٰه الفاتح الكبير ، الصحابي . كان من أشراف قريش في الجاهلية ، يلي أعنة الخيل ، وشهد مع مشركيهم حروب الإسلام إلى عمرة الحديبية ، وأسلم قبل فتح مكة (هو وعمرو بن العاص) سنة ٧هـ ، فسر به رسول اللّٰه ﷺ وولاه الخيل - ولما ولي أبو بكر وجهه لقتال مسيلمة ومن ارتد من أعراب نجد . ثم سيره إلى العراق سنة ١٢هـ ، ففتح الحيرة وجانبا عظيما منه . وحوله إلى الشام وجعله أمير من فيها من الأمراء . ولما ولي عمر عزله عن قيادة الجيوش بالشام وولى أبا عبيدة بن الجراح ، فلم يثن ذلك من عزمه ، واستمر يقاتل بين يدي أبي عبيدة إلى أن تم لهما الفتح (سنة ١٤هـ) فرحل إلى المدينة ، فدعاه عمر ليوليه ، فأبى . ومات بحمص (في سورية) وقيل بالمدينة . كان مظفرا خطيبا فصيحا . يشبه عمر بن الخطاب في خلقه وصفته . قال أبو بكر : عجزت النساء أن يلدن مثل خالد ! روى له المحدثون ١٨ حديثا . وأخباره كثيرة . ترجمته في : طبقات ابن سعد : ٤/٢/ ١، ٧/٢/ ١١٨، نسب قريش : ٣٢٠ - ٣٢٢، طبقات خليفة : ١٩ - ٢٠، ٢٩٩، تاريخ خليفة : ٨٦، ٨٨، ٩٢، ١٥٠، التاريخ الصغير : ١/ ٢٣، ٤٠، المعارف : ٢٦٧، الجرح والتعديل : ٣/ ٣٥٦، مشاهير علماء الأمصار : ت : ١٥٧، الاستيعاب : ٣/ ١٦٣، تاريخ دمشق ٥/٢٦٤/ ٢، أسد الغابة : ٢/ ١٠٩، تهذيب الأسماء واللغات : ١/١٧٢ - ١٧٤، العبر : ١/ ٢٥، الإصابة : ٣/ ٧٠، شذرات الذهب : ١/ ٢٣٢.

وقال في موضع آخر : ﴿ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾[١] . أي : احكم بيننا ، قال الشاعر[٢] :

ألا بلغ بني أعيا رسولا   بأني عن فُتَاحَتِكُم غَنِيُّ

أي : عن محاكمتكم .

* * *

(١) الأعراف : ٨٩.

(٢) البيت ينسب للأسعر الجعفي ، ومحمد بن حمران بن أبي حمران . انظر تعليق الراجكوتي في سمط اللآلئ : ٩٢٧، مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٢٢٠، ٢٢١.

باب بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾(١)

اعلم أن الرؤية قد تكون معاينة ، كقوله : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾(٢) . أي : عاينت .

والرؤية قد تكون علما ، كقوله : ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾(٣) . أي : ألم يعلموا ، وقال سبحانه : ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾(٤) . أي : يعلم اللّٰه عملكم ورسوله ، فيجازيكم عليه ، قال الشاعر(٥) :

أريني جوادا مات هُزْلا لعلني أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا

أي : أعلميني .

* * *

---

(١) التوبة : ١٠٥.

(٢) الإنسان : ٢٠.

(٣) الأنبياء : ٣٠.

(٤) التوبة : ١٠٥.

(٥) الشعر والشعراء : ٢٠١ـ٢٠٢، ٢١١ وفيه تحقيق عن اختلاف قديم في نسبته ، ومجاز القرآن ١/ ٥٥، والخزانة ١/١٩٥ـ١٩٦ وفيهما مراجع كثيرة . روى البيت لحاتم الطائي ، ولمعن بن أوس ، وفي اللسان (أنن) و(علل) عن ابن برى وقال : "حطائط بن يعفر ، ويقال هو لدريد" ، و تفسير الطبري منسوب لدريد بن الصمة ٢١٣/٧) مع اختلاف في رواية صدره : ذريني أطوف في البلاد لأنني .
وهو يخاطب أمه رهم بنت العباب ، وكانت تلومه على جوده وإتلافه المال . والهزل (بفتح وسكون) والهزل (بضم فسكون) والهزال : هو نقيض السمن ، مع الضعف والاسترخاء . وقوله : "لأنني" بفتح الهمزة بمعنى : "لعلني" . من قولهم : "أن" بمعنى "عل" ، و"لأن" بمعنى "لعل" ، وأرى أن الهمزة منقلبة عن العين ، والنون منقلبة عن اللام . وهما لغتان من لغات العرب . واجتمعتا في هذا اللفظ .

باب بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾(١)

اعلم : أن الفتنة في كلام العرب :

* قد تكون الاختبار ، يقال : فتنت الذهب بالنار ، أي : أدخلته إياها ، لأعلم جودته من رداءته ، قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ . أي : اختبرناهم لتحقيق الأمر عليهم(٢) ، لئلا يقولوا : ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾(٣) . وقال لموسى ـ عليه السلام ـ : ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾(٤) .

* والفتنة قد تكون تعذيبا ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾(٥) . أي : عذبوهم بالنار(٦) .

* وقد تكون الفتنة الصد ، قال الله ـ سبحانه ـ : ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾(٧) . أي : يصدوك(٨) .

* والفتنة قد تكون كفرا ، من قوله : ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾(٩) . أي : شرك(١٠) .

* * *

---

(١) العنكبوت : ٣.

(٢) تفسير الطبري ١٩/٨.

(٣) المائدة : ١٩.

(٤) طه : ٤٠.

(٥) البروج : ١٠.

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، وأحكامه ، وجمل من فنون علومه١٢/٨١٨٣، والبحر المحيط ٢/ ٢٤٤.

(٧) المائدة : ٤٩.

(٨) تفسير الطبري ١٠/ ٣٩٢.

(٩) البقرة : ١٩٣.

(١٠) تفسير الطبري ٣/ ٥٦٧.

باب بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾[١]

المعنى في قوله : ﴿لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ . أي : لله ، والوجه من الشيء هو بعينه ، تقول العرب : هذا وجه الأمر ، ووجه الرأي ، ووجه القوم ، ووجه المتاع : إذا أخبرت عن الشيء بعينه ، والوجه هو الشيء بعينه . وكذلك : وجه الطريق ، هو الطريق بعينه ، قال زيد بن عمرو بن نُفيل[٢] في الجاهلية الجهلاء[٣] :

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ ... لَهُ الْمُزْنُ تَحْمِلُ عَذْبًا زُلَالًا[٤]

(أسلمت وجهي) . أي : نفسي . (لمن أسلمت له المزنُ) . أي : لمن انقادت له المزن ، وهو السحاب .

***

---

(١) الإنسان : ٩.

(٢) زيد بن عمرو (١٧ ق هـ/٦٠٦م) هو : زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى ، القرشي العدوي ، نصير المرأة في الجاهلية ، وأحد الحكماء ، وهو ابن عم عمر بن الخطاب . لم يدرك الإسلام ، وكان يكره عبادة الأوثان ولا يأكل مما ذبح عليها . ورحل إلى الشام باحثا عن عبادات أهلها ، فلم تستمله اليهودية ولا النصراينة ، فعاد إلى مكة يعبد الله على دين إبراهيم . وجاهر بعداء الأوثان ، فتألب عليه جمع من قريش ، فأخرجوه من مكة ، فانصرف إلى (حراء) فسلط عليه عمه الخطاب شبانا لا يدعونه يدخل مكة ، فكان لا يدخلها إلا سرا ، وكان عدوا لوأد البنات ، لا يعلم ببنت يراد وأدها إلا قصد أباها وكفاه مؤنتها ، فيربيها حتى إذا ترعرعت عرضها على أبيها فإن لم يأخذها بحث لها عن كفؤ فزوجها به . رآه النبي ﷺ قبل النبوة ، وسئل عنه بعدها فقال : يبعث يوم القيامة أمة وحده . توفي قبل مبعث النبي ﷺ بخمس سنين . وله شعر قليل . ترجمته في : الأعلام ٣/ ٦٠.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٢٤٦، وتفسير الطبري ٢/ ٤٣٢.

(٤) يعني بذلك : استسلمت لطاعة من استسلم لطاعته المزن وانقادت له .. تفسير الطبري ٢/ ٤٣٢.

باب بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[١]

اعلم : أن الفتنة في كلام العرب :

* قد تكون الاختبار ، يقال : فتنت الذهب بالنار ، أي : أدخلته إياها ، لأعلم جودته من رداءته ، قال اللّٰه تعالى : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ . أي : اختبرناهم لتحقيق الأمر عليهم[٢] ، لئلا يقولوا : ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾[٣] . وقال لموسى ـ عليه السلام ـ : ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾[٤] .

* والفتنة قد تكون تعذيبا ، قال اللّٰه تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[٥] . أي : عذبوهم بالنار[٦] .

* وقد تكون الفتنة الصد ، قال اللّٰه ـ سبحانه ـ : ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[٧] . أي : يصدوك[٨] .

* والفتنة قد تكون كفرا ، من قوله : ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[٩] . أي : شرك[١٠] .

* * *

(١) العنكبوت : ٣.

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٨.

(٣) المائدة : ١٩.

(٤) طه : ٤٠.

(٥) البروج : ١٠.

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، وأحكامه ، وجمل من فنون علومه١٢/ ٨١٨٣، والبحر المحيط ٢/ ٢٤٤.

(٧) المائدة : ٤٩.

(٨) تفسير الطبري ١٠/ ٣٩٢.

(٩) البقرة : ١٩٣.

(١٠) تفسير الطبري ٣/ ٥٦٧.

باب بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾[١]

المعنى في قوله : ﴿لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ . أي : لله ، والوجه من الشيء هو بعينه ، تقول العرب : هذا وجه الأمر ، ووجه الرأي ، ووجه القوم ، ووجه المتاع : إذا أخبرت عن الشيء بعينه ، والوجه هو الشيء بعينه . وكذلك : وجه الطريق ، هو الطريق بعينه ، قال زيد بن عمرو بن نُفيل[٢] في الجاهلية الجهلاء[٣] :

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ لَهُ الْمُزْنُ تَحْمِلُ عَذْبًا زُلاَلاَ[٤]

(أسلمت وجهي) . أي : نفسي . (لمن أسلمت له المزنُ) . أي : لمن انقادت له المزن ، وهو السحاب .

* * *

(١) الإنسان : ٩.

(٢) زيد بن عمرو (١٧ ق هـ/٦٠٦م) هو : زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى ، القرشي العدوي ، نصير المرأة في الجاهلية ، وأحد الحكماء ، وهو ابن عم عمر بن الخطاب . لم يدرك الإسلام ، وكان يكره عبادة الأوثان ولا يأكل مما ذبح عليها . ورحل إلى الشام باحثا عن عبادات أهلها ، فلم تستمله اليهودية ولا النصراينة ، فعاد إلى مكة يعبد الله على دين إبراهيم . وجاهر بعداء الأوثان ، فتألب عليه جمع من قريش ، فأخرجوه من مكة ، فانصرف إلى (حراء) فسلط عليه عمه الخطاب شبانا لا يدعونه يدخل مكة ، فكان لا يدخلها إلا سرا ، وكان عدوا لوأد البنات ، لا يعلم ببنت يراد وأدها إلا قصد أباها وكفاه مؤنتها ، فيربيها حتى إذا ترعرعت عرضها على أبيها فإن لم يأخذها بحث لها عن كفؤ فزوجها به . رآه النبي ﷺ قبل النبوة ، وسئل عنه بعدها فقال : يبعث يوم القيامة أمة وحده . توفي قبل مبعث النبي ﷺ بخمس سنين . وله شعر قليل . ترجمته في : الأعلام ٣/ ٦٠.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٢٤٦، وتفسير الطبري ٢/ ٤٣٢.

(٤) يعني بذلك : استسلمت لطاعة من استسلم لطاعته المزن وانقادت له .. تفسير الطبري ٢/ ٤٣٢.

باب بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[١]

اعلم : أن الفتنة في كلام العرب :

* قد تكون الاختبار ، يقال : فتنت الذهب بالنار ، أي : أدخلته إياها ، لأعلم جودته من رداءته ، قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ . أي : اختبرناهم لتحقيق الأمر عليهم[٢] ، لئلا يقولوا : ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾[٣] . وقال لموسى ـ عليه السلام ـ : ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾[٤] .

* والفتنة قد تكون تعذيبا ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[٥] . أي : عذبوهم بالنار[٦] .

* وقد تكون الفتنة الصد ، قال الله ـ سبحانه ـ : ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[٧] . أي : يصدوك[٨] .

* والفتنة قد تكون كفرا ، من قوله : ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[٩] . أي : شرك[١٠] .

* * *

---

(١) العنكبوت : ٣.

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٨.

(٣) المائدة : ١٩.

(٤) طه : ٤٠.

(٥) البروج : ١٠.

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، وأحكامه ، وجمل من فنون علومه١٢/ ٨١٨٣، والبحر المحيط ٢/ ٢٤٤.

(٧) المائدة : ٤٩.

(٨) تفسير الطبري ١٠/ ٣٩٢.

(٩) البقرة : ١٩٣.

(١٠) تفسير الطبري ٣/ ٥٦٧.

باب بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾[١]

المعنى في قوله : ﴿لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ . أي : لله ، والوجه من الشيء هو بعينه ، تقول العرب : هذا وجه الأمر ، ووجه الرأي ، ووجه القوم ، ووجه المتاع : إذا أخبرت عن الشيء بعينه ، والوجه هو الشيء بعينه . وكذلك : وجه الطريق ، هو الطريق بعينه ، قال زيد بن عمرو بن نُفيل[٢] في الجاهلية الجهلاء[٣] :

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ لَهُ الْمُزْنُ تَحْمِلُ عَذْبًا زُلَالَا[٤]

(أسلمت وجهي) . أي : نفسي . (لمن أسلمت له المزنُ) . أي : لمن انقادت له المزن ، وهو السحاب .

* * *

---

(١) الإنسان : ٩.

(٢) زيد بن عمرو (١٧ ق هـ/٦٠٦م) هو : زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى ، القرشي العدوي ، نصير المرأة في الجاهلية ، وأحد الحكماء ، وهو ابن عم عمر بن الخطاب . لم يدرك الإسلام ، وكان يكره عبادة الأوثان ولا يأكل مما ذبح عليها . ورحل إلى الشام باحثا عن عبادات أهلها ، فلم تستمله اليهودية ولا النصراينة ، فعاد إلى مكة يعبد الله على دين إبراهيم . وجاهر بعداء الأوثان ، فتألب عليه جمع من قريش ، فأخرجوه من مكة ، فانصرف إلى (حراء) فسلط عليه عمه الخطاب شبانا لا يدعونه يدخل مكة ، فكان لا يدخلها إلا سرا ، وكان عدوا لوأد البنات ، لا يعلم بينت يراد وأدها إلا قصد أباها وكفاه مؤنتها ، فيربيها حتى إذا ترعرعت عرضها على أبيها فإن لم يأخذها بحث لها عن كفؤ فزوجها به . رآه النبي ﷺ قبل النبوة ، وسئل عنه بعدها فقال : يبعث يوم القيامة أمة وحده . توفي قبل مبعث النبي ﷺ بخمس سنين . وله شعر قليل . ترجمته في : الأعلام ٣/ ٦٠.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٢٤٦، وتفسير الطبري ٢/ ٤٣٢.

(٤) يعني بذلك : استسلمت لطاعة من استسلم لطاعته المزن وانقادت له .. تفسير الطبري ٢/ ٤٣٢.

باب

بيان تأويل قوله سبحانه : ﴿شكور﴾

قال بعض أهل اللغة : إن « الشكر » مأخوذ من قول العرب : دابة شَكُورٌ : إذا كان يظهر سِمَنُهَا على القليل من العلف[١] ، فكأن اللّٰه ـ تعالى ـ سمى نفسه شاكرا وشكورا ، لأنه يرضى من عباده بالقليل من العبادة ، ويجازيهم عليها ، بعد صحة التوحيد ونفي التشبيه .

وزعم الجبائي : أن الوصف للّٰه بأنه شكور على جهة المجاز ؛ لأن الشكر ـ في الحقيقة ـ هو الاعتراف بنعمة المُنعم ، فلما كان القديم ـ سبحانه ـ مجازيا للمطيعين على طاعتهم ، بعد حمده إياهم عليها ، شكروا على التوسع ، وليس الحمد عنده هو الشكر ؛ لأن الحمد ضد الذم ، والشكر ضد الكفر .

❊ ❊ ❊

---

(١) تفسير القرطبي ١/ ٣٩٧.

باب بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[1]

اعلم أن البروز ليس لأنهم لم يكونوا قبل ذلك ظاهرين له بارزين ، وإنما ذلك أن سرهم صار للخلق ظاهرا على غير حالهم أيام مقامهم في الدنيا ، فأبدوا فضائحهم ، وبرزوا بأسرارهم ، فلا ينصرهم ناصر ، ولا يدفع عنهم دافع ، ولم يزالوا للّٰه ظاهرين .

* * *

(١) إبراهيم : ٤٨ .

باب بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[١]

اعلم أن قوله : ﴿وَٰسِعٌ﴾ فيه وجهان :

* **أحدهما** : أنه واسع بإفضاله على خلقه ، واحتماله مسائل عباده ، بمعنى : أنه جواد ، مأخوذ ذلك من قول العرب : فلان يسع ما يسأل منه ، أي : لا يبخل بشيء ، ولا يَضِنُّ به ، أنشدنا ابن الأنباري لأبي زَبِيدِ الطائي[٢] :

حمال أثقال أهل الوُدِّ آونة أعطيهم الجَهْدَ مني ، بَلْهَ ما أسعُ[٣]

معناه : أعطيهم جهدي ، فدع ما أقدر عليه .

* **والوجه الثاني** : أنه يسع علم كل شيء ، فلا يخفى عليه من أفعال عباده فعل ، ولا يغيب عنه منها أثر .

❊ ❊ ❊

---

(١) البقرة : ١١٥.

(٢) أبو زبيد (نحو ٦٢هـ/نحو ٦٨٢م) هو : حرملة بن المنذر بن معدي كرب بن حنظلة الطائي : أبو زبيد : شاعر معمر . عاش في الجاهلية والإسلام . وكان من زوار ملوك العجم ، عالما بسيرها . وهو من نصارى طيئ . وفد على أمير المؤمنين عثمان أكثر من مرة ، فكان يدنيه ويقرب مجلسه ، لعلمه . واستنشده يوما من شعره ، فأنشده قصيدة يصف بها الأسد . وحدثه بحديث عن الاسد من بليغ القول .
ترجمته في : الأعلام ٢/ ١٧٤.

(٣) البيت في كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب ١/ ٢٥، والخزانة ٦/ ٢٢٨.

باب بيان تأويل قوله سبحانه لآدم :

﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[١]

اعلم : أن اليد على وجوه :

* **منها** : « قوة » ، من قوله سبحانه : ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾[٢] . أي : ذا القوة[٣] .

* **ومنها** : « يد نعمة » . من قول العرب : كم من يد لك عندي! وكم من يد لي عند فلان! أي : كم من نعمة قد أسديتها إليه .

* **ومنها** : « يد جارحة » .

* **ومنها** : يد ، بمعنى « النفس والذات » . من قوله سبحانه : ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾[٤] . أي : مما عملناه نحن ، ومن قوله : ﴿أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾[٥] . أي : الذي له ذلك .

* **ومنها** : « يد صفة » .

لا يحتمل أن يكون شيئا مما ذكرنا ؛ لا من قوة ، ونعمة ، وجارحة ، وأن تكون بمعنى النفس والذات ؛ لأن قوله : ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[٦] . لو كانت يد قوة ، لكان قد سوى بين آدم صفيه ، وإبليس عدوه في ذلك ، ولم يخص به آدم بشيء لم يخص به إبليس ، ولو كان ذلك كذلك ، فما معنى قوله : ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[٧] . ولولا أن إبليس علم أنه قد خص آدم ـ عليه السلام ـ من جهة الخلقة بشيء لم يخصه به ، لقال : وخلقتني ـ أيضا ـ بما خلقته به؟

---

(١) ص : ٧٥.

(٢) ص : ١٧.

(٣) ورد عن قتادة ، كما في تفسير عبد الرزاق (٢٥٨٢) .

(٤) يس : ٧١.

(٥) البقرة : ٢٣٧.

(٦) ص : ٧٥.

(٧) ص : ٧٥.

وقد انتفى أن تكون اليد جارحة ؛ لأن اللّه ـ تعالى ـ ليس بمتبعض ولا بمتجزئ ولا مصور ، فيستحيل أن تكون يد جارحة .

وبهذا المعنى ننفي أن تكون له يدٌ بمعنى النفس والذات ؛ لأن الاشتراك في ذلك يقع بين عدوه ووليه ، فما معنى أمره له بالسجود له ، والاشتراك حاصل ، والاختصاص معدوم؟!

ومعنى « يد النعمة » ـ أيضا ـ يفسد ؛ للاشتراك في ذلك .

فإذا بطلت هذه الوجوه بأسرها ، لم يرجع تفسيرها إلى غير إطلاق اللفظ بها ، كما جاء عن اللّه سبحانه ، من غير تفسيرنا ذلك بالفارسية الموهمة لِلْخَطَأ .

فإن قيل : كيف يستقيم لك أن تقسم اليد على أوجه ، ثم تخرج اليد التي تثبتها للقديم من جملتها ، من غير أن ترجع في العبارة عنها إلى الفارسية وغيرها من اللغات ، ولا تزيد على قولك من أنها يد صفة ، وهي غير معقولة فيما بيننا؟!

قيل له : إن ذلك التقسيم الذي قسمنا إنما فعلنا فيما شاهدناه ، ونحن لم نُرَتِّبِ البابَ بيننا وبين خصومنا لنثبت ما شاهدناه وعقلناه مُعَايَنَةً ، حتى يكون قولك هذا قادحا في جملة ما أوردناه في هذا الباب ، لأنا قد نُثبت فاعلا في الغائب قديما ليس بجسم ولا عرض ، ولا جوهر ، وإن كنا في الشاهد لا نعقل موجودا إلا جسما أو جوهرا أو عرضا ، فإن صح ذلك كله ، مع خروجه عن حكم الشاهد ، صح لغيرك إثبات اليد للقديم من غير رجوع في تفسيرها إلى أكثر من إطلاق اللفظ بها ، كما جاء في القرآن ، من حيث جاز لكم ذلك في الفاعل ، والعالم ، والقادر ، والموجود .

فإن اعتل معتل في دفع ما قلنا بقوله سبحانه : ﴿بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾(١) . فقال : قد يقال : بيده ، وإن كان أقطع اليدين!

قيل له : معنى ذلك : أن عقدة النكاح إليه ، وأنه يملكها ، فيجب أن يكون قوله : ﴿خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ . بملكي ، وقد أفسدنا هذا التقسيم فيما تقدم من كلامنا بموجب الاشتراك في ذلك .

---

(١) البقرة : ٢٣٧.

فإن قيل: فَلِمَ لا قلتم: إن له أيدٍ، لقوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾[(١)]؟

قيل له: معنى قوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾. أي: مما عملناه نحن، كما قال تعالى: ﴿كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[(٢)]. بمعنى: كسبتم؛ لأن الأيدي لا تكسب شيئا، فلما كان اللّه ـ سبحانه ـ هو الفاعل، ولا يقال لليد: فعلت ـ علمنا أن ذلك على التوسع، وأن معناها: مما عملنا، ولم يكن يمكن حمل قوله على معنى نفي المعاني المتقدمة، لما كان فيه من الفساد على ما بيَّنَّا فيما سلف من قولنا.

فإن قيل: فما تقول في قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[(٣)]؟

قيل له: إن القبضة ـ في كلام العرب ـ على معانٍ مختلفة:

منها: ما يراد بها الملك والقدرة، وهي قولهم: ما فلان إلا في قبضتي، أي: ما فلان إلا في ملكي. وقولهم: قد قبض فلان الدار، بمعنى: قد صارت في ملكه وقدرته، ليس يحول بينه وبينها شيء. وقولهم: الأشياء في قبضة اللّه، بمعنى: أنها في قدرته.

وأما القبضة التي هي بمعنى إفناء الشيء، فهو قول الناس: قد قبضه اللّه إليه. يعنون به: أفناه اللّه في الدنيا وصيره إليه. فتأويل قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾. أي: والأرض جميعا ذاهبة فانية يوم القيامة بقدرته على إفنائها.

وأما قوله: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[(٤)]. فإن ذلك الطي ليس كطي الناس الشيء بيد وعلاج وانتصاب، بل الطي أريد به الفناء والذهاب، قال الشاعر[(٥)]:

طوى الموت ما بيني وبين محمد … وليس لما تَطْوِي المنية ناشرُ

وقال آخر[(٦)]:

---

(١) يس: ٧١.

(٢) الشورى: ٣٠.

(٣) الزمر: ٦٧.

(٤) الزمر: ٦٧.

(٥) البيت من شعر لأبي نواس في محمد الأمين يرثيه، انظره في الشعر والشعراء ٢/ ٨٠٥، والتعازي والمراثي، ص ١١٠، والعقد الفريد ٣/ ٢١١، وزهر الآداب ١/ ٨٥٣.

(٦) ديوان العجاج: ٨٠، سيبويه ١: ٢٦، كتاب المعمرين: ٨٧، الأغاني ١٨: ١٦٤، والبيان والتبيين ٤: ٦٠، والخزانة ٢: ١٦٨، العيني (هامش الخزانة) ٣: ٣٩٥، وشرح شواهد المغني: ٢٩٨ وغيرها. وقد اختلفت في رواية الرجز اختلاف كثير.

مَرُّ الليالي أسرعت في نقضي طَوَيْنَ طُولي وطوين عَرضي

أي : أفنين ، ومما يؤيد هذا قول الرجل : قد انطوى ما كنا فيه وجاءنا غيره ، ومعنى قولهم : طوى الأمر طيًّا ، وانطوى عنا دهر ، بمعنى : المضي والذهاب كقول الشاعر[1] .

وأما قوله : ﴿ بِيَمِينِهِۦ ﴾ . فإنه إخبار عن القدرة والملك ، كقوله : ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾[2] . يريد به : الملك ، وأنشدنا أبو عبد اللّه الأزدي للشماخ[3] :

إِذَا مَا رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ[4] بِالْيَمِينِ[5]

أي : بالقدرة والقوة .

ومن الناس من يقول : ﴿مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦٓ﴾ . أي : ذاهبات بقسمه ، لأنه أقسم ليفنيها .

＊ ＊ ＊

(١) أي قول العجاج السابق .

(٢) النور : ٣٣.

(٣) الشَّمَّاخ (٢٢هـ/٦٤٣م) هو : الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبيانيّ الغطفانيّ : شاعر مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام . وهو من طبقة لبيد والنابغة ، كان شديد متون الشعر ، ولبيد أسهل منه منطقا ، وكان أرجز الناس على البديهة ، جمع بعض شعره في (ديوان) شهد القادسية ، وتوفي في غزوة موقان . وأخباره كثيرة . قال البغدادي وآخرون : اسمه معقل بن ضرار ، والشماخ لقبه .
ترجمته في : الإصابة ، الترجمة ٣٩١٣ والأغاني ٩٧/٨ وخزانة البغدادي ٥٢٦/١ والمحبر ٣٨١ وهو فيه : (الشماخ ابن ضرار بن معقل) . والجمحيّ ٣٤ و ١٠٣ و ١١٠ وسماه (الشماخ بن ضرار بن سنان) والمبرد ، في الكامل ٢٨/٢ وسماه : (الشماخ بن ضرار بن مرة ابن غطفان) .، ومعجم المطبوعات ١١٤١ والآمدي ١٣٨ وسمى معه خمسة شعراء ، اسم كل منهم الشماخ . ورغبة الآمل ٢/ ٩٤، ١٦٢ والتبريزي ٣/ ٦٥، ٤/ ١٣٣.

(٤) عرابة هو ابن أوس الحارثي الأنصاري من سادات المدينة أسلم صغيرا وتوفي بالمدينة نحو سنة ستين .

(٥) هذا البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن ١/ ٢١٨.

باب بيان تأويل قوله تعالى :

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾(١)

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : إن اليمين ـ ههنا ـ القوة(٢) . وإنما أقام اللّه ـ سبحانه ـ اليمين ـ ههنا ـ مقام القوة ، لأن قوة كل شيء في ميامنه .

ولأهل اللغة في هذا مذهب آخر ، جرى الناس على اعتبارهم أن اللّه ـ تعالى ـ أراده في هذا الموضع ، وهو قولهم ـ إذا أرادوا عقوبة رجل ـ : خذ بيده ، وافعل به كذا وكذا ، وأكثرُ ما يقول السلطان والحاكم بعد وجوب الحكم : خذ بيده ، واسفع بيده ، ونحوه قوله ـ سبحانه ـ : ﴿لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾(٣) . أي : لنأخذن بها ، ثم لنقيمنه ولنذلنه ؛ إما في الدنيا ، وإما في الآخرة ، كما قال : ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾(٤) . أي : يُجَرُّون إلى النار بنواصيهم وأرجلهم .

فكأنه قال : لو كذب علينا في شيء مما ألقيناه إليه ، لأمرنا من يأخذ بيده ، ثم عاقبناه بقطع الوتين ، وهو عرق يتعلق به القلب ، إذا انقطع مات صاحبه . ولم يرد : لأمتناه ، أو قتلناه ، كمن قُطع وتينه .

ومثله قول النبي ﷺ : **«ما زالت أُكلة خيبر تُعَادُّني ، فهذا أوان قَطَعَتْ أَبْهَرِي»**(٥) .

والأبهر : عرق متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه ، وكأنه قال : فهذا أوان قتلني السم ، فكنت كمن انقطع أبهره(٦) .

* * *

---

(١) الحاقة : ٤٤، ٤٥

(٢) تفسير ابن عطية ٥/ ٣٦٣، وتفسير البغوي ٥/ ١٤٩، والكشف والبيان عن تفسير القرآن ١٠/ ٣٢، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه ١٢/ ٧٦٩٠.

(٣) العلق : ١٥، ١٦.

(٤) الرحمن : ٤١.

(٥) أخرجه البخارى (٤/ ١٦١١، رقم ٤١٦٥) .

(٦) تاج العروس (ب هـ ر) .

باب بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ﴾[1]

اعلم : أن معنى ﴿يُقْرِضُ﴾ ـ ههنا ـ يَفْعَلُ فعلا حسنا في اتباع أمر اللّه وطاعته ، والعرب تقول لكل من فعل خيرا : قد أحسنت قرضا . وقد أقرضني فيها حسنا : إذا فعل خيرا ، قال الشاعر[2] :

وإذا جوزيت قَرْضًا فاجْزِهِ إنما يَجْزي الفتى غيرُ الجَمَلْ

المعنى فيه : إذا أُسدي إليه معروفٌ ، فكافئ عليه .

فإن قيل : فما تقول فيما روى أبو الأحوص[3] ، عن عبد اللّه بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال : «**الأيدي ثلاثة : فيد اللّه العليا ...**»[4]؟!

قيل : قد مضى كلامنا في تأويل الأيدي .

* * *

---

(١) البقرة : ٢٤٥.

(٢) هو لبيد والبيت في ديوانه ، ص ١٤١ ، وراجعه أيضا في الدر المصون ٤/ ٧٦، واللباب ٦/ ٥٨٢، والخزانة ٩/ ٢٩٦.

(٣) عوف بن مالك بن نضلة الأشجعي ، أَبُو الأحوص الْكُوفِيّ ، من بني جشم بْن معاوية بن بكر بن هوازن . ذكره ابنُ حِبَّان فِي كتاب الثقات . وَقَال غيره : قتلته الخوارج في أيام الحجاج بن يوسف . ترجمته في تهذيب الكمال ٢٢/ ٤٤٦.

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٤٧٣، رقم ١٥٩٣١) ، وأبو داود (٢/ ١٢٣، رقم ١٦٤٩) ، والحاكم (١/ ٥٦٦، رقم ١٤٨٣) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقي (٤/ ١٩٨، رقم ٧٦٧٤) .

باب بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾[1]

اعلم أن بعض الملحدين لما تلا هذه الآية قال : هذا قول من غلب عليه الجوع ، وعظم لديه الأكل والطعام .

فيقال له : ما أحلم الله ـ سبحانه ـ إذ قد أمهل مثلك يتفوه بهذا الكلام ، ولولا ذلك ما كان لأحد دليل على حلمه ، لأنه لا يفوته شيء ، وليس ممن يضره كفر خلقه ، ولا هو كذوي الطبائع الذين يهتاجون غضبا ، خوفا من الفوت .

ثم يقال له : خبرني عمن أقبل على عبيده فقال لهم : عليّ أرزاقكم وقوتكم وكفايتكم ، وما أريد أن يعطيني واحد منكم شيئا ، هل يدل هذا الكلام على حاجة إلى عبيده؟

فإن قال : نعم . كابر ذوي العقول ، وخرج من حد من يكلم .

وإن قال : لا .

قيل له : فَلِمَ قلت : إن قوله : ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ . يدل على جوع وحاجة؟!

والعلماء باللغة يقولون في تأويلها : ما أريد منهم من رزق لخلقي ، وما أريد أن يطعموا خلقي ؛ لأن «**الخلق عيال الله**»[2] ، وهو رازقهم ، فأخبر أنه لم يكلفهم إطعام خلقه ، بل هو الذي يرزقهم ويطعمهم ، وهو متكفل بأرزاقهم ، ويدل على ذلك قوله سبحانه : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[3] .

* * *

---

(١) الذاريات : ٥٧.

(٢) كما ورد في الحديث : «الخلق عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله» . أخرجه أبو يعلى (٦/ ٦٥، رقم ٣٣١٥)، قال الهيثمي (١٩١/٨) : رواه أبو يعلى والبزار ، وفيه يوسف بن عطية الصفار ، وهو متروك . وأخرجه أيضًا : البيهقي شعب الإيمان (٦/ ٤٣، رقم ٧٤٤٥) .

(٣) هود : ٦.

باب بيان تأويل قوله سبحانه :

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾(١)

اعلم ـ عصمنا اللّٰه وإياك من الزيغ برحمته ـ أن اللّٰه سبحانه في السماء ، فوق كل شيء مستوٍ على عرشه ، بمعنى : أنه عالٍ عليه ، ومعنى الاستواء : الاعتلاء ، كما يقول العرب : استويت على ظهر الدابة ، واستويت على السطح ، يعني : علوته . واستوت الشمس على رأسي ، واستوى الطير على قمة رأسي . بمعنى : علا في الجو ، فوجد فوق رأسي .

والقديم ـ جل جلاله ـ عالٍ على عرشه ، لا قاعد ولا قائم ، ولا مماس له ، ولا مباين ، والعرش ما تعقله العرب ، وهو السرير .

يدلك أيضا على أنه في السماء عالٍ على عرشه قوله سبحانه : ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾(٢) . وقوله تعالى : ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾(٣) . وقوله : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾(٤) . وقوله : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾(٥) . وقوله : ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾(٦) .

---

(١) طه : ٥.

(٢) الملك : ١٦.

(٣) آل عمران : ٥٥.

(٤) النحل : ٥٠.

(٥) فاطر : ١٠.

(٦) السجدة : ٥.

(٧) عبد اللّٰه بن أحمد بن محمود البلخي نسبة إلى بلخ ، ويعرف بالكعبي نسبة إلى بني كعب ، وهو رأس فرق الكعبية من فرق المعتزلة البغدادية ، ولد سنة ثلاث وسبعين ومائتين ، وكان تلميذا لأبي الحسين الخياط ووافقه فى أكثر اعتقاداته وانفرد عنه بمسائل ، له من الكتب «المقالات» ، «الغرر» ، «الاستدلال بالشاهد على الغائب» ، «التهذيب في الجدل» وغيرها ، وقد اختلف فى وفاته فقيل : توفي سنة تسع وثلاثمائة ، وقيل : سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، وقيل : سنة تسع عشرة وثلاثمائة .

ترجمته عند ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣/ ٤٥، البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٨١، الشهرستاني : الملل والنحل ١/ ١١٦، ابن المرتضى : طبقات المعتزلة ص ٨٨.

وزعم البلخي[١] أن استواء اللّٰه على عرشه هو : الاستيلاء عليه في اللغة[٢] ، والاقتدار عليه ، مأخوذ ذلك من قول العرب[٣] :

. . . اسْتَوى بِشْرٌ عَلَى العِرَاق . . . .

أي : استولى عليها . وقال : إن العرش يكون بمعنى الملك ، قال الشاعر[٤] :

وَمَيتٍ بالخباب أَثَلَّ عرشي كَصَخرٍ أو كَعَمرٍ أو كَبِشْرِ

وقال آخر :

ولو هلكتَ تركتَ الناس في وَهَلٍ بَعْدَ الجميع وطار العرشُ إِكْسَارَا

فيقال لهم : ما أنكرتم أن يكون عرش اللّٰه جسما مجسما ، خلقه اللّٰه ، وأمر ملائكته بحمله ، وتعبدهم بتعظيمه ، كما خلق في الأرض بيتا ، وامتحن بني آدم بالطواف حوله ، وبقصده من الآفاق؟!

ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾[٥] .

---

(١) جميع الذين زعموا بأن الاستواء هو الاستيلاء استدلوا بالبيت المذكور هنا وزعموا أن معنى (استوى) فيه استولى وكذلك هو المعنى عندهم في جميع الآيات المصرحة باستواء اللّٰه على عرشه ، فحكموا بهذا البيت على ألفاظ القرآن الكريم وحملوها ما لا تحتمل مع أنه بيت لا يعرف قائله ، وسيأتي بيان أن استوى لا تأتي بمعنى استولى ، وأن استولى لا تصح إلا في حالة المغالبة واللّٰه لا مغالب له ، وقد رد على الجهمية ومن وافقهم في هذا التحريف ابن القيم ـ رحمه اللّٰه ـ باثنين وأربعين وجهًا . انظر : مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ٢/١٢٦ـ ١٥٢.

(٢) هذا شطر بيت وتمامه :

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ولا دم مهراق

قال ابن الجوزي في زاد المسير (٣/٢١٢) : "قال ابن فارس : هذا البيت لا يعرف قائله"؟ وقال ابن القيم : "هذا البيت ليس من شعر العرب" ، مختصر الصواعق (٣/١٢٧) ، وقال أيضًا : "هو غير معروف في شيء من دواوين العرب وأشعارهم التي يرجع إليها" ، مختصر الصواعق (٢/١٣٦) .

إثبات علو اللّٰه على خلقه وإقرار العقول بذلك أمر فطري فطر اللّٰه عليه العباد . وأما الاستواء فأثبته السمع من كتاب اللّٰه وسنة رسوله ، وليس في العقول ما يخالف ذلك ، وحقيقته لغة : الارتفاع والعلو . وأما الكيفية فهي مما اختص اللّٰه بعلمه . وأما تفسير الاستواء بالاستيلاء فهو باطل من وجوه كثيرة ؛ منها : أنه يتضمن أن اللّٰه جل وعلا كان مغلوبا على عرشه ثم غلب ، وهذا باطل ؛ لأنه تعالى لم يزل قاهرا لجميع خلقه مستوليا على العرش فما دونه . وأما البيت الذي يستدلون به على أن معنى استوى استولى ، فلا حجة فيه . وهذا البيت منسوب إلى الأخطل النصراني

(٣) هو خفاف بن ندبة والبيت في أنساب الأشراف ١٣/ ٣٠١، ومعجم ما استعجم ٢/ ٤٥٧.

(٤) الزمر : ٧٥.

وقال في موضع آخر : ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾(١) . ففي كل هذا دلالة أن العرش ليس بالملك ، وأنه سرير .

وقال في موضع آخر : ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾(٢) . أي : على السرير ، وأمية بن أبي الصلت(٣) يقول(٤) :

مجدوا اللّه فهو للمجد أهل ربنا في السماء أضحى كبيرا
بالبناء الأعلى الذي سبق النا س وسوّى فوق السماء سريرا

ومما يدل على أن الاستواء ـ ههنا ـ ليس بالاستيلاء : أنه لو كان كذلك لم يكن ينبغي أن يخص العرش بالاستيلاء عليه دون سائر خلقه ، إذ هو مستولٍ على العرش وعلى سائر خلقه ، وليس للعرش مزية على ما وصفته ، فبان بذلك فساد قوله .

ثم يقال له ـ أيضا -: إن الاستواء ليس هو بالاستيلاء ـ في قول العرب : استوى فلان على كذا ؛ أي : استولى عليه ؛ إذا تمكن منه ـ إلا بعد أن لم يكن متمكنا ، فلما كان الباري ـ سبحانه ـ لا يوصف بالتمكن بعد أن لم يكن متمكنا ـ لم يصرف معنى الاستواء إلى الاستيلاء ، حدثنا الشيخ أبو عبد اللّه الأزدي الملقب نِفْطَوَيْهِ(٥) ، قال : حدثنا أبو

---

(١) الحاقة : ١٧.

(٢) يوسف : ١٠٠.

(٣) ابن أبي الصلت (٥هـ/٦٢٦م) هو : أمية بن عبد اللّه أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي ، شاعر جاهلي حكيم ، من أهل الطائف . قدم دمشق قبل الإسلام ، وكان مطلعا على الكتب القديمة ، يلبس المسوح تعبدا . وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية . ورحل إلى البحرين فأقام ثماني سنين ظهر في أثنائها الإسلام ، وعاد إلى الطائف ، فسأل عن خبر محمد بن عبد اللّه ﷺ فقيل له : يزعم أنه نبي . فخرج حتى قدم عليه بمكة وسمع منه آيات من القرآن ، وانصرف عنه ، فتبعته قريش تسأله عن رأيه فيه ، فقال : أشهد أنه على الحق ، قالوا : فهل تتبعه ؟ فقال : حتى أنظر في أمره . وخرج إلى الشام . وهاجر رسول اللّه إلى المدينة ، وحدثت وقعة بدر ، وعاد أمية من الشام ، يريد الإسلام ، فعلم بمقتل أهل بدر وفيهم ابنا خال له ، فامتنع . وأقام في الطائف إلى أن مات . أخباره كثيرة ، وشعره من الطبقة الأولى ، وعلماء اللغة لا يحتجون به لورود ألفاظ فيه لا تعرفها العرب . وهو أول من جعل في أول الكتب : باسمك اللهم . ترجمته في : الأعلام ٢/ ٢٣.

(٤) ديوانه ، ص ٥٦.

(٥) نفطويه (٢٤٤ ـ ٣٢٣هـ/٨٥٨ ـ ٩٣٥م) هو : إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي العتكي ، أبو عبد اللّه ، من أحفاد المهلب ابن أبي صفرة : إمام في النحو . وكان فقيها ، رأسا في مذهب داود ، مسندا في الحديث ثقة ،=

سليمان قال : كنا عند ابن الأعرابي فأتاه رجل ، فقال : يا أبا عبد الله ، ما معنى قوله سبحانه : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾(١)؟ قال : إنه مستوٍ على عرشه ، كما أخبر . فقال له الرجل : إنما معنى استوى : استولى . فقال له ابن الأعرابي : ما يدريك ما هذا؟! العرب لا تقول للرجل : استولى على العرش حتى يكون فيه مضاد له ، فأيهما غلب قيل : قد استولى عليه ، والله ـ سبحانه ـ لا مضاد له ، وهو مستوٍ على عرشه كما أخبر ، والاستيلاء يكون بعد المغالبة ، ثم أنشد للنابغة(٢) :

إلا لمثلك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد

فإن قيل : فما تقول في قوله ـ سبحانه ـ : ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾(٣)؟

قيل له : معنى ذلك أنه فوق السماء على العرش ، كما قال : ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾(٤) . بمعنى : على الأرض ، وقال : ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾(٥) . يعني : على جذوع النخل . فكذلك قوله : ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ . بمعنى فوق السماء على العرش .

فإن استدلوا بقولهم على أنه في كل مكان بقوله سبحانه : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ

=قال ابن حجر : جالس الملوك والوزراء ، وأتقن حفظ السيرة ووفيات العلماء ، مع المروءة والفتوة والظرف . ولد بواسط (بين البصرة والكوفة) ومات ببغداد وكان على جلالة قدره تغلب عليه سذاجة الملبس ، فلا يعنى باصلاح نفسه . وكان دميم الخلقة ، يؤيد مذهب (سيبويه) في النحو فلقبوه (نفطويه) ونظم الشعر ولم يكن بشاعر ، وإنما كان من تمام أدب الاديب في عصره أن يقول الشعر . سمىٰ له ابن النديم وياقوت عدة كتب ، منها (كتاب التاريخ) و(غريب القرآن و(كتاب الوزراء) و(أمثال القرآن) ولا نعلم عن أحدها خبرا .

ترجمته في : طبقات النحويين واللغويين : ١٧٢ ، الفهرست : ١٢١ ، تاريخ بغداد : ٦/١٥٩ ـ ١٦٢ ، نزهة الألباء ، ١٧٨ ـ ١٨٠ ، المنتظم : ٦/٢٧٧ ـ ٢٧٨ ، معجم الأدباء : ١/٢٥٤ ـ ٢٧٢ إنباه الرواة : ١/١٧٦ ـ ١٨٢ ، وفيات الأعيان : ١/٤٧ ـ ٤٩ ، العبر : ٢/١٩٨ ، ميزان الاعتدال : ١/ ٦٤ ، الوافي بالوفيات : ٦/ ١٣٠ ـ ١٣٣ ، مرآة الجنان : ٢/٢٨٧ ، لسان الميزان : ١/١٩٠ ـ ١١٠ ، البداية والنهاية : ١١/ ١٨٣ ، غاية النهاية : ١/ ٢٥ ، النجوم الزاهرة : ٣/٢٤٩ ـ ٢٥٠ ، بغية الوعاة : ١٨٧ ـ ١٨٨ ، شذرات الذهب : ٢/٢٩٨ ـ ٢٩٩ .

(١) طه : ٥.

(٢) ديوانه ، ص٨٢

(٣) الملك : ١٦.

(٤) التوبة : ٢.

(٥) طه : ٧١.

إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾(١) .

قيل لهم : ليس الأمر في ذلك على ما سبق إلى قلوبكم ، إنما أراد بذلك أنه إله عند أهل الأرض ، وإله عند أهل السماء ، كقولك : زيد نبيل عند أهل العراق ، وعند أهل الحجاز . وليس يوجب هذا أن ذاته بالعراق والحجاز .

فإن قيل : فما تقول في قوله : ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾(٢)؟

قيل له : إن بعض القراء يجعل الوقف في هذه الآية : ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ . ثم يبتدئ فيقول : ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ . وكيفما كان : فلو أن قائلا قال : فلان بالشام والعراق ملك ـ لدل على الملك بالشام والعراق ، لا أن ذاته فيهما .

فإن قيل : فما تقول في قوله سبحانه : ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾(٣)؟

قيل له : كون الشيء مع الشيء على وجوه : منها بالنصرة ، ومنها بالصحة ، ومنها بالمماسة ، ومنها بالعلم . فمعنى هذا القول عندنا : أنه مع كل الخلق بالعلم ، بمعنى أنه يعلمهم ، ولا يخفى عليه منهم شيء سبحانه .

وزعم البلخي : أن اللّٰه ـ تعالى ـ في كل مكان . بمعنى أنه عالم بما فيه ، حافظ له . قال : وهذا معروف في اللغة ؛ يقول القائل : فلان في صلاته ، وفي بناء داره ، وليس يريد بذلك أنه متمكن ، أو حال فيها ، وإنما يريد : أنه يفعلها ويدبرها .

فيقال له : إذا زعمت أن اللّٰه ـ تعالى ـ في كل مكان ، بمعنى أنه عالم بالمكان ، وبما فيه حافظ ، فما أنكرت أن يكون في بطن مريم ، بمعنى : أنه عالم به ، حافظ له؟ وأن يكون في الحشوش والمزابل والأخلية ، والأنتان والأقذار : على معنى أنه عالم بها ، حافظ لها؟

فإن قال : قد أُطلق في الجملة ما لا أطلق في التفسير ، لأني أقول : الأشياء للّٰه ـ تعالى ـ بمعنى الملك ، ولا أقول : الزوجة والولد بمعنى الملك ، وأقول في الجملة : ما دون اللّٰه

---

(١) الزخرف : ٨٤.

(٢) الأنعام : ٣.

(٣) المجادلة : ٧.

ضعيف . ولا أقول : دين اللّه ضعيف ، فكذلك أُطلق أنه في كل شيء جملة ، ولا أطلقه تفصيلا .

قيل : إن إطلاق ما ذكرت فيما دون اللّه ، وفي أن الأشياء كلها للّه ، يقال : إنه إطلاق صحيح ، قد اتفق المسلمون عليه ، فجاز إطلاقه ، ولم يجز إطلاق ما ذكرت في التفصيل ؛ لأن المسلمين امتنعوا منه ، ولم يرد بما ذكرت ـ أنه في كل مكان ـ آيةٌ لا تحتمل غيره ، ولا خبرٌ لا يحتمل غيره تأويلا ، فلم يجز كذلك إطلاقه ، ولا إطلاق ما امتنعتَ عنه في التفصيل ، ولَئِنْ جاز إطلاق ذلك في الجملة ، ولم يرد به ما لا يحتمل غيره ـ جاز إطلاقُ ما امتنعتَ في التفصيل ، ولم يَرِدْ به كتابٌ ولا سنة ولا اتفاقُ أمة!

فإن قال قائل : إن اللّه ـ تعالى ـ يقول : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[1] . ولا يجوز أن يقال : (يا خالق الْقِرَدَةِ والخنازير ، وْالأُنْتَانِ والأقذار ، اغفرْ لي) . وإن كان اللّه تعالى قد خلق ذلك أجمع ، فكذلك لا يجوز أن يقال : إن اللّه ـ سبحانه ـ في هذه الأمكنة التي ذكرتها .

قيل له : إنا نطلق ما ذكرت خبرا ، وإن لم نطلقه دعاء . فنقول : إن اللّه ـ تعالى ـ خالق القردة والخنازير ، وغير ذلك ، وإن لم نقل ـ على طريق الدعاء ـ : (يا من هو في الحشوش والأخلية) . فما أنكرتُ أن يقال ذلك على طريق الإخبار بأن اللّه تعالى في بطن مريم ، بمعنى : أنه عالم به مدبِّر له .

ثم يقال له ـ في استشهاده بقول القائل : فلان في صلاته ، وفي بناء داره . وإنما يريد أنه يفعلها ويدبرها ـ : ما أنكرتُ أن يكون معنى قول القائل : فلان في بناء داره ، وفي صلاته . إنما يريد أن صلاته فيه ، وأنه مشغول بها ، ومشغول ببناء داره . فإذا كان الباري لا يجوز عليه الاشتغال ، ولا يجوز حلول الأفعال فيه ـ لم يجز أن يقال : هو في الأشياء بمعنى ما قلنا في زيد : إنه في صلاته ، وفي بناء داره .

قال البلخي : **فإن قيل لنا** : فما معنى رفع أيدينا إلى السماء؟ وما معنى قوله : والعمل الصالح يرفعه؟

قلنا : تأويل ذلك : أن أرزاق العباد لما كانت من السماء ، وكانت حفظة الأعمال من

---

(١) الأعراف : ١٨٠.

الكرام الكاتبين إنما مساكنهم السماء ؛ جاز أن نرفع أيدينا إليهم عند الدعاء ، وجاز أن أعمالنا تُرفع إلى اللّٰه تعالى .

قيل له : إن كانت العلة في رفع أيدينا إلى السماء أن أرزاق العباد في السماء ، وأن الحفظة من الكرام الكاتبين مساكنهم فيها ؛ جاز أن نخفض أيدينا في الدعاء نحو الأرض ، من أجل أن اللّٰه ـ تعالى ـ يحدث فيها النبات والأقوات والمعايش ، وأنها قرارهم ، ومنها خُلقوا ، وإليها يرجعون ، ولأنه يحدث فيها آيات ، كالزلازل والرجف والخسف ، ولأن الملائكة معهم في الأرض الذين يكتبون أعمالهم . فإذا لم يجب خفض الأيدي نحو الأرض ، لِمَا وصفنا ، لم تكن العلة في (رفعها نحو) السماء ما وصفه البلخي ، وإنما أمرنا اللّٰه ـ تعالى ـ برفع أيدينا قاصدين إليه برفعهما نحو العرش الذي هو مستوٍ عليه ، كما قال : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[1] . وهذه علة مطردة ، لأن البلخي لا يمكنه أن يقول : فاستووا إلى الأرض ؛ لأن العرش تحتها ؛ إذ كان العرش فوق السماء وليس بتحتِ الأرض .

❊ ❊ ❊

(١) طه : ٥.

باب بيان الأخبار التي رُويت عن رسول اللَّه ﷺ وظاهرها ظاهر تشبيه ، وباطنها بخلاف ذلك

اعلم ـ علمك اللَّه الخير برحمته ـ أن الأخبار التي رُويت على ثلاثة أضرب :

* **منها** : أخبار منقطعة بأسانيد واهية ، بألفاظ لا يجوز إضافتها إلى اللَّه تعالى ، ولا إلى الرسول ﷺ لما فيها من التشبيه الظاهر ، المنتفي عن التأويل الباطن ، فهذه أخبار ساقطة ، لا معنى للاشتغال بها ، ولا نذكرها .

* **ومنها** : أخبار أُسندت إلى رسول اللَّه ﷺ بأسانيد واهية ، ورجال مجاهيل ، بألفاظ فيها التشبيه الظاهر ممتنع عن التأويل ، فكذلك لا معنى لصرف الهمة إليها ، ولا التفكر فيها ، لسقوطها عند الرواة ونقلة الأخبار عن مذاهبهم .

* **ومنها** : أخبار صحاح قد جاءت مجيئا ظاهرا منتشرا ، وظاهرها ظاهر تشبيه ، وباطنها بخلاف ذلك ، فنحن بجهدنا وطاقتنا ، ومقدار علمنا نستعين باللَّه ـ متوكلا عليه ، ومعتصما به ـ نشرع في تفسيرها وتأويلها ونفي التشبيه عنها ، رجاء أن يُزلف اللَّه ـ سبحانه ـ بها المنزلة لديه ، ويحوز لنا المثوبة عنده ، إنه أقوى معين ، وأهدى دليل .

❊ ❊ ❊

باب في تأويل خبر (الصورة)

من ذلك : ما روى أسامة بن زيد ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي هريرة(١) رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ خلق آدم على صورته**»(٢) .

فالجواب ـ والله الموفِّق للصواب ـ : أن الله ـ سبحانه ـ يجل أن يكون له صورة أو مثال ؛ لأن الصورة تقتضي المصوِّر ، والمثال يقتضي الممثِّل ، والله سبحانه ـ خالق كل صورة ومثال ، فكيف تكون له صورة ومثال ، وهو : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٣)؟!

وقد اختلف العلماء في تفسير هذا الحديث على وجوه :

فقائل يقول : إن الله ـ سبحانه ـ خلق آدم على صورته . أي : على صورة آدم على ما هي عليه ، لا بوجود الانتقال من حال إلى حال ، كما وجد في خلقنا ؛ لأنا كنا حينا نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم عظما ، ثم كُسي العظم لحما ، وأُخرجنا على هيئتنا وصورتنا ، فتبارك الله أحسن الخالقين!!

فقد أفرد الله سبحانه آدم ـ عليه السلام ـ بهذه الفضيلة والخصوصية من بين سائر ولده ، إذ أفرد خلقه عن هذه الانتقالات من حال إلى حال ، ومن مثال إلى مثال .

---

(١) أبو هُرَيْرَةَ (٢١ ق هـ ـ ٥٩هـ/٦٠٢ ـ ٦٧٩م) هو : عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، الملقب بأبي هُرَيْرَةَ ، كان أكثر الصحابة حفظا للحديث ورواية له . نشأ يتيما ضعيفا في الجاهلية ، وقدم المدينة ورسول الله ﷺ بخيبر ، فأسلم سنة ٧هـ ، ولزم صحبة النبي ، فروى عنه كثيرا ، وولي إمرة المدينة مدة . ولما صارت الخلافة إلى عمر استعمله على البحرين ، ثم رآه لين العريكة مشغولا بالعبادة ، فعزله . وأراده بعد زمن على العمل فأبى . وكان أكثر مقامه في المدينة وتوفي فيها . ترجمته في : طبقات ابن سعد ٢/ ٣٦٢، ٤/٣٢٥ ٣٤١، وطبقات خليفة ١١٤، وتاريخ خليفة ٢٢٥، ٢٢٧، والمعارف ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٥، وأخبار القضاة ١/ ١١١، ١١٢، والاستيعاب ٤/ ١٧٦٨، وحلية الأولياء ١/ ٣٨٥، وأسد الغابة ٦/ ٣١٨، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٥٧٨، والعبر ١/ ٦٣، وطبقات القراء ١/ ٣٧١، ٣٧٢، والإصابة ١٢/ ٦٣، وشذرات الذهب : ١/ ٦٣، والأعلام ٣/ ٣٠٨.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣١٥، رقم ٨١٥٦) ، والبخاري (٥/ ٢٢٩٩، رقم ٥٨٧٣) ، ومسلم (٤/ ٢١٨٣، رقم ٢٨٤١) . وأخرجه أيضًا البخاري في الأدب المفرد (١/ ٣٣٩، رقم ٩٧٨) ، وابن حبان (١٤/ ٣٣، رقم ٦١٦٢) .

(٣) الشورى : ١١.

وقال قوم : معنى قوله ﷺ : «**إن اللّٰه ــ سبحانه ــ خلق آدم على صورته**» . أي : خلق آدم على صورة الوجه ، واحتجوا بما رُوي في بعض الأخبار : أن رسول اللّٰه ﷺ مر برجل يضرب آخر على وجهه ، فقال له : «**لا تضربه فإن اللّٰه ــ تعالى ــ خلق آدم على صورة وجه هذا المضروب**» .

وقد روى محمد بن عَجْلَان ، عن المَقْبُرِي ، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول اللّٰه ﷺ قال : «**لا يقولن أحدكم لآخر : قبح اللّٰه وجهك ، فإن اللّٰه خلق آدم على صورته**» .

وقد رُوي ـ أيضا ـ أنه قال : «**إذا ضرب أحدكم إنسانا فليجتنب الوجه ، فإن اللّٰه خلق آدم على صورته**» . أي : على صورة وجهه ، إذ كان الوجه أحسن شيء في بني آدم ، وكان خلق آدم ـ عليه السلام ـ أحسن خلق .

وقال آخرون : المعنى في ذلك : كأن قوما قالوا : إن اللّٰه ـ سبحانه ـ خلق آدم في الجنة من طوله كذا ، ومن حِلْيَتِهِ كذا ، ومن طيب رائحته كذا . أرادوا بذلك مخالفة ما كانت عليه صورته في الجنة صورته في الدنيا ، لما خطا إلى ما خطا إليه ، فقال النبي ﷺ : «**إن اللّٰه خلق آدم على صورته في الجنة على مثل صورته في الدنيا**» .

وقال قوم : إن الصور كلها للّٰه ـ سبحانه ـ بمعنى أنه خلقها وأبدعها وأنشأها ، ثم نسب واحدة منها إلى نفسه على وجه الاختصاص والأثرة ، لا على أن ذلك له حقيقة ، كما يكون للمصور ، كما يقال : هذه ناقة اللّٰه ، وبيت اللّٰه للمسجد ، وشهر اللّٰه ، لشهر رمضان .

وهذا القول يروى عن بعض النَّجَّارِيَّةِ[1] أنه كان يقوله ويذهب إليه في تفسيره . وهو فاسد غير صحيح ، وإنما هو جهد المقل ، وَنَفْثَةُ المصدور ، واستراحة المكروب ، وتعلق الغريق بكل ما يستقبله ، وإن كان شوكا أو سيفا ، أو لم يعلم هذا القائل أن من النصارى

---

(١) أتباع عبد اللّٰه بن الحسين بن محمد النجار ، وقد عدَّهم الأشعري من المرجئة بينما عدَّهم الشهرستاني من الجبرية ، وقد افترقوا إلى ثلاث فرق ؛ البرغوثية : أتباع محمد بن عيسى الملقب ببرغوث . والزعفرانية : أتباع الزعفراني . والمستدركة : الذين زعموا أنهم استدركوا على أسلافهم .

ينظر : الأشعري : مقالات الإسلاميين ١/ ٢١٦، البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٠٧، الشهرستاني : الملل والنحل ١/ ١٣٨.

من يقول: المسيح ولد الله على وجه الاصطفاء والاختيار والإيثار، لا على وجه الولادة والتناسل، كما يقول الواحد منا لآخر: أنت والدي وعمي وجدّي. يريد بذلك: تبجيله وتعظيمه وتوقيره، لا أنه يريد به: الولادة والتناسل، والخروج من ظهره؛ فهو لا ينفصل من النصارى، إذ قالوا: إنه ابن الله على هذا المعنى، كما أن الله ـ تعالى ـ خلق صورا، ثم نسب واحدة إلى نفسه على وجه الاصطفاء والاختيار، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرا!!

واعلم أن قوما من المنحرفين عنا بالاسم، والمذهب لما سمعوا هذه التأويلات الصحيحة في هذا الباب، النافية عن الله التشبيه حملهم اللَّجَاجُ على أن زادوا في هذا الحديث فقالوا: «**إن الله ـ تعالى ـ خلق آدم على صورة الرحمن**»[(١)]. يريدون: أن «الهاء» في «صورته» لله، فركبوا قبيحا من الخَطَأ، وشنيعا من القول، وذلك أنه لا يجوز أن يقال في اللغة: إن الله ـ تعالى ـ خلق السماء بمشيئة الرحمن، وعلى إرادة الرحمن، وإنما يجوز هذا إذا كان الاسم الثاني غير الأول، ولو كان أراد ذلك لقال: لا تقبحوا الوجه، فإنه على صورة الرحمن، فحيث لم يقل ذلك استدللنا على فساده، وبالله التوفيق.

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه الدارقطني في الصفات (١/ ٣٧، رقم ٤٩)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٤٣٠، رقم ١٣٥٨٠)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٢٦٨، رقم ٤٩٨). واللالكائي (٣/ ٤٢٣، رقم ٧١٦)، والديلمي (٥/ ١٦، رقم ٧٣٠٩) والحاكم (٢/ ٣٤٩، رقم ٣٢٤٣) وقال: صحيح على شرط الشيخين. وابن عساكر (١٠١/١٤). قال الهيثمي (١٠٦/٨): رجاله رجال الصحيح غير إسحاق بن إسماعيل الطالقاني وهو ثقة وفيه ضعف.

باب بيان تأويل خبرٍ آخر عنه ﷺ

أنه قال: «**لا تسبوا الريح، فإنها من نَفَسِ الرحمن**»(١).

والجواب: أن يقال: لم يُرِدِ النبي ﷺ بالنَّفَس: ما ذهبتْ إليه المشبهة، وإنما أراد أن الريح من فَرَجِ الله وروحه؛ تقول العرب: اللهم نَفِّسْ عنا الأذى، وقد فرَّج الله عن نبيه بالريح يوم الأحزاب، فقال سبحانه: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾(٢). وقد يقول القائل من العرب: اعمل وأنت في نَفَسٍ من أمرك. أي: وأنت في فسحة قبل الْهَرَمِ والمرض، وأشباه ذلك من الحوادث.

والريح يفرج الله بها الكرب، ويُذهب بها الجدب، ومن نَفَسِ الريح أنها إذا هبت في البلد الحار والهواجر ـ أذهبت الوباء، وأطابت للمسافر المسير، وإذا هبت أنشأت السحاب، وألقحتِ الأشجار، بإذن الله. وكانت العرب تقول: إذا كثر الرياح كثر الحب، وإذا تنسمها عليل أو محزون، وجد لنسيمها خفة وفَرَجا مما يجد، قال الشاعر(٣):

فإنَّ الصَّبَا رِيحٌ إذا مَا تَنَسَّمتْ على كِبْدِ مَخزونٍ تَجَلّتْ هُمومُها

وقال العتبي: هجمت على بطن بين جبلين، فما رأيت واديا أخصب منه، وإذا وجوه أهله مهيجة، وألوانهم مصفرة، فقلت لهم: وادٍ، وأنتم لا تشبهون أهل الخصب؟! فقال لي شيخ منهم: ليس لنا ريح.

وعلى هذا المعنى: يتأول قوله ﷺ: «**إني لأجد نَفَس ربكم من قبل اليمن**»(٤).

فَحَمْلُ الحديث المروي في هذا المعنى على هذا أولى من حمله على النفس الذي لا يكون إلا من متنفِّس مكدود منتصب، ولا يجوز وصف الله ـ تعالى ـ بشيء من ذلك، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا.

---

(١) أخرجه أخرجه ابن أبي شيبة (٥/٣٠٢ رقم ٢٦٣١١)، وأحمد (٢/ ٢٥٠، رقم ٧٤٠٧)، والترمذي (٤/ ٥٢١، رقم ٢٢٥٢) وقال: حسن صحيح. والنسائي في الكبرى (٦/ ٢٣١، رقم ١٠٧٧٠)، وابن ماجه (٢/ ١٢٢٨، رقم ٣٧٢٧)، والديلمي (٥/ ١٣، رقم ٧٣٠٠). أخرجه أيضًا: ابن أبي عاصم (٢/ ٤٨٧، رقم ١٠١٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١٧، رقم ٧٣٧٢)

(٢) الأحزاب: ٩.

(٣) البيت في غريب الحديث لابقتيبة ١/ ٢٩٢، وتهذيب اللغة ١٣/ ١٥.

(٤) أخرجه الطبراني (٧/ ٥٢، رقم ٦٣٥٧) والحديث موضوع كما قال القاري في المصنوع (ص ٦٩، رقم ٧٠)، وفي الموضوعات الكبرى (ص ٨٢، رقم ٣٠٣).

باب بيان تأويل خبر آخر

مالك(١) ، عن أبي الزناد(٢) ، عن الأعرج(٣) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**يضحك الله إلى رجلين ، يقتل أحدهما الآخر ، كلاهما يدخلان الجنة ، يقاتل هذا فيقتله في سبيل الله ، ثم يتوب الله على القاتل ، فيقاتل في سبيل الله فَيُسْتَشْهَدُ**»(٤) .

---

(١) هو الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر أبو عبد الله ، إمام دار الهجرة ، وصاحب «الموطأ» ، روى عن التابعين ، وهو إمام المذهب الفقهي المعروف ، ومناقبه وفضائله كثيرة جدًا وثناء الأئمة عليه أكثر من أن يحصر في هذا المكان ، توفى رحمه الله سنة تسع وسبعين ومائة ، ودفن بالبقيع . ترجمته عند ابن قتيبة : المعارف ص ٤٩٨، ابن سعد : الطبقات الكبرى ٧/ ١٩٢، ، أبو نعيم : حلية الأولياء ٦/ ١١٦، القاضى عياض : ترتيب المدارك ١/ ٣٢.

(٢) أَبو الزِّناد (٦٥ - ١٣١هـ/٦٨٤ - ٧٤٨م) هو : عبد الله بن ذكوان القرشي المدني ، محدّث ، من كبارهم . قال الليث : رأيت أبا الزناد وخلفه ثلاث مئة تابع ، من طالب فقه وعلم وشعر وصرف . وكان سفيان يسميه أمير المؤمنين في الحديث . وكان يغضب إذا قيل له " أبو الزناد " ويكتني ب أبي عبد الرحمن . قال مصعب الزبيري : كان فقيه أهل المدينة ، وكان صاحب كتابة وحساب ، وفد على هشام بحساب ديوان المدينة . توفي فجأة بالمدينة . وكان ثقة في الحديث عالما بالعربية فصيحا .

ترجمته في : طبقات خليفة ٢٥٩، التاريخ الكبير ٥/ ٨٣، التاريخ الصغير ٢/ ٢٧، الجرح والتعديل ٥/ ٤٩، تهذيب الكمال ٦٧٩، تذهيب التهذيب ٢/ ١٤٢، تاريخ الإسلام ٥/ ٢٦٥، ميزان الاعتدال ٢/ ٤١٨، ٤٢٠، تهذيب التهذيب ٥/ ٢٠٣، خلاصة تذهيب الكمال ١٩٦، شذرات الذهب ١/ ١٨٢، تهذيب ابن عساكر ٧/ ٢٧٩، ٢٨٠.

(٣) الأَعْرَج (١١٧هـ/٧٣٥م) هو : عبد الرحمن بن هرمز ، أبو داود ، من موالي بني هشام ، عرف بالأعرج ، حافظ ، قارئ ، من أهل المدنية . أدرك أبا هريرة وأخذ عنه . وهو أول من برز في القرآن والسنن . وكان خبيرا بأنساب العرب ، وافر العلم ، ثقة . رابط بثغر الإسكندرية مدة ، ومات بها . وفي اسم أبيه خلاف .

ترجمته في : طبقات ابن سعد ٥/ ٢٨٣، طبقات خليفة ، ص ٢٣٩، التاريخ الكبير ٥/ ٣٦٠، التاريخ الصغير ١/ ٢٨٣، تاريخ الفسوي ٢/ ٧٣٧، الجرح والتعديل ٥/ ٢٩٧، اللباب ١/ ٧٥، تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٣٠٥، ٣٠٦، تذهيب التهذيب ٢/ ٢٣٢، تاريخ الإسلام ٤/ ٢٧٥، تذكرة الحفاظ ١/ ٩٧، طبقات القراء للذهبي ١/ ٦٣، مرآة الجنان ١/ ٣٥٠، طبقات القراء ١/ ٣٨١، تهذيب التهذيب ٦/ ٢٩٠، النجوم الزاهرة ١/ ٢٧٦، طبقات الحفاظ ، ص ٣٨، بغية الوعاة ٢/ ٩١، خلاصة تذهيب الكمال ٢٣٦، شذرات الذهب ١/ ١٥٣.

(٤) أخرجه مالك (٢/ ٤٦٠ رقم ٩٨٣) ، وأحمد (٢/ ٤٦٤، رقم ٩٩٧٧) ، والبخاري (٣/ ١٠٤٠، رقم ٢٦٧١) ، ومسلم (٣/ ١٥٠٤، رقم ١٨٩٠) والنسائي (٦/ ٣٨ رقم ٣١٦٦) وابن ماجه (١/ ٦٨ رقم ١٩١) وابن حبان (١/ ٤٤٨، رقم ٢١٥) .

وروى أبو نعيم الفضل بن دُكَيْنٍ، عن إسماعيل، عن عبد الملك، عن علي بن ربيعة، قال: حملني أمير المؤمنين عليٌّ خلفه حتى مر بنا إلى جبانة الكوفة، ثم رفع رأسه إلى السماء، فقال: (اللهم، اغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب أحد غيرك). ثم التفتَ إليّ فضحك، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، استغفارك لذنبك والتفاتك إليّ ضاحكا، لم ذي؟ فقال: حملني رسول الله ﷺ خلفه إلى موضعِ ذكره، ثم رفع رأسه إلى السماء: فقال: **«اللهم اغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب أحدٌ غيرك». ثم التفتَ إليَّ فضحك، فسألته عن ذلك؟ فقال: «ضحكت لِضَحِكِ ربي ـ جل جلاله ـ يعجب لعبده أن يقول: لا يغفر الذنوب أحد غيرك»**[1].

وروى عطية العوفي[2]، عن أبي سعيد الخدري[3] رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: **«إن اللّه ـ تعالى ـ يضحك إلى ثلاثة: رجل قام في جوف الليل فأحسن الطُّهُور ثم صلى، ورجل نام ساجدا، ورجل نجَّى كتيبة منهزمة وهو على فَرَسٍ جَوَادٍ، ولو شاء أن يذهب لذهب»**[4].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٥١، رقم ٢٩٤٠١)، والترمذي (٣٤٤٦).

(٢) عَطِيَّة العَوْفي (١١١هـ/٧٢٩م) هو: عطية بن سعد بن جنادة العوفيّ الجدلي القيسي الكوفي، أبو الحسن: من رجال الحديث. كان يعدّ من شيعة أهل الكوفة. خرج مع ابن الأشعث، فكتب الحجاج إلى محمد بن القاسم الثقفي: ادع عطية، فان سب علي بن أبي طالب وإلا فاضربه ٤٠٠ سوط واحلق رأسه ولحيته، فدعاه وأقرأه كتاب الحجاج، فأبى أن يفعل، فضربه ابن القاسم الأسواط وحلق رأسه ولحيته. ثم لجأ إلى فارس. واستقر بخراسان بقية أيام الحجاج، فلما ولي العراق عمر بن هبيرة أذن له في القدوم فعاد إلى الكوفة، وتوفي بها. ترجمته في: ذيل المذيل ٩٥ تهذيب التهذيب ٧/٢٢٤ ـ ٢٢٦ وفيه أنه ولد في أيام علي بن أبي طالب.

(٣) أبو سعيد الخدري (١٠ ق هـ ـ ٧٤هـ/٦١٣ ـ ٦٩٣م) هو: سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي، صحابي كان من ملازمي النبي ﷺ، وروى عنه أحاديث كثيرة. غزا اثنتي عشرة غزوة، و توفي في المدينة. ترجمته في: طبقات خليفة ت ٦٠١، والمحبر: ٢٩١، ٤٢٩، والاستيعاب ٦٠٢، وتاريخ بغداد: ٥/ ١٨٠، وطبقات الشيرازي ٥١، وأسد الغابة ٢/٢٨٩ و ٥/ ٢١١، وتهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢/ ٢٣٧، وسير أعلام النبلاء ٣/ ١٦٨، وتذكرة الحفاظ ١/ ٤١، والعبر ١/ ٨٤، والوافي بالوفيات ١٥/ ١٤٨، ومرآة الجنان ١/ ١٥٥، والاصابة ٢/ ٣٥، والنجوم الزاهرة ١/ ١٩٢، وشذرات الذهب ١/ ٨١، والأعلام ٣/ ٨٧.

(٤) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (١/ ٣٤٤، رقم ٧١٥) قال الهيثمي (٢/٢٥٦): فيه محمد بن أبى ليلى وفيه كلام كثير لسوء حفظه لا لكذبه. وأخرجه أيضًا: ابن ماجه (١/٧٣ رقم ٢٠٠) وابن شاهين فى ناسخ الحديث (/١٩٠ رقم ٢٠٠).

والجواب ـ واللّٰه الموفق للصواب ـ : أن الضحك عن اللّٰه ـ بِكَشْرِ الأسنان وفغر الفم ـ منفي ، لا يجوز وصفه به ، لما فيه من التشبيه الظاهر ، تعالى اللّٰه عن ذلك!!

ولكن العرب تقول : ضحكتِ الأرض ، إذا أنبتت ؛ لأنها تَبَدَّى عن حسن النبات وتنفتق عن الزهر ، كما يفترُّ الضاحك عن الثغر ، وكذلك قيل لطلع النخل إذا انفتق عنه كافوره : الضَّحْك ؛ لأنه يبدو منه للناظر كبياض الثغر ، ويقال : ضحكت الطَّلْعَةُ : إذا بدا ما كان فيها مستجنًّا ، قال الشاعر(١) :

وضَحِكَ المُزْنُ بها ثم بَكَى

يريد بالضحك : إظهار البرق ، وببكائه : المطر ، أنشدنا ابن الأنباري(٢) :

أما ترى الأرض قد أعطتك زهرتها   مخضرة فاكتسى بالنور عاريها
فللسماء بكاء في جوانبها   وللربيع ابتسام في نواحيها

يريد بالابتسام : ظهور النبات فيها ، وطلوع النور عليها ، وأنشد بعضهم في معنى ذلك(٣) :

كل يوم بأقحوان جديد   يضحك الروض من بكاء السماء

يريد بالضحك : الطلوع والظهور ، وبالبكاء : نزول القطر من السماء .

وحُكي عن ابن الأعرابي : أن العرب تقول : هذا طريق ضاحك ، ولاحبٌ . بمعنى : ظاهر ، واضح ، فمرجعُ الضحك في هذا كله إلى البيان .

ومعنى الخبر ـ واللّٰه أعلم بالمراد ـ : يضحك اللّٰه ، أي : يبين اللّٰه ثواب هذين الرجلين المقتولين ـ اللذين قتل أحدهما صاحبه ، ثم قُتل قاتله بالشهادة ثانيا من بعد توبته من قتله ـ أن لهما الجنة .

وكذلك معنى ما روي عن أمير المؤمنين أن النبي ﷺ قال : «**ضحكت لضحك ربي**»(٤) . أي : لبيان ربي جزاء من قال هذا القول الذي قاله .

---

(١) الرجز بلا نسبة في البيان والتبيين ٣/ ٣٣٥، والحيوان ٣/ ٣٥، والناعتين، ص ٣٠٨، وهو لدين الراجز في معاهد التنصيص ٢/١٨٥والخزانة ٦/ ٤٨١.

(٢) الشعر لابن المعتز ، ه في من غاب عنه المطرب للثعالبي ، ص ١٨، والمستطرف ١/ ٤٣٥.

(٣) تأويل مشكل الحديث ، ص ٥٠.

(٤) تقدم تخريجه قريبا .

فإذا وجدنا للضحك معنًى صحيحا تعرفه العرب في لغتها ، غير الكَشْر عن الأسنان عند حلول التعجب به ؛ كانت إضافة ذلك إلى ربنا ـ سبحانه ـ أولى مما أضافت إليه المشبهة ، نعوذ بالله من الحيرة في الدين ، وهو ولي المعونة .

* * *

باب بيان تأويل خبر آخر

* أبو ذر الغفاري[١] رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ، ومَلِك كذاب، وعَائِلٌ مُسْتَكِبِرٌ»**[٢].

* عبد الله بن دينار[٣]، عن عبد الله بن عمر[٤] - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ

---

(١) أبو ذر الغفاري (٣٢هـ/٦٥٢م) هو: جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد، من بني غفار، من كنانة بن خزيمة، أبو ذر صحابي، من كبارهم. قديم الإسلام، يقال: أسلم بعد أربعة وكان خامسا. يضرب به المثل في الصدق. وهو أول من حيا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام. هاجر بعد وفاة النبي ﷺ إلى بادية الشام، فأقام إلى أن توفي أبو بكر وعمر وولي عثمان، فسكن دمشق. ترجمته في: طبقات ابن سعد٤/٢١٩ - ٢٣٧، وطبقات خليفة: ٣١، تاريخ خليفة: ١٦٦، وحلية الأولياء ١/ ١٥٦، ١٧٠، والاستيعاب١/ ١٦٩، ١٧٧، وأسد الغابة ١/٣٥٧ و٦/ ٩٩، ١٠١، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٤٦، والعبر ١/ ٣٣، والإصابة ١١/ ١١٨، وشذرات الذهب ١/٢٤ و٥٦ و٦٣، والأعلام ٢/ ١٤٠.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٤٨٠، رقم ١٠٢٣٢)، ومسلم (١/ ١٠٢، رقم ١٠٧)، والنسائي (٥/ ٨٦، رقم ٢٥٧٥)، وإسحاق بن راهويه (١/ ٢٤٣، رقم ٢٠١)، وأبو يعلى (١١/ ٥٩، رقم ٦١٩٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٦٠، رقم ٥٤٠٥) كلهم عن أبي هريرة.

(٣) عبد الله بن دينار العدوي العمري مولاهم، الإمام، المحدث، الحجة، أبو عبد الرحمن العدوي، العمري مولاهم، المدني. سمع: ابن عمر، وأنس بن مالك، وسليمان بن يسار، وأبا صالح السمان، وجماعة. حدث عنه: شعبة، ومالك، وسفيان الثوري، وورقاء بن عمر، وسليمان بن بلال، وابنه؛ عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، وإسماعيل بن جعفر، وسفيان بن عيينة، وخلق كثير. قد وثقه: جماعة. توفي في سنة سبع وعشرين ومائة.
ترجمته في: طبقات خليفة: ٢٦٣، التاريخ الصغير ٢/ ٣١، الجرح والتعديل ٥/ ٤٦، تهذيب الكمال: ٦٧٩، تذهيب التهذيب ٢/١٤٢/ ١، تاريخ الإسلام ٥/ ٢٦٥، تذكرة الحفاظ ١/ ١٢٦، ميزان الاعتدال ٢/ ٤١٧، تهذيب التهذيب ٥/ ٢٠١، طبقات الحفاظ: ٥٠، خلاصة تذهيب الكمال: ١٩٦، شذرات الذهب ١/ ١٧٣.

(٤) عبد الله بن عمرو (٧ ق هـ - ٦٥هـ/٦١٦ - ٦٨٤م) هو: عبد الله بن عمرو بن العاص، من قريش: صحابي، من النساك. من أهل مكة. كان يكتب في الجاهلية، ويحسن السريانية. وأسلم قبل أبيه. فاستأذن رسول الله ﷺ في أن يكتب ما يسمع منه، فأذن له. وكان كثير العبادة، وكان يشهد الحروب والغزوات. ويضرب بسيفين. وحمل راية أبيه يوم اليرموك. وشهد صفين مع معاوية. وولاه معاوية الكوفة مدة قصيرة. ولما ولي مزيد امتنع عبد الله من بيعته، وانزوى - في إحدى الروايات - بجهة عسقلان، منقطعا للعبادة. وعمي في آخر حياته. واختلفوا في مكان وفاته. ترجمته في: طبقات ابن سعد ٢/٣٧٣ و ٤/ ٢٦١، ٢٦٨، و ٧/ ٤٩٤،=

قال : «**الذي يجر إزاره خيلاء لا ينظر اللّه ـ سبحانه ـ إليه يوم القيامة**»(١) .

الجواب : أن النظر ـ في كلام العرب ـ متصرف على وجوه :

منها : نظر عِيَان(٢) .

=وطبقات خليفة ت ١٤٩، ٩٧١، ٢٨٢٢، والمعارف : ٢٨٦، والحلية ١/ ٢٨٣، والاستيعاب : ٩٥٦، وطبقات الشيرازي : ٥٠، وتهذيب الأسماء واللغات ١/١/ ٢٨١، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٧٩، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٩، ، الإصابة ٢/ ٣٥١، وشذرات الذهب ١/ ٧٣، والأعلام ١١١/٤

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٣، رقم ٤٨٨٤) ، والبخاري (٣/ ١٣٤٠، رقم ٣٤٦٥) ، ومسلم (٣/ ١٦٥٢، رقم ٢٠٨٥) ، وأبو داود (٤/ ٥٦، رقم ٤٠٨٥) ، والترمذي (٤/ ٢٢٣، رقم ١٧٣٠) وقال : حسن صحيح . والنسائي (٨/ ٢٠٦، رقم ٥٣٢٨) ، وابن ماجه (٢/ ١١٨١، رقم ٣٥٦٩) ، وعبد الرزاق عن معمر في الجامع (١١/ ٨٢، رقم ١٩٩٨٤) ، وإسحاق بن راهويه (١/ ١٧٧، رقم ١٥٢) ، والطبراني في الكبير (١٢/ ٣٠١، رقم ١٣١٧٨) ، وفى الأوسط (٢/ ١٣٠، رقم ١٤٧٧) .

(٢) اتفقت كلمة الأشاعرة على جواز رؤيته (تعالى) عقلا في الدنيا والآخرة ، بمعنى أنه تعالى يجوز أن ينكشف لعباده المؤمنين من غير ارتسام صورة ، ولا اتصال شعاع ، ولا حصول في جهة ومقابلة . واستدلوا على ذلك بأدلة نقلية وأدلة عقلية ، فلنذكر الأدلة النقلية لأنها الأصل في هذا الباب ، وهي أكثر من أن تحصى ، والمعتمد منها عند أهل السنة قوله تعالى حكاية عن سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ في ميقات المناجاة : ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

تنطق الآية الكريمة بمسألة تتعلق بالذات الأقدس ، وهي مسألة الرؤية ، ولم يحدد النطق الكريم الحكم فيها ، بل ترك لذوي العقول البحث .

فكان القول بجوازها ووقوعها ، وكان القول باستحالتها وعدم وقوعها ، ولم يكن لصاحب كل قول من الآية الكريمة ما يعتمد عليه صريحا ، بل كل مستند له هو الركون إلى اللغة تارة ، واللجوء إلى الدليل العقلي أخرى .

غير أن أهل السنة نظروا إلى ظروف الآية وما سيقت لأجله ، فكانت عضدا قويا ركنوا إليه .

فالآية الكريمة تقول : لقد وعى موسى ـ عليه السلام ـ لمناجاتنا ، ورفعناه إلى هذا المستوي واتصل بالأفق الأعلى ، وانتهى من الإنسانية إلى الذروة العليا ، وشهد من أمر اللّٰه ما لم يصل غيره إلى تعقله بأقوى الأدلة والبراهين ، وأنزله هذه المنزلة ، ووقف في ساحة جلاله وحظائر قدسه ومساقط أنوار جماله وذاق حلاوة خطابه .

أليس يطلب إلى ربه أن يمتعه بالنظر إلى ذاته الأقدس ليجمع بين حلاوة الكلام وجمال الرؤية ، ويؤيد أن الحامل لموسى ـ عليه السلام ـ على طلب الرؤية عوامل الشوق ما روي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : «جاء موسى ـ عليه السلام ـ ومعه السبعون رجلا ، وصعد موسى الجبل ، وبقي السبعون في أسفل الجبل ، فكلم اللّٰه موسى ، وكتب له في الألواح كتابا ، وقربه نجيا ، فلما سمع موسى صرير القلم عظم شوقه فقال : ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ

....

أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ ، نعم طلبها بعامل الشوق ، وقال : ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ ، ولم يكن موسى قد جرى في هذه القضية على غير المألوف ، حيث جعل النظر مسببا عن الرؤية ، والحال أن النظر تقليب الحدقة نحو الشيء التماسا لرؤيته ، فهي متأخرة عنها إذ الغرض ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ : مكني من رؤيتك ، فأنظر إليك ، وأراك ، ففي الكلام ذكر الملزوم وإرادة اللازم . نعم أقدم موسى على طلب النظر إلى الذات الأقدس ، وانتظر ما يكون من أمر اللّٰه ، وقد وقع عليه عمود من الغمام ، وتغشى الجبل جلال الرب وسمع النطق الكريم لَنْ تَراني عند هذه الآية الكريمة تقف المعتزلة رافعة الرأس ، ولو أنهم لاحظوا ما كان من حب موسى واصطفاء اللّٰه له ، لم ينصرف ذهنهم إلى المنع من مطالعة الذات الأقدس ، بل المتبادر إلى الذهن «لن تقوى على رؤيتي وأنت على ما أنت عليه ، لتوقفها على استعداد في الرائي ، ولم يوجد في موسى ـ عليه السلام ـ وقت الطلب يشهد لهذا ما أخرجه الترمذي في «نوادر الأصول» عن ابن عباس «تلا رسول اللّٰه ﷺ هذه الآية فقال : قال اللّٰه تعالى : «يا موسى إنه لا يراني حي إلا مات ولا رطب إلا تفرق وإنما يراني أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ، ولا تبلى أجسامهم» .

كذلك يدل على أن التأييد المستفاد من قوله تعالى : ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ إنما هو موقوف على عدم تغيير الحال يؤيد ذلك ما رواه أبو الشيخ عن ابن عباس ، وفيه يقول : «يا موسى إنه لن يراني أحد فيحيا ، قال موسى : رب أن أراك ثم أموت أحب إلي من ألا أراك ثم أحيا» وقد نبه جل شأنه بقوله : ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ على وجود المانع ، وهو الضعف عن تحملها ، حيث أراه ضعف من هو أقوى منه وتفتته عند ما تجلى عليه الرب وغشيه ذو الجلال والإكرام .

فكان الجبل وتماسكه وعاد الجبل متقوص الأركان متداخل الأجزاء سقيم القوام ، وكان موسى فاقد الحياة لطلبه هذه المرئية من الانكشاف ، وهو باق على حاله .

أفاق موسى واسترد حياته ، وقال : ﴿سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف : ١٤٣]

أنزهك من أن أسألك شيئا بغير إذنك تبت عن الإقدام وأنا أول المؤمنين بأن لا يراك أحد في هذه النشأة ، وليس كما يزعم الخصم من أن التوبة دليل العصيان ، فكان موسى يعلم امتناعها وقد طلبها وهي ممتنعة . بل تاب من طلب الرؤية بغير إذن ، وكيف لا يتوب وهو الرب صاحب الجبروت ، وهو موسى المصطفى الكليم .

وقد قيل قديما : (حسنات الأبرار سيئات المقربين) ـ إلى هنا كان حتما أن نبين أن أهل السنة كانوا في غيبة عن أدلة الجواز ، لكن دفعهم أن ما سيكون من الأدلة على الوقوع سمعي فحسب ، قد يأتيها الخصم بمنع إمكان المطلوب لأجل هذا مهدوا الطريق للوقوع ، فبرهنوا على الجواز بالأدلة النقلية والعقلية ، وكان سلوكهم بهذا الطريق كافيا في الاستدلال على الوقوع بالدليل النقلي ، وتفصيل ذلك مذكور في كتب العقائد .

وكذلك اتفقت كلمة الأشاعرة على وقوع رؤيته (تعالى) في الآخرة ، واستدلوا على ذلك بالكتاب ، والسنة ، والإجماع :

أما دلالة الكتاب : فقوله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة : ٢٢-٢٣]

فالآية صريحة في أن وجوه المؤمنين المخلصين يوم القيامة متهللة من عظيم المسرة ، يشاهد عليها نضرة النعيم . ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ أن تراه مستغرقة في مطالعة جماله ، بحيث تغفل عما سواه ففي حديث جابر ، وقد=

....

=رواه ابن ماجة : «فينظر إليهم ، وينظرون إليه ، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحجب عنهم» والحجاب من قبلهم لا من قبله (عز وجل) ، فهذا يدل على أن المراد من النظر حقيقته ، وهو الرؤية .

ووجه الاحتجاج في الآية الكريمة : أن النظر في الآية جاء موصولا بإلى ، وكل ما كان كذلك فهو بمعنى الرؤية ، فالنظر في الآية بمعنى الرؤية .

أما الصغرى ، فدليلها الآية ، وأما الكبرى ، فيستدل لها بشهادة النقل عن أئمة اللغة وتتبع موارد الاستعمال ، فقد نقل عن أهل اللغة أن للنظر معان عدة يتميز بعضها عن بعض بواسطة التعدية فقد جاء النظر بمعنى الانتظار متعديا بنفسه قال اللّه تعالى : ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ [الحديد : ١٣]

أي :

انتظرونا ، وقول الشاعر : [الوافر]

وإن يك صدر هذا اليوم ولى فإن غدا لناظره قريب

أي ينتظره .

وجاء بمعنى التفكر ويستعمل ب «في» يقال : نظرت في الأمر الفلاني ، أي تفكرت فيه : وجاء بمعنى الرأفة والتعطف ، ويتعدى باللام ، يقال : نظر الأمير لفلان ، أي رأف به وتعطف .

وجاء بمعنى الرؤية ، ويستعمل ب «إلى» قال الشاعر : [الطويل]

نظرت إلى من أحسن اللّه وجهه فيا نظرة كادت على رامق تقضي

ومثل ذلك النظر في الآية إذ جاء موصولا ب «إلى» ، فيجب حمله على الرؤية ، فتكون واقعة في ذلك اليوم ، وهو المطلوب . ولا يعكر أن النظر المستعمل ب «إلى» يأتي بمعنى آخر غير الرؤية كالتأخير كما في قوله تعالى : ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖ﴾ [البقرة : ٢٨٠]

. لأن لفظة «إلى» في الآية ليست صلة للنظر ، بل لبيان المدة .

وقد اعترضت المعتزلة هذا الدليل ، فمنعت صغراه (النظر في الآية موصول بإلى) قالوا : لا نسلم أن النظر في الآية موصول ب «إلى» لأنها ليست حرفا ، بل هي اسم بمعنى النعمة واحد الآلاء ، ومفعول به للنظر ، يشهد لذلك ما قيل عن أهل اللغة أن الآلاء واحدها آلى ، وأيلى ، وألو ، وألى ، وإلى . قال الأعشى :

أبيض لا يرهبه النزال ولا يقطع رحما ولا يخون إليّ

أي نعمة أو بمعنى «عند» يؤيده قول الشاعر :

فهل لكم فيما إلى فإنني طبيب بما أعيى النطاس حذيما

أي فيما عند .

ومعنى الآية على الأول : منتظرة نعمة ربها ، وعلى الثاني : عند ربها منتظرة نعمته .

أجاب أهل السنة عند المنع :

أولا : لو أريد من النظر في الآية انتظار النعمة لما خص بإسناده إلى الوجوه التي هي محل الأعين ـ بالباصرة ، ولم يكن للتعدية بالظرف معنى فإن المؤمنين في دار الدنيا منتظرون نعمته تعالى ، وكذلك الكفار . =

ومنها : نظر انتظار .

ومنها : نظر الدلائل والاعتبار .

ومنها : نظر التعطف والرحمة ، فمعنى قوله ﷺ : «**لا ينظر اللّٰه إليه**» . أي : لا يرحمه . والنظر من اللّٰه ـ سبحانه ـ لعباده إنما هو رحمة لهم ، ورأفة بهم ، وعائدته عليهم ، ومنها : ما يقول القائل لآخر : انظر إليَّ ، نظر اللّٰه إليك . أي : ارحمني ، رحمك اللّٰه .

فإن قيل : فَلِمَ لا تقول : إن قوله ـ سبحانه ـ : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1] . بمعنى منتظرة ؛ إذ كان النظر بمعنى الانتظار موجودا في ألفاظ اللغة ، كما أنشدنا ابن الأنباري للمثقب العبدي[2] :

= ثانيا : أن جعل «إلى» بمعنى النعمة في هذا المقام يخالف المعقول لأن الانتظار يعد من الآلام كيف وقد قيل : إنه الموت الأحمر؟! ويخالف المنقول أيضا إذ روي أنه ﷺ قال : «أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر إلى جناته وأزواجه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة ، وأكرمهم على اللّٰه من ينظر إلى وجه اللّٰه غدوة وعشية» ثم قرأ (عليه الصلاة والسلام) : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة : ٢٢-٢٣]

واللّٰه ما نسخها منذ أنزلها .

ثالثا : إن الانتظار أمارة الغم وعدم الاطمئنان ، وقد قيل كما سبق أنه الموت الأحمر ، وهذا يخالف ما سيقت لأجله الآية من التبشير للمؤمنين بالإنعام وحسن الحال وفراغ البال ، وذلك إنما يكون برؤيته تعالى ، فإنها من أجلّ النعم والكرامات المستتبعة لنضارة الوجوه .

وما يقوله المعتزلة من أن ترتب الغم على الانتظار أمر عادي يجوز تخلفه في الآخرة حيث إنها دار خوارق العادات ، على أنه إنما يكون غما إذا لم يكن مقطوعا بما يترتب عليه من حصول النعم كيف وهو وعد من لا يخلف وعده ، فمدفوع بأن هذا خروج عن السنن الكونية فقد جرت عادة اللّٰه (تعالى) أن يبشر خلقه وينذرهم بما يعلمونه لذة وعذابا بحسب العادة ، ولذا لم يقع التبشير بالنار والإنذار بالجنة مع إمكان أن يخلق اللّٰه اللذة في النار والعذاب والألم في الجنة .

ينظر : الرؤية للشيخ عبد الفضيل طلبة ص٤٠ وما بعدها .

(١) القيامة : ٢٢، ٢٣.

(٢) المُثَقِّب العَبْدي (نحو ٣٥ ق هـ/نحو ٥٨٨م) هو : العائذ بن محصن بن ثعلبة ، من بني عبد القيس ، من ربيعة ، شاعر جاهلي ، من أهل البحرين ، اتصل بالملك عمرو بن هند ، وله فيه مدائح ، ومدح النعمان بن المنذر . وشعره جيد فيه حكمة ورقة ، جمع بعضه في (ديوان) وهو صاحب الأبيات التي منها :

(فإما أن تكون أخي بحق   فأعرف منك غثي من سميني

.... إلخ . وقيل : اسمه محصن بن ثعلبة . =

فَإِنْ يَكُ صَدْرُ هَذَا الْيَوْمَ وَلَّى فَإِنَّ غَدًا لِنَاظِرِهِ قَرِيبُ(١)

أي : لمنتظره .

قيل له : إن نظر الانتظار لا يجوز أن يكون منوطا بقول القائل بـ (إلى) في كتاب اللّٰه ، ولا في كلام الفصحاء ، ولا في شعر الشعراء ، قال اللّٰه سبحانه : ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾(٢) . بمعنى : ما ينتظرون . ولم يقل : إلا إلى صيحة ، وقال يخبر عن بلقيس(٣) أنها قالت : ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾(٤) . بمعنى : منتظرة . ولم يقل : (إلى) وقال امرؤ القيس(٥) :

فإنكما إن تَنْظُرَانِي ساعة من الدهر ينفعني لدى أم جُنْدُبِ

وقال آخر(٦) :

وكنا ناظريك بكل فج كما للغيث يُنتظر الغمامُ

= ترجمته عند ابن سلام الجمحيّ ٢٢٩، والمرزباني ٣٠٣، وجمهرة الأنساب ٢٨١، والشعر والشعراء ١٤٧، وخزانة البغدادي ٤/ ٤٣١.

(١) انظر البيت في الحماسة البصرية ١/ ٤٥، وخزانة الأدب ٩/ ٣٣١.

(٢) يس : ٤٩.

(٣) هي : بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل ، من بني يعفر بن سكسك ، من حِمْير : ملكة سبأ ، يمانية من أهل مأرب ، أشير إليها في القرآن الكريم ولم يسمّها . وليت بعهد من أبيها (في مأرب) وطمع بها ذُو الأذْعار (عمرو بن أبرهة) صاحب غمدان ، فزحف عليها ، فانهزمت ، ورحلت مستخفية بزي أعرابي إلى الأحقاف ، فأدركها رجال (ذي الأذعار) فاستسلمت . وأصابت منه غرة في سُكْر ، فقتلته ، ووليت أمر اليمن كله ، وانقادت لها أقيال حِمْير ، فزحفت بالجيوش إلى بابل وفارس ، فخضع لها الناس ، وعادت إلى اليمن فاتخذت مدينة (سبإ) قاعدة لها . وظهر سليمان بن داود ، النبي الملك الحكيم ، بتدمر ، وركب الرياح إلى الحجاز واليمن ، وآمن اليمانيون بدعوته إلى اللّٰه ، وكانوا يعبدون الشمس . ودخل مدينة (سبإ) فاستقبلته بلقيس بحاشية كبيرة ، وتزوجها ، وأقامت معه سبع سنين وأشهرا ، وتوفيت فدفنها بتدمر . وانكشف تابوتها في عصر الوليد بن عبد الملك ، وعليه كتابة تدل على أنها ماتت لإحدى وعشرين سنة خلت من مُلك سليمان ، ورُفع غطاء التابوت فإذا هي غضة ، لم يتغير جسمها ، فرُفع ذلك إلى الوليد ، فأمر بترك التابوت في مكانه وأن يبنى عليه بالصخر .

ترجمتها في الأعلام ٢/ ٧٤.

(٤) النمل : ٣٥.

(٥) ديوانه ، ص ٧٤.

(٦) انظر البيت في الأوراق للصولي ١/ ١٣٥.

ولم يقل : إلى .

وكان أبو عبد اللَّه نِفطويه النحوي يقول : إن النظر إذا كان مذكورا مع الوجه ، لم يكن معناه إلا الرؤية ، ألا ترى أن اللَّه لما ذكر تقلب الوجه يقول : ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾[1] . إنما أراد به تقليب العينين؟ فكذلك إذا ذكر النظر مع ذكر الوجه ، فإنما يريد به العينين .

وكان غيره يقول : إن النظر لا يحتمل أن يكون بمعنى الانتظار في هذه الآية ؛ لأن المنتظر للشيء يكون في تنغيص وتكدير إلى أن يؤتى بما ينتظره ، والجنة ليست بدار تنغيص وتكدير وبلاء .

❊ ❊ ❊

---

(١) البقرة : ١٤٤.

باب بيان تأويل خبر آخر

مكحول عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**عليكم بالجماعة فإن يد الله مع الفُسْطَاطِ**»[١]. بضم الفاء.

الجواب: أن الفُسطاط في كلام العرب هي المدينة، وكذلك قيل لمصر: فسطاط. ومنه قول الشعبي[٢]: في الآبق[٣]، إذا أُخذ في الفسطاط عشرةٌ، وإذا أُخذ خارجا من الفسطاط أربعون.

ومعنى قوله: «**إن يد الله مع الفسطاط**». أي: إن الله ـ تعالى ـ مع أهل الأمصار والسواد الأعظم، وإن مَن شذَّ منهم وفارقهم في الرأي، فليس على الحق.

فاليد ـ ههنا ـ بمعنى الذات، كقوله تعالى: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾[٤]. أي: مما عملناه وكقوله: ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾[٥]. أي: مما ملكتم أنتم، وكقوله: ﴿بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾[٦]. أي: يملك عقدة النكاح بنفسه، لأنا رأينا من يملكه،

---

(١) قال القاضي أبو يعلى في إبطال التأويلات لأخبار الصفات، ص ٤٥٦: وقد رَوَى ابن فورك، عَن مكحول، عَن أَبِي هريرة، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «عليكم بالجماعة فإن يد الله مع الفسطاط». وَقَالَ: مَعْنَى الفسطاط: المدينة، ولذلك قِيلَ لمصر فسطاط، فيكون معناه: إن الله مع السواد العظم ومع أهل الأمصار، وأن من شذ منهم وفارقهم في الرأي، فليس عَلَى الحق.

(٢) هو: عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، أبو عمرو: راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه. ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة. اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم. وكان ضئيلا نحيفا، ولد لسبعة أشهر. وسئل عما بلغ إليه حفظه، فقال: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته. وهو من رجال الحديث الثقات، استقضاه عمر بن عبد العزيز. وكان فقيها، ونسبته إلى شعب وهو بطن من همدان.

ترجمته في طبقات ابن سعد ٦/ ٢٤٦، وطبقات خليفة (١١٤٤)، وتاريخ البخاري ٦/ ٤٥٠، وتاريخ البخاري الصغير ١/ ٢٤٣، ٢٥٣، ٢٥٤، والمعارف ٤٤٩، والمعرفة والتاريخ ٢/ ٥٩٢، وأخبار القضاة ٢/ ٤١٣، والحلية ٤/ ٣١٠، وطبقات الشافعية للعبادي ٥٨، وتاريخ بغداد ١٢/ ٢٢٧، وطبقات الفقهاء للشيرازي ٨١، ووفيات الاعيان ٣/ ١٢، وتذكرة الحفاظ ١/ ٧٤، والعبر ١/ ١٢٧، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٣٢.

(٣) أي: الهارب من العبيد. اللسان (أ ب ق).

(٤) يس: ٧١.

(٥) النور: ٣٣.

(٦) البقرة: ٢٣٧.

وهو أقطع اليدين .

فإن قيل : فإذا صح كون اليد بمعنى الذات ، **فما معنى قوله : إن اللَّه ـ تعالى ـ مع الجماعة؟**

قيل له : **معناه** : أن اللَّه ـ **تعالى ـ معهم بالنصرة لهم ، كما يقال : إن الأمير مع الخليفة** بالنصرة لا بالذات .

* * *

باب بيان تأويل خبر آخر

البراء بن عازب[١] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن فلانا هجاني، وهو يعلم أني لست بشاعر، فاهجه، اللهم والْعَنْهُ عدد ما هجاني**»[٢].

قوله: «**فاهجه**». يريد: جازِهِ على الهجاء جزاء الهجاء، ومثل هذا كثير، ومنه قوله ﷺ: «**من يسمِّع يسمِّعِ الله به، ومن يرائي يرائي الله به**»[٣]. أي: يجازيهم جزاء المرائين. وهو ـ أيضا ـ نظير قوله ـ سبحانه ـ: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[٤]. أي: يجازيهم جزاء المستهزئين في قول بعضهم.

* * *

(١) هو: البراء بن عازب بن الحارث الخزرجي، أبو عمارة: قائد صحابي من أصحاب الفتوح. أسلم صغيرا وغزا مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة، أولها غزوة الخندق. ولما ولي عثمان الخلافة جعله أميرا على الري (بفارس) سنة ٢٤هـ، فغزا أبهر (غربي قزوين) وفتحها، ثم قزوين فملكها، وانتقل إلى زنجان فأفتتحها عنوة. وعاش إلى أيام مصعب ابن الزبير فسكن الكوفة واعتزل الأعمال. وتوفي في زمنه. روى له البخاري ومسلم. ترجمته في: طبقات ابن سعد ٣٦٤/٤ و ٦/ ١٧، طبقات خليفة (٥٢٢، ٩٢٣، ١٥٠٠) المحبر: ٢٩٨، ٤١٢، التاريخ الكبير ٢/ ١١٧، التاريخ الصغير ١/ ١٦٤ ـ ١٦٥، المعارف: ٣٢٦، الجرح والتعديل ٢/ ٣٩٩، مشاهير علماء الأمصار(٢٧٢)، الاستيعاب: ١/ ١٥٥، تاريخ بغداد ١/ ١٧٧، أسدالغاية ١/ ١٧١، تهذيب الأسماء واللغات ١/١/ ١٣٢.

(٢) أخرجه الروياني (١/ ٢٥٧، رقم ٣٨٢).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٤٠، رقم ١١٣٧٥)، والترمذي (٤/ ٥٩١، رقم ٢٣٨١) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٢/ ١٤٠٧، رقم ٤٢٠٦)، وأبو يعلى (٢/ ٣٢٣، رقم ١٠٥٩).

(٤) البقرة: ١٥.

باب بيان تأويل خبر آخر

ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**من استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن سألكم بوجهه فأعطوه**»[١] .

معناه : من سألكم بالله ، ووجه الله هو الله ، على ما تقدم من تفسيره في الوجه ، عند ذكرنا تأويل الآيات .

* * *

(١) أخرجه أحمد ، وأبو داود عن ابن عباس .

باب بيان تأويل خبر آخر

صفوان بن محرز[١] ، أنه كان يماشي ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ فقال له : يا أبا عبد الرحمن ، كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ قال : سمعته يقول : **«يدنو المؤمن من ربه يوم القيامة حتى يضع عليه كَنَفَهُ ، فَيُقَرِّرُهُ بذنوبه ، فيقول له : هل تعرف؟ فيقول : ربي أعرف . فيقول له : هل تعرف؟ فيقول : ربي أعرف . فيقول : إني قد سترتها عليك في الدنيا ، وإني أغفرها لك ، فيعطَى صحيفة حسناته . وأما الكفار ، والمنافقون فيُنادي بهم على رءوس الأشهاد : هؤلاء الذين كذبوا على الله تعالى»**[٢] .

قوله : **«يدنو العبد»** . أي : يقرب من كراماته ، كما تقول : فلان قريب من السلطان ، أي : كريم عليه ، حَظِيٌّ عنده ، مقبول لديه ، لا أنه يريد القرب في المسافة .

وقوله : **«حتى يضع كَنَفَهُ عليه»** . أي : عَطْفه ورحمته ورأفته وعائدته وحسن نظره ، ومِن هذا ما يقال : أنا في كنف فلان ، أي : في نظره وحفظه وحياطته . وروت عامة المشبهة هذا الحديث : **«حتى يضع عليه كتفه»** . فصحَّفه تصحيفا أوجب به تشبيها ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا .

❊ ❊ ❊

---

(١) صفوان بن محرز المازني البصري العابد ، أحد الأعلام . حدث عن : أبي موسى الأشعري ، وعمران بن حصين ، وحكيم بن حزام ، وابن عمر . وروى عنه : جامع بن شداد ، وبكر المزني ، وقتادة ، وثابت ، ومحمد بن واسع ، وعاصم الأحول ، وعلي بن زيد بن جدعان ، وآخرون . قال ابن سعد : ثقة ، له فضل وورع . وقال غيره : كان واعظا ، قانتا لله ، قد اتخذ لنفسه سربا يبكي فيه .

ترجمته في : طبقات ابن سعد ٧/ ١٤٧ ، وطبقات خليفة ت ١٥٤٠ ، وتاريخ البخاري ٤/ ٣٠٥ ، والمعارف ٤٥٨ ، المعرفة والتاريخ ٢/ ٨٤ ، والجرح والتعديل القسم الأول من المجلد الثاني ٤٢٣ ، والحلية ٢/ ٢١٣ ، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٤ ، وتذكرة الحفاظ ١/ ٥٧ ، وتذهيب التهذيب ٢/ ٩٥ ، والإصابة ت ٤١٥٠ ، وتهذيب التهذيب ٤/ ٤٣٠ ، طبقات الحفاظ للسيوطي ، ص ٢١ ، خلاصة تذهيب التهذيب ١٧٤ .

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٧٤ ، رقم ٥٤٣٦) ، والبخاري (٢/ ٨٦٢ ، رقم ٢٣٠٩) ، ومسلم (٤/ ٢١٢٠ ، رقم ٢٧٦٨) ، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٦٤ ، رقم ١١٢٤٢) ، وابن ماجه (١/ ٦٥ ، رقم ١٨٣) . وأخرجه أيضًا : ابن أبي شيبة (٧/ ٦٣ ، رقم ٣٤٢٢١) ، وعبد بن حميد (ص ٢٦٦ رقم ٨٤٦) ، وابن حبان (١٦/ ٣٥٣ رقم ٧٣٥٥) والطبراني في الأوسط (٤/ ١٨٠ ، رقم ٣٩١٥) ، والديلمي (١/ ١٥٢ ، رقم ٥٥٣) .

باب بيان تأويل خبر آخر

مالك ، عن نافع[١] ، عن ابن عمر - رضي الله عنهما - : أن رسول اللّه ﷺ رأى بصاقا في جدار القبلة ، فحكه ، ثم أقبل على الناس فقال : «**إذا كان أحدكم يصلي ، فلا يصق قِبَلَ وجهه ، فإن اللّه - تعالى - قِبَلَ وجهه إذا صلى**»[٢] .

معنى قوله : «**إن اللّه - سبحانه - قبل وجهه**» . أي : إن ثواب اللّه لهذا المصلِّي ينزل عليه من قبل وجه المصلِّي .

ومثله قوله ﷺ : «**يجيء القرآن بين يدي صاحبه يوم القيامة**»[٣] . أي : يجيء ثواب قراءته للقرآن .

وقد روي - أيضا - أنه قال : «**من قرأ ثلث القرآن ، أعطي ثلث النبوة**»[٤] . أي : أعطي ثلث علمِ النبوة .

ومثله قوله : «**كُنَّ له حجابا من النار**»[٥] . أي : كان ثواب ذلك حجابا له من النار .

وقالت جويرية[٦] - رضي اللّه عنها - : قدم عمر مكة ، فجعل يدور في السكك ،

---

(١) نافع بن جبير (٩٩هـ/٧١٧م) هو : نافع بن جبير بن مطعم بن عدى بن نوفي ، من قريش ، من كبار الرواة للحديث . تابعي . ثقة . من أهل المدينة . كان فصيحا ، عظيم النخوة ، جهير المنطق ، يفخم كلامه ، وفيه تيه . وكان ممن يؤخذ عنه ويفتى بفتواه . ترجمته في : طبقات ابن سعد ٥/ ٢٠٥، وطبقات خليفة ت ٢٠٦٥، والمعارف ٢٨٥، والجرح والتعديل ١/٤/ ٤٥١، وتهذيب الأسماء واللغات ١/١/ ١٢١، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٤١، والعبر ١/ ١١٧، وشذرات الذهب ١/ ١١٦، والأعلام ٧/ ٣٥٢.

(٢) أخرجه مالك (١/ ١٩٤، رقم ٤٥٧) ، والبخاري (١/ ١٥٩، رقم ٣٩٨) ، ومسلم (١/ ٣٨٨، رقم ٥٤٧) ، والنسائي (٢/ ٥١، رقم ٧٢٤) .

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٢٤٢، رقم ٣٧٨١) قال البوصيري (١٢٦/٤) : هذا إسناد رجاله ثقات . والحاكم (١/ ٧٤٢، رقم ٢٠٤٣) وقال : صحيح الإسناد .

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٤٦، رقم ١٩٩٣) ، وابن عساكر (١٠٠/٥٦)من حديث أبى أمامة ، وأخرجه الخطيب (٤٤٦/١٢) من حديث ابن عمر .

(٥) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٤، رقم ١٧٤٣٩) ، وابن ماجه (٢/ ١٢١٠، رقم ٣٦٦٩) ، والطبراني (١٧/ ٢٩٩، رقم ٨٢٦) . وأخرجه أيضًا : أبو يعلى (٣/ ٢٩٩، رقم ١٧٦٤) . قال البوصيري (١٠١/٤) : هذا إسناد صحيح .

(٦) جويرية بنت الحارث (٥٦هـ/٦٧٦م) هي : جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ، من خزاعة ، إحدى =

ويقول : قُمُّوا أفنيتكم ، فمرَّ بأبي سفيان ، فقال له ذلك ، فقال : نعم حتى يجيء مُهّاننا ، فعلاه عمر بالدِّرَّة ، فخرجت هند فقالت : أتضربه؟ أَمَا واللهِ لَرُبَّ يومٍ لو ضربتَهُ ، لاقشعرَّ بك بَطْنُ مكة!! وقالت : فقال : صدقتِ واللّه ، ولكن اللّه ـ تعالى ـ رفع بالإسلام أقواما ، ووضع آخرين[1] .

قولها : (اقشعر بك بطن مكة) أي : اقشعر بك أهل بطن مكة .

وقوله : (حتى يجيء مُهَّاننا) أي : خُدُمنا ، واحدها : ماهن .

❊ ❊ ❊

= زوجات النبي ﷺ ، تزوجها قبله مسافع بن صفوان وقتل يوم المريسيع (سنة ٦هـ) وكان أبوها سيد قومه في الجاهلية ، فسبيت مع بني المصطلق ، فافتداها أبوها ، ثم زوجها لرسول اللّه ﷺ ، وكان اسمها (برة) فغيره النبي ﷺ وسماها (جويرية) ، وكانت من فضليات النساء أدبا وفصاحة .، وتوفيت في المدينة وعمرها ٦٥ سنة . ترجمتها في : طبقات ابن سعد ١١٦/٨ ـ ١٢٠ ، والاستيعاب ٤/ ١٨٠٤ ، وأسد الغابة ٧/ ٥٦ ، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٢٦١ ، والإصابة ١٢/ ١٨٢ ، وشذارت الذهب ١/ ٦١ ، والأعلام ٢/ ١٤٨ .

(١) أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٦٩/٢٣) .

باب بيان تأويل خبر آخر

ابن المسيب[1] : عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **«لا يزال الله ـ سبحانه ـ مقبلا على العبد ما لم يلتفت ، فإذا صرف وجهه ، انصرف عنه»**[2] .

قوله : **«لا يزال الله ـ سبحانه ـ مقبلا على العبد»** . أي : لا يزال خيره مقبلا عليه ، كما يقول القائل : إن الأمير قد أقبل على فلان : إذا قَبِلَهُ وقرَّبه .

وقوله : **«فإذا صرف وجهه ، انصرف عنه»** . أي : صرف خيره وثوابه عنه ، كما تقول أيضا : إن الأمير قد صرف وجهه عن فلان : إذا قطع خيره عنه ، ولم يحسن إليه حديثا ، كما أحسن إليه قديما .

ومن هذا المعنى : ما أنشدنا أبو عبد الله نفطويه النحوي[3] :

وكنا إذا الجبار صعَّر خده أقمنا له من مَيْلِهِ فتقوما

أي : إذا أمال خده ، بأن قطع عطيته ونظره عنا ، لا أنه يريد بذلك الخد المعروف .

---

(١) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي ، أبو محمد المدني المخزومي ، سيد التابعين على الإطلاق ، وفاته سنة ٩٤هـ . ترجمته في طبقات ابن سعد ٥/ ١١٩، وحلية الأولياء ٢/ ١٦١، وطبقات الفقهاء ص٥٧ وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٧.

(٢) حديث أبي ذر : أخرجه أحمد (٥/ ١٧٢، رقم ٢١٥٤٧) ، وأبو داود (١/ ٢٣٩، رقم ٩٠٩) ، والنسائي (٣/ ٨، رقم ١١٩٥) ، والدارمي (١/ ٣٩٠، رقم ١٤٢٣) ، وابن خزيمة (١/ ٢٤٤، رقم ٤٨٢) ، والحاكم (١/ ٣٦١، رقم ٨٦٢) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقي (٢/ ٢٨٢، رقم ٣٣٤٧) . وأخرجه أيضًا : ابن المبارك (١/ ٤١٨، رقم ١١٨٦) .

وأخرجه الطبراني (٩/ ٢٦٩، رقم ٩٣٤٥) من من حديث ابن مسعود .

(٣) البيت لعمرو بن حني (بالنون) التغلبي (معجم الشعراء للمرزباني ص٢٠٦ ـ ٢٠٧) وهو فارس جاهلي مذكور ، يقول في قتلهم عمرو بن هند ، على رواية محمد بن داود : نعاطي الملوك الحق ما قصدوا بنا . . . وليس علينا قتلهم بمحرم

أنفت لهم من عقل عمرو بن مرثد إذا وردوا ماء ورمح بن هرثم

وكنا إذا الجبار صعر خده أقمنا له من ميله فتقوم

قال : يريد : فتقوم أنت . وهذا البيت يروى من قصيدة المتلمس التي أولها :

يعيرني أمي رجال ولن ترى أخا كرم إلا بأن يتكرما

وبعده البيت ، وآخره : =

باب بيان تأويل خبر آخر

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«عَجِبَ ربنا من قوم يُقَادُونَ إلى الجنة بالسلاسل»**(١) .

وروى أبو الوداك(٢) ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«ثلاثة يعجب الله إليهم: القوم إذا اصطفوا للصلاة، والقوم إذا اصطفوا في الصفوف لقتال المشركين، ورجل يقوم إلى الصلاة في جوف الليل»**(٣) .

وروى عقبة بن عامر(٤) رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **«يعجب ربك من الشاب ليست**

= أقمنا له من ميله فتقوما

وغيره يروون هذه الأبيات لجابر بن حني التغلبي. وقال أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى: (ولا تصعر خدك للناس): مجازه: لا تقلب وجهك، ولا تعرض بوجهك في ناحية، من الكبر؛ ومنه الصعر الذي يأخذ الإبل في رءوسها، حتى يلفت أعناقها عن رءوسها. وقال عمرو بن حني التغلبي: "وكنا . .. فتقوما". ونسب البيت في (اللسان: صعر) للمتلمس جرير بن عبد المسيح. قال: الصعر: ميل في الوجه. وقيل: الصعر: ميل في الخد خاصة. وربما كان خلقة في الإنسان والظليم. وقيل: هو ميل في العنق، وانقلاب في الوجه إلى حد الشقين. وقد صعر خده وصاعره: أماله من الكبر، قال المتلمس "وكنا . .. فتقوما". يقول: إذا أمال متكبر خده أذللناه حتى يتقوم ميله. اهـ.

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٢، رقم٨٠٠٠)، وأبو داود (٣/ ٥٦، رقم ٢٦٧٧)، وابن حبان (١/ ٣٤٣، رقم ١٣٤).

(٢) واسمه جبر بن نوف بن ربيعة الهمداني. وكان قليل الحديث. التقريب (١/١٢٥)، (٢/٢٨٦) وطبقات ابن سعد ٦/ . ٣٠١.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٨٠، رقم ١١٧٧٨)، وعبد بن حميد (ص ٢٨٥، رقم ٩١١)، وأبو يعلى (٢/ ٢٨٥، رقم ١٠٠٤). وأخرجه أيضًا: ابن أبي شيبة (١/ ٣٠٩، رقم ٣٥٣٨)، والديلمي (٢/ ١٠١، رقم ٢٥٣٥). واللفظ: «ثلاثة يضحك الله إليهم يوم القيامة الرجل إذا قام من الليل يصلي والقوم إذا صفوا للصلاة والقوم إذا صفوا لقتال العدو».

(٤) عقبة بن عامر (٥٨هـ/٦٧٨م) هو: عقبة بن عامر بن عبس بن مالك الجهني، أمير من الصحابة. كان رديف النبي ﷺ وشهد صفين مع معاوية، وحضر فتح مصر مع عمرو بن العاص. وولي مصر سنة ٤٤هـ، وعزل عنها سنة ٤٧ وولي غزو البحر. ومات بمصر. كان شجاعا فقيها شاعرا قارئا، من الرماة. وهو أحد من جمع القرآن. قال ابن يونس: ومصحفه بمصر إلى الآن (أي إلى عصر ابن يونس) بخطه على غير تأليف مصحف عثمان، وفي آخره: وكتبه عقبة ابن عامر بيده.

ترجمته في: طبقات ابن سعد ٤/ ٣٤٣، ٣٤٤، الاستيعاب ٣/ ١٠٧٣، وأسد الغابة ٤/ ٥٣، وسير=

له صَبْوَةٌ»[١] .

وروى أبو هريرة ﷺ أن رجلا نزل برجل من الأنصار ضيفا ، فقال لامرأته : تعالى حتى نطوي الليلة لضيفنا ، فإذا وضعت الطعام بين يديه ، فأطفئي المصباح ، حتى يأكل وحده ، قال : ففعلت ذلك ، فغدوت على رسول اللّه ﷺ فقال : «**لقد عَجِبَ اللّه من صنيعكما البارحة**»[٢] . وأنزل فيهما : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٣] .

فالجواب : أن الناس قد اختلفوا في معنى التعجب من اللّه :

فقال قوم : معنى (عجب) أي : عَظُمَ عنده ، ومنه قوله ـ سبحانه ـ : ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾[٤] . أي : بل عظم فعلهم عندي .

وقال آخرون : معنى (عجب) : رضي وأثاب ، فسماه عجبا ، وليس بعجب على الحقيقة ، كما قال : ﴿وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾[٥] . وإن كان المكر منفيًا عنه ، جل جلاله .

وقال بعض أهل اللغة : معنى قوله : ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ . بل جازيتهم على عجبهم ، لأن اللّه ـ تعالى ـ أخبر عنهم في غير موضع بالتعجب من الحق ، فقال : ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾[٦] . وخبَّر عنهم ـ أيضا ـ أنهم قالوا للحق : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[٧] .

=أعلام النبلاء ٢/ ٤٦٧، والعبر ١/ ٦٢، والإصابة ٧/ ٢١، وشذرات الذهب ١/ ٦٤، الأعلام ٤/ ٢٤٠.

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٥١، رقم ١٧٤٠٩) ، والطبراني (١٧/ ٣٠٩، رقم ٨٥٣) ، وأبو يعلى (٣/ ٢٨٨، رقم ١٧٤٩) قال الهيثمي (١٠/٢٧٠) : إسناده حسن . وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٥٠، رقم ٥٧١) .

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٢٤، رقم ٢٠٥٤) ، وابن حبان (١٢/ ٩٥، رقم ٥٢٨٦) ، وفى الحديث أن رجلا جاء إلى رسول اللّه ﷺ فقال : إنى مجهود فأرسل إلى بعض نسائه فقالت : والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء . ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك : لا والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء . فقال : من يضيف هذا الليلة رحمه الله؟ فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسول اللّه . فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته : هل عندك شيء؟ قالت : لا إلا قوت صبيانى . قال : فعلليهم بشيء فإذا دخل ضيفنا فأطفئى السراج وأريه أنا نأكل فإذا أهوى ليأكل فقومى إلى السراج حتى تطفئيه فقعدوا وأكل الضيف فلما أصبح غدا على النبى ﷺ فذكره .

(٣) الحشر : ٩.

(٤) الصافات : ١٢.

(٥) الأنفال : ٣٠.

(٦) ص : ٤.

(٧) ص : ٥.

فقال : ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ . أي : بل جازيتهم على التعجب .

وقال شقيق[١] : قرأت عند شريح[٢] : ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ . فقال : إن الله ـ تعالى ـ لا يعجب من شيء ، إنما يعجب مَن لا يعلم . قال : فذكرت ذلك لإبراهيم[٣]؟ فقال : إن شريحا شاعر يعجبه علمه ، وعبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ أعلم منه ، وكان

---

(١) شقيق بن سلمة أبو وائل الأسدي الكوفي الإمام الكبير ، شيخ الكوفة ، أبو وائل الأسدي ؛ أسد خزيمة ، الكوفي ، مخضرم ، أدرك النبي ﷺ وما رآه . وحدث عن : عمر ، وعثمان ، وعلي ، وعمار ، ومعاذ ، وابن مسعود ، وأبي الدرداء ، وأبي موسى ، وحذيفة ، وعائشة ، وخباب ، وأسامة بن زيد ، والأشعث بن قيس ، وسلمان بن ربيعة ، وسهل بن حنيف ، وشيبة بن عثمان ، وعمرو بن الحارث المصطلقي ، وقيس بن أبي غرزة ، وأبي هريرة ، وأبي الهياج الأسدي ، وخلق سواهم . ويروي عن أقرانه : كمسروق ، وعلقمة ، وحمران بن أبان . وكان من أئمة الدين . وقيل : إنه روى عن أبي بكر الصديق . مات في زمن الحجاج ، بعد الجماجم . وقال خليفة : مات بعد الجماجم ، سنة اثنتين وثمانين .

ترجمته في : طبقات ابن سعد ٦/٩٦ و ١٨٠ ، طبقات خليفة ت ١١١٤ ، تاريخ البخاري ٤/ ٢٤٥ ، المعارف ٤٤٩ ، المعرفة والتاريخ ٢/ ٥٧٤ ، الجرح والتعديل القسم الأول من المجلد الثاني ٣٧١ ، الحلية ٤/ ١٠١ ، الاستيعاب ت ١٢٠١ ، تاريخ بغداد ٩/ ٢٦٨ ، أسد الغابة ٣/ ٣ ، تهذيب الأسماء واللغات القسم الأول من الجزء الأول ٢٤٧ ، وفيات الأعيان ٢/ ٤٧٦ ، تذكرة الحفاظ ١/ ٥٦ ، تاريخ الإسلام ٣/ ٢٥٥ ، غاية النهاية ت ١٤٢٩ ، الإصابة ٣٩٨٢ ، تهذيب التهذيب ٤/ ٣٦١ ، النجوم الزاهرة ١/ ٢٠١ ، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٢٠ ، خلاصة تذهيب التهذيب ١٦٧ ، تهذيب ابن عساكر ٦/ ٣٣٦.

(٢) هو الفقيه شريح بن الحارث بن قيس الكندى قاضى الكوفة ، تولى القضاء لعمر وعثمان وعلى ، ويقال : إنه من أولاد الفرس الذين كانوا باليمن ، ويقال : له صحبة ، ولم يصح ، وقيل : إنه استعفى من القضاء قبل موته بسنة ، وقد عاش مائة وعشر سنين ، وقيل غير ذلك ، مات سنة ثمان وسبعين ، وقيل : سنة ثمانين ، ترجمته عند ابن سعد : الطبقات الكبرى ٦/ ١٣١ ، ووكيع : أخبار القضاة ٢/ ١٨٩ ، والشيرازى : طبقات الفقهاء ص ٨٠ ، والذهبى : سير أعلام النبلاء ٤/ ١٠٠ .

(٣) النخعي (٤٦ ـ ٩٦هـ/٦٦٦ ـ ٨١٥م) هو : إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود ، أبوعمران النخعي ، من مذحج ، من أكابر التابعين صلاحا وصدق رواية وحفظا للحديث . من أهل الكوفة . مات مختفيا من الحجاج . قال فيه الصلاح الصفدي : فقيه العراق ، كان إماما مجتهدا له مذهب . ولما بلغ الشعبي موته قال : والله ما ترك بعده مثله

ترجمته في : طبقات ابن سعد ٦/ ٢٧٠ ، وطبقات خليفة ت ١١٤٠ ، وتاريخ البخاري ١/ ٣٣٣ ، والمعارف ٤٦٣ ، والمعرفة والتاريخ ٢/ ١٠٠ و ٦٠٤ ، والجرح والتعدل القسم الأول من المجلد الأول ١٤٤ ، والحلية ٤/ ٢١٩ ، وطبقات الفقهاء للشيرازي ٨٢ ، وتهذيب الأسماء واللغات القسم الأول من الجزء الأول ١٠٤ ، ووفيات الأعيان ١/ ٢٥ ، وتذكرة الحفاظ ١/ ٦٩ ، والعبر ١/ ١١٣ ، وشذرات الذهب ١/ ١١١ ، والأعلام ١/ ٨٠ .

يقرأ : (بل عجبتُ)[١] .

وقال بعض البصريين : من قرأ (بل عجبتُ) . بالضم ذهب إلى أن العجب لمحمد ، وفيه إضمار قول ، معناه : قل ـ يا محمد ـ : بل عجبتُ أنا من قدرة اللّٰه . فأضمر القول لدلالة الكلام عليه ، وأنشدنا ابن الأنباري لأبي النجم[٢] :

قد عَلِقَتْ أم الخِيَارِ تدَّعي   عليَّ ذنبا كله لم أَصْنَعِ
مِنْ أَنْ رأتْ رأسي كرأس الأقرعِ   ميزَ عنه قُنْزُعا عن قُنْزُعِ
مَرُّ الليالي أبطِئِي وأسرِعِي[٣]

أراد : مرُّ الليالي لا تبطئي وأسرعي .

وقد رُوي عن رسول اللّٰه ﷺ : «**عجب ربكم من أَلِّكُمْ وقنوطكم**»[٤] . ويروى : «**من أَزْلِكُمْ**»[٥] .

فمن روى : «**من أَلِّكُمْ**» . قال : من صياحتكم وضجيجكم ، يقال منه : أَلَّ يَئِلُّ أَلًّا وَأَلَلا وَأَلِيلا ؛ إذا صاح .

ومن روى : «**من أَزْلِكُمْ**» . فإن معناه : من الشدة والقحط .

---

(١) قال ابن جرير : اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الكوفة : (بل عجبت ويسخرون) بضم التاء من عجبت ، بمعنى : بل عظم عندي وكبر اتخاذهم لي شريكا ، وتكذيبهم تنزيلي وهم يسخرون . وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة (بل عجبت) بفتح التاء بمعنى : بل عجبت أنت يا محمد ويسخرون من هذا القرآن . والصواب من القول في ذلك أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . فإن قال قائل : وكيف يكون مصيبا القارئ بهما مع اختلاف معنييهما؟ قيل : إنهما وإن اختلف معنياهما فكل واحد من معنييه صحيح ، قد عجب محمد مما أعطاه اللّٰه من الفضل ، وسخر منه أهل الشرك باللّٰه ، وقد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في اللّٰه ، وسخر المشركون بما قالوه . تفسير الطبري ٢١/ ٢٣.

(٢) أبو النجم الراجز (٠٠٠ ـ ١٣٠هـ/٠٠٠ ـ ٧٤٧م) هو : الفضل بن قدامة العجلي ، أبو النجم ، من بني بكر بن وائل : من أكابر الرجاز ومن أحسن الناس إنشادا للشعر . نبغ في العصر الأموي ، وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان وولده هشام . قال أبو عمرو بن العلاء : كان ينزل سواد الكوفة ، وهو أبلغ من العجاج في النعت .
ترجمته في : معاهد التنصيص ١٨/١ والأغاني ١٥٠/١٠ وسمط اللآلي ٣٢٨ وخزانة الأدب ٤٩/١ و ٤٠٦ ومعجم الشعراء للمرزباني ٣١٠، والشعر والشعراء ٢٣٢.

(٣) هذا الرجز لأبي النجم العجليّ ، وأم الخيار زوجه ، وانظر الكتاب ١/ ٤٤، والخزانة ١/ ١٧٣، ومعاهد التنصص في الشاهدين ١٣، ٢٥، ومعاني القرآن للفراء ١/ ١٤٠.

(٤) أخرجه البغوي في شرح السنة ٣٦٥/١٤ (٤١٦٩) .

(٥) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى ٦٣/٧ (٥٩) .

باب بيان تأويل خبر آخر

روى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال فيما يحكي عن ربه تعالى : «**الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني في واحد منهما قذفتُهُ في النار ، ومن اقترب مني شبرا اقتربت منه ذراعا ، ومن اقترب مني ذراعا اقتربت منه باعا ، ومن ذكرني في نفسه ، ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ ، ذكرته في ملأ خير منه وأطيب ، ومن جاءني يمشي جئته أهرول ، ومن جاءني يهرول جئته سعيا**»[(١)] .

وروى أبو ذر الغفاري ﷺ عن رسول الله ﷺ أن الله تعالى يقول : «**من عمل سيئة فبمثلها أو أغفر ، ومن عمل حسنة فبعشر أمثالها أو أزيد ، ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ، ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة**»[(٢)] .

قوله ﷺ فيما يحكي عن ربه تعالى : «**الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري**» . أراد : أن الكبرياء صفة من صفاته ، وكذلك العظمة صفة من صفاته ، وأن ذلك له خاصة دون غيره ، فمن نازعه في ذلك بأن تكبر وتعظم على الناس ، أدخله الله النار ، وهذا كما تقول العرب : إن فلانا شعاره ودِثَارُهُ الزهد والورع . أي : صفته ونعته كذلك ، لا تريد به الشعار بعينه ولا الدِّثَار بعينه ، والعرب قد تعبر مرة بالرداء عن الدِّين ، ومرة بالرداء عن السيف ، ومرة بالرداء عن العطيَّة ؛ فيقولون : فلان غَمْر الرداء ؛ إذا كان واسع العطية ، وإن كان قصير الرداء بعينة ، ومرة يعبرون عن صفاته بالرداء ، فيقولون : رداء فلان وإزاره الفُسُوق والمُرُوق عن الطاعة ، أي : نعته وصفته ، أنشدنا ابن الأنباري لكثير عزة[(٣)] :

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤١٤، رقم ٩٣٤٨) ، وهناد في الزهد (٢/ ٤٢١، رقم ٨٢٥) ، وأبو داود (٤/ ٥٩، رقم ٤٠٩٠) ، وابن ماجه (٢/ ١٣٩٧، رقم ٤١٧٤) ، وابن حبان (١٢/ ٤٨٦، رقم ٥٦٧١) .

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٣٢١، رقم ١٨٩٢٠) ، وابن حبان (١٤/ ٤٥، رقم ٦١٧١) ، والطبراني (٤/ ٢٠٥، رقم ٤١٥١) ، وقال الهيثمي (١/ ٢١) : رجال أحمد رجال الصحيح إلا أنه قال عن الركين بن الربيع عن رجل عن خريم ، وقال الطبراني عن الركين بن الربيع عن أبيه عن عمه يسير بن عميلة ، ورجاله ثقات . والحاكم (٢/ ٩٦، رقم ٢٤٤٢) ، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٣٤) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٢، رقم ٤٢٦٩) . وأخرجه أيضًا : ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٨٠٧ رقم ١٣٥٠) وقال : لا يصح عن رسول الله ﷺ والمتهم به الركين .

(٣) كثير عزة (١٠٥هـ/٧٢٣م) هو : كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي ، أبو صخر : شاعر ، متيم=

غَمْرُ الرداء إذا تبسم ضاحكا غَلِقَتْ لضحكته رقابُ المالِ[١]

وقد يجعلون الرداء الحسن والنضارة إذا كان ذلك نعته وصفته ؛ كما قال القائل :

وهذا ردائي عنده يستعيره لِيَسْلُبَنِي نفسي أَمَالِ بْنَ حَنْظَلِ[٢]

يعني : يا مالك بن حنظل .

وأما قوله : «من تقرب مني شبرا ، تقربت منه ذراعا» . فإنه أخبر بسرعة إجابته لمن أطاعه وتقرب إليه ودعاه ، وأراد بالاقتراب : قرب المنزلة والحُظوة لديه ، لا قرب المسافة ، فكان هذا الكلام مثلا وتشبيها ، والمراد منه : من أتاني مسرعا بالطاعة أتيته بالثواب أسرع من إتيانه ، فكنى عن ذلك ، وهو كما تقول العرب : فلان موضعٌ في الضلال - والإيضاع : سيرٌ سريع - لا يراد به أنه يسير ذلك السير ، وإنما أراد به : أنه يسرع إلى الضلال . فكنى بالموضع عنه .

وكذلك قوله - سبحانه - : ﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾[٣] . فالسعي : الإسراع في المشي ، وليس يراد أنهم مَشَوا ، وإنما يراد أنهم أسرعوا بنياتهم وأعمالهم .

وقوله : «إذا ذكرني في نفسه ، ذكرته في نفسي» . ذكر اللّه - سبحانه - للعبد في نفسه ، أي : حيث لا يعلم ذلك أحد ، ولا يطَّلع عليه ؛ قال اللّه - سبحانه - : ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾[٤] . أي : تعلم ما أُجِنُّهُ وأستره ، ولا علمَ لي بما تستره عني وتغيِّبه .

=مشهور . من أهل المدينة . أكثر إقامته بمصر . وفد على عبد الملك بن مروان ، فازدرى منظره ، ولما عرف أدبه رفع مجلسه ، فاختص به وبيني مروان ، يعظمونه ويكرمونه . وكان مفرط القصر دميما ، في نفسه شمم وترفع . يقال له "ابن أبي جمعة" و"كثير عزة" و"الملحي" نسبة إلى بني مليح ، وهم قبيلته ، قال المرزباني : كان شاعر أهل الحجاز في الإسلام ، لا يقدمون عليه أحدا . وفي المؤرخين من يذكر أنه من غلاة الشيعة ، وينسبون إليه القول بالتناسخ ، قيل : كان يرى أنه "يونس ابن متى" أخباره مع عزة بنت حميل الضمرية كثيرة . وكان عفيفا في حبه قيل له : هل نلت من عزة شيئا طول مدتك ؟ فقال : لا واللّه ، إنما كنت إذا اشتد بي الأمر أخذت يدها فإذا وضعتها على جبيني وجدت لذلك راحة . توفي بالمدينة .

ترجمته في : الأعلام ٥/ ٢١٩.

(١) البيت في المعاني الكبير ١/ ٤٨٠، الاختيارين ، ص٧، أمالي القالي ٢/ ٢٩١، ديوان المعاني ١/ ٥٨.

(٢) البيت في المعاني الكبير ١/ ٤٨٢، وسمط اللآلي ١/ ٩٣٥.

(٣) سبأ : ٣٨.

(٤) المائدة : ١١٦.

والنفس ـ في كلام العرب ـ على وجوه :

* **منها** : نفس منفوسة مجسمة مروَّحة .

* **ومنها** : جسم مجسمة غير مروحة ، تعالى اللّٰه عن ذلك علوًّا كبيرا!!

* **ومنها** : نفس بمعنى إثبات الذات ، كما تقول في الكلام : هذا نفس الأمر ، تريد به إثبات الأمر ، لا أن له نفسا منفوسة ، وقد قيل في قوله تعالى : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾[1] . أي : عقوبته . وقد قيل : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ . أي : إياه ـ كما تقول : أنا أحذركم نفسي ـ إذْ كانت بطشته عظيمة وعقوبته شديدة .

وقد يكون النفس بمعنى الغيب ، كقوله تعالى : ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي﴾ . أي : ما في غيبي ، ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ . أي : ما في غيبك .

* * *

(١) آل عمران : ٢٨.

باب بيان تأويل خبر آخر

أبو رافع[١] ، عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **«يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ يوم القيامة : يا ابن آدم ، مرضت فَلَمْ تَعُدْنِي . فيقول : أي ربِّ ، وكيف أعودك وأنت رب العالمين؟! فيقول : أَمَا علمتَ أن عبدي فلانا مَرِضَ فلم تَعُدْهُ؟ أما علمت أنك لو عُدْتَهُ لوجدتَني عنده؟ ويقول : يا ابن آدم ، واستسقيتك فلم تَسْقِنِي . فيقول : أي رب ، وكيف أسقيك ، وأنت رب العالمين؟! فيقول : أما علمتَ أن عبدي فلانا استسقاك فلم تَسْقِهِ؟ أما علمت أنك لو سقيتَهُ لوجدتني عنده؟! قال : ويقول : يا ابن آدم ، استطعمتك فلم تُطْعِمْنِي . فيقول : أي رب ، وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ فيقول : أما علمتَ أن عبدي فلانا استطعمك فلم تُطْعِمْهُ؟ أما إنك لو أطعمتَهُ لوجدتَ ذلك عندي»**[٢] .

قوله : **«مرضت فلم تعدني»** .: قد فسره النبي ﷺ بقوله : **«مرض عبدي فلان فلم تعده»** . هذا نظير قوله ـ سبحانه ـ : ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[٣] . أي : يحاربون عباد الله .

ومثله قوله : **«من بارز وليًا بالمحاربة بارزني»**[٤] .

وأما قوله : **«وجدتني عنده»** . أي : وجدت رحمتي وثوابي عنده ، وهذا كما تقول العرب : أينما أتوجه أجدِ الخليفة فيه . أي : مملكته وسلطانه فيه ، لا أنه بذاته موجود فيه .

---

(١) أبو رافع الصائغ المدني ثم البصري نفيع ، من أئمة التابعين ، وهو مولى آل عمر . حدث عن : عمر ، وأبي بن كعب ، وأبي موسى ، وأبي هريرة ، وكعب الأحبار ، وجماعة سواهم . روى عنه : الحسن البصري ، وبكر بن عبد الله المزني ، وثابت ، وقتادة ، وعلي بن زيد بن جدعان ، وعطاء بن أبي ميمونة ، وخلق سواهم . وثقه : أحمد العجلي ، وغيره . وقال أبو حاتم : ليس به بأس . وقال ثابت البناني : لما أعتق أبو رافع ، بكى ، وقال : كان لي أجران ، فذهب أحدهما . وكان من أئمة التابعين الأولين ، ومن نظراء أبي العالية وبابته . توفي : سنة نيف وتسعين .
ترجمته في : طبقات ابن سعد ٧/ ١٢٢ ، طبقات خليفة ت ٢٠١٣ ، الجرح والتعديل القسم الأول من المجلد الرابع ٤٨٩ ، الاستيعاب ت ٢٩٤٧ ، أسد الغابة ٥/ ١٩١ ، تهذيب الأسماء واللغات القسم الأول من الجزء الثاني ٢٣٠ . تاريخ الإسلام ٤/ ٧٤ ، تذكرة الحفاظ ١/ ٦٥ ، تذهيب التهذيب ٤/ ١٠٤ ، الإصابة ـ كنى ت ٤٣٢ ، تهذيب التهذيب ٤٠٤ .

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٠ ، رقم ٢٥٦٩) ، وابن حبان (١/ ٥٠٣ ، رقم ٢٦٩) .

(٣) المائدة : ٣٣ .

(٤) أخرجه الطبراني (٨/ ٢٢١ ، رقم ٧٨٨٠) . قال الهيثمي (٢/ ٢٤٨) : فيه علي بن يزيد وهو ضعيف .

باب بيان تأويل خبر آخر

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : **«دون اللّه سبعون ألفَ حجابٍ من نورٍ وظلمة ، وما يسمع من نفس شيئا من حِسّ تلك الحُجُبِ إلا زَهَقَتْ نَفْسُهَا»**[١] .

قوله : «**دون اللّه سبعون ألف حجاب**» . معناه : دون اللّه سبعون ألف حجاب لغيره من خلقه ، لا له ـ جل جلاله ـ فالخلق عنه محجوبون ، لا ربُّ العالمين ؛ لأن المحجوب يكون محدودا محصورا ، تعالى اللّه عن ذلك!!

وإذا حملت معنى الحديث على هذا المعنى ، وجعلت غيره محتجبا بهذه الحجب ـ لم يكن في روايته تشبيه ، والحمد للّه وحده .

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه أبو يعلى (١٣/ ٥٢٠، رقم ٧٥٢٥) ، والعقيلي (٣/ ١٥٢، ترجمة ١١٣٨ عمر بن الحكم بن ثوبان) ، والطبراني (٦/ ١٤٨، رقم ٥٨٠٢) . قال الهيثمي (٧٩/١) : فيه موسى بن عبيدة لا يحتج به . وأخرجه أيضًا : ابن أبي عاصم (٢/ ٣٦٦، رقم ٧٨٨) ، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٦٦٧، رقم ٢٦٣) .

باب بيان تأويل خبر آخر

أنس بن مالك[١] ـ رضي الله عنهما ـ عن رسول اللّه ﷺ أنه قال : **«إن اللّه ـ تعالى ـ يستحيي إذا رفع العبد يديه إليه أن يردهما صفرا من غير شيء»**[٢] .

معنى قوله : **«يستحيي»** . أي : يترك ، لأن الحياء سبب للترك ، ألا ترى أن المعصية قد تترك للحياء ، كما تترك للإيمان ، فمراده بهذا القول : أن اللّه ـ تعالى ـ لا يترك يدي العبد صفرا إذا رفع العبد يديه إليه ، ولا يُخَلِّيهما من خير ، لا على معنى الاستحياء الذي يَعْرِضُ للمخلوقين ، تعالى اللّه عن ذلك علوًّا كبيرا!!

* * *

(١) هو : أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري ، أبو ثمامة أو أبو حمزة : صاحب رسول اللّه ﷺ وخادمه .روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثا . مولده بالمدينة وأسلم صغيرا وخدم النبي ﷺ إلى أن قبض .ثم رحل إلى دمشق ، ومنها إلى البصرة ، فمات فيها . وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة .

ترجمته في : طبقات ابن سعد ١٧/٧، طبقات خليفة (٥٧٥، ١٤٥٥) ، المحبر ٣٠١، ٣٤٤، ٣٧٩، التاريخ الكبير ٢/ ٢٧، التاريخ الصغير ١/ ٢٠٩، الاستيعاب ١/ ١٠٨، أسد الغابة ١/ ١٥١، سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٩٦.

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٢٥١، رقم ٣٢٥٠) من حديث أنس .

وأخرجه أحمد (٥/ ٤٣٨، رقم ٢٣٧٦٥) ، والترمذي (٥/ ٥٥٦، رقم ٣٥٥٦) وقال : حسن غريب .

والحاكم (١/ ٧١٨، رقم ١٩٦٢) وقال : صحيح على شرط الشيخين . والبيهقى (٢/ ٢١١، رقم ٢٩٦٥) .

وأخرجه أيضًا : أبو داود (٢/ ٧٨، رقم ١٤٨٨) ، وابن حبان (٣/ ١٦٠، رقم ٨٧٦) من حديث سلمان المرفوع .

وأخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٧٢، رقم ٢٩٥٥٥) من حديث سلمان الموقوف .

أخرجه الطبراني (١٢/ ٣٢٣، رقم ١٣٥٥٧) قال الهيثمي (١٠/ ١٦٩) : فيه الجارود بن يزيد وهو متروك .

وأخرجه أيضًا : الديلمي (١/ ٢٢١، رقم ٨٤٧) ، وابن عدي (٢/ ١٧٣، ترجمة ٣٦١ الجارود بن يزيد) عن ابن عمر .

باب بيان تأويل خبر آخر

يعلى بن منية(١) رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الله ـ تعالى ـ حييٌّ سَتِيرٌ، فإذا أراد أحدكم أن يغتسل فليتوارَ بشيء**»(٢).

قوله: «حيي». قد تقدم تأويله.

ومعنى قوله: «ستير». أي: ساتر، يستر على عباده كثيرا، ولا يفضحهم في المشاهد، و«ستير». بمعنى ساتر، كما جاء قدير بمعنى قادر، وعليم بمعنى عالم.

وإذا حُمل معنى الخبر على ما ذكرنا، صح المراد منه، وزال التشبيه والحمد لله وحده.

* * *

(١) هو يعلى بن أمية التميمي، ويقال: ابن منية. وهي أمه، وينسب حينًا إلى أبيه وحينًا إلى أمه، أسلم يوم الفتح وشهد حنينًا والطائف وتبوك، وكان معروفًا بالسخاء، قُتل سنة ثمان وثلاثين بصفين مع علي بعد أن شهد الجمل مع عائشة، وهو صاحب الجمل، أعطاه عائشة وكان الجمل يسمى عسكرا. ترجمته عند ابن قانع: معجم الصحابة ٣/ ٢١٩، وابن عبد البر: الاستيعاب ٤/ ١٥٨٥.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٢٤، رقم ١٧٩٩٩)، وأبو داود (٤/ ٣٩، رقم ٤٠١٢)، والنسائي (١/ ٢٠٠، رقم ٤٠٦). وأخرجه أيضًا: البيهقي (١/ ١٩٨، رقم ٩٠٨).

باب بيان تأويل خبر آخر

قتادة عن أنس وابن سيرين[١]، عن أبي هريرة ﵁ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لن تمتلئَ جهنم حتى يضع الجبار فيها قَدَمَهُ، فتقول: قَطْ قَطْ**[٢]»[٣].

اعلم ـ علمك الله الخير برحمته ـ: أن بعض أهل النظر زعم أن القدم ـ ههنا ـ: من تَقَدَّمَ وَسَلَفَ من أهل الكفر والإلحاد دون قدم جارحةٍ، إذِ القديم لا يوصف بالجوارح، لقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[٤]. وكل سابق في خير أو شر، فهو قَدَمٌ عند العرب، قال الله تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[٥]. أي: سابقة صدق. ويقال: لفلان قدمٌ في الإسلام، وقدمٌ في الجاهلية. أي: سابقة وشرف. وقال ابن الأعرابي: القدم: المتقدِّم في الشرف. والقَدَمُ: القديم ولو لم يكن فيه شرف، وقال

---

(١) ابن سيرين (٣٣ ـ ١١٠هـ/٦٥٣ ـ ٧٢٩م) هو: محمد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء، أبو بكر: إمام وقته في علوم الدين بالبصرة. تابعي. من أشراف الكتاب. مولده ووفاته في البصرة. نشأ بزازا، في أذنه صمم. وتفقه وروى الحديث، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا. واستكتبه أنس بن مالك، بفارس. وكان أبوه مولى لأنس. ينسب له كتاب (تعبير الرؤيا) ذكره ابن النديم، وهو غير (منتخب الكلام في تفسير الأحلام) المطبوع، المنسوب إليه أيضا، وليس له.

ترجمته في: طبقات ابن سعد ٧/ ١٩٣، الزهد لاحمد ٣٠٦، طبقات خليفة ت ١٧٢٨، تاريخ البخاري ١/ ٩٠، المعارف ٤٤٢، المعرفة والتاريخ ٢/ ٥٤، ذيل المذيل ٦٤٠، الجرح والتعديل القسم الثاني من المجلد الثالث ٢٨٠، الحلية ٢/ ٢٦٣، تاريخ بغداد ٥/ ٣٣١، طبقات الفقهاء للشيرازي ٨٨، تاريخ دمشق ١٥/ ٢١٠ آ، تهذيب الأسماء واللغات القسم الأول من الجزء الأول ٨٢، وفيات الأعيان ٤/ ١٨١، تاريخ الإسلام ٤/ ١٩٢، تذكرة الحفاظ ١/ ٧٣، العبر ١/ ١٣٥، مرآة الجنان ١/ ٢٣٢، البداية والنهاية ٩/٢٦٧ و ٢٧٤، غاية النهاية ت ٣٠٥٧، تهذيب التهذيب ٩/ ٢١٤، النجوم الزاهرة ١/ ٢٦٨، طبقات الفقهاء للسيوطي ٣١، شذرات الذهب ١/ ١٣٨.

(٢) أي حسبك حسبك.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣١٤، رقم ٨١٤٩)، والبخاري (٤/ ١٨٣٦، رقم ٤٥٦٩)، ومسلم (٤/ ٢١٨٧، رقم ٢٨٤٦)، والنسائي في الكبرى (٤/ ٤١٤، رقم ٧٧٤٠)، وابن حبان (١٦/ ٤٨٢، رقم ٧٤٤٧)، والدارقطني في الصفات (١/ ١٥ رقم ٩).

(٤) الشورى: ١١.

(٥) يونس: ٢.

وضّاح اليمن[١] :

صَلِّ لربك واتَّخِذْ قدما يُنْجِيكَ يومَ العِثَارِ والزَّلَلِ[٢]

وقال آخر[٣] :

قَعَدَتْ به قدم الفَخَار فَغُودِرَتْ أَنْسَابُهُ مُنْقَضَّةً من حَالِقِ

أراد : ما تقدم له من شرفه .

وزعم النضر بن شميل[٤] ـ رحمه اللَّه ـ أن معنى قول النبي ﷺ : **«حتى يضع الجبار فيها قدمه»** . أي : من سبق في علمه أنه من أهل النار .

---

(١) وَضَّاح اليَمَن (نحو ٩٠هـ/نحو ٧٠٨م) هو : عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال ، من آل خولان ، من حمير : شاعر ، رقيق الغزل ، عجيب النسيب . كان جميل الطلعة يتقنع في المواسم . له أخبار مع عشيقة له اسمها (روضة) من أهل اليمن . قدم مكة حاجا في خلافة الوليد ابن عبد الملك ، فرأى (أم البنين) بنت عبد العزيز بن مروان ، زوجة الوليد ، فتغزل بها ، فقتله الوليد . وهو صاحب الأبيات التي منها : (قالت : ألا لا تلجن دارنا إن أبانا رجل غائر) وفي المؤرخين من يسميه عبد اللَّه بن إسماعيل .

ترجمته في : الأغاني ٦/٣٠ ـ ٤٤ وفوات الوفيات ١/٢٥٣ والنجوم الزاهرة ١/٢٢٦ وهو فيه (من الأنبار) والصواب (من الأبناء) وتهذيب ابن عساكر ٧/٢٩٥ والتبريزي ٢/٩٦ وسماه (وضاح بن إسماعيل) وتبعه العيني ٢/٢١٦ وقال : (كان من الأبناء ، أبناء الفرس الذين بصنعاء ، وأمه من حمير) .

(٢) البيت في عيون الأخبار ٢/ ٤٠٤.

(٣) انظر البيت في مشكل الحديث وبيانه لابن فورك ، ص ١٢٧.

(٤) النَّضْر بن شُمَيْل (١٢٢ ـ ٢٠٣هـ/٧٤٠ ـ ٨١٩م) هو : النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد المازني التميمي ، أبو الحسن : أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث وفقه اللغة . ولد بمرو (من بلاد خراسان) وانتقل إلى البصرة مع أبيه (سنة ١٢٨) وأصله منها ، فأقام زمنا . وعاد إلى مرو فولي قضاءها . واتصل بالمأمون العباسي فأكرمه وقربه . وتوفي بمرو . من كتبه "الصفات" كبير ، في صفات الإنسان والبيوت والجبال والإبل والغنم والطير والكواكب والزروع ، و "كتاب السلاح" و "المعاني" و "غريب الحديث" و "الأنواء"

ترجمته في : طبقات ابن سعد : ٧/ ٣٧٣، طبقات خليفة : ت ٣١٤٥، التاريخ الكبير ٨/ ٩٠، التاريخ الصغير ٢/ ٣٠٢، المعارف : ٥٤٢، الجرح والتعديل ٨/ ٤٧٧، مراتب النحويين ، ص ٦٦، طبقات النحويين واللغويين ، ص٥٣ ـ ٥٤، الفهرست لابن النديم ، ص ٢٢٦، جهرة الأنساب ، ص ٢١١، إنباه الرواة ٣/ ٣٤٨، نزهة الألباء ، ص ٨٥، معجم الأدباء ١٩/ ٢٣٨، وفيات الأعيان ٥/ ٣٩٧، تذهيب التهذيب ٤/ ٩٥، العبر ١/ ٣٤٢، ميزان الاعتدال ٤/ ٢٥٨، تذكرة الحفاظ ١/ ٣١٤، الكاشف ٣/ ٢٠٣، دول الإسلام ١/ ١٢٧، البداية والنهاية ١٠/ ٢٥٥، طبقات القراء لابن الجوزي ٢/ ٣٤١، تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٣٧، طبقات الحفاظ ، ص ١٣١، بغية الوعاة ٢/ ٣١٦، خلاصة تذهيب الكمال ، ص ٤٠١، شذرات الذهب ٢/ ٧ الرسالة المستطرفة ، ص ٤١.

فإذا احْتَمَلَ القدمُ الذي وصفناه ، لم يكن لأُحد أن يحمِلَهُ على ما يوجب التشبيه والجِسْمِيَّة ، تعالى اللّٰه عن ذلك علوًّا كبيرا!!

❋ ❋ ❋

باب بيان تأويل خبر آخر

حماد بن سلمة[١]، عن أبي المهزّم[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، ممَّ ربنا؟ فقال: «**من ماء رواء، لا من أرض ولا من سماء، خَلَقَ خَيْلًا فأجراها فَعَرِقَتْ، فَخَلَقَ نفسه من عَرَقِهَا**»[٣].

إن هذا الحديث واهٍ ضعيفٌ من جهة السند؛ لأن أبا المهزم هذا في غاية الركاكة والضعف عند أهل المعرفة بالحديث، وكما أنه ضعيف فلم يمر بنا شيء من الأخبار - ولا يمر أيضا - أمحل من هذا الحديث، ولا أنقص منه، إذا كان محمولا على ظاهره، لخروجه عن عقل كل عاقل، بأن يكون الخالق للأشياء كلها، يخلق خلقا، ثم يُحدث من ذلك الخلق شيئا تكون نفسه منه.

---

(١) حمَّاد بن سَلَمَة (١٦٧هـ/٧٨٤م) هو: حماد بن سلمة بن دينار البصري الرّبعي بالولاء، أبو سملة، مفتي البصرة، وأحد رجال الحديث، ومن النحاة. كان حافظا ثقة مأمونا، إلّا أنه لما كبر ساء حفظه فتركه البخاريّ، وأما مسلم فاجتهد وأخذ من حديثه بعض ما سمع منه قبل تغيره. ونقل الذهبي: كان حماد إماما في العربية، فقيها، فصيحا مفوها، شديدا على المبتدعة، له تآليف. وقال ابن ناصر الدين: هو أول من صنف التصانيف المرضية.

ترجمته في: طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٢، طبقات خليفة، ص ٢٢٣، تاريخ خليفة، ص ٤٣٩، التاريخ الكبير ٢٢/٣ - ٢٣، التاريخ الصغير ٢/ ١٦٨، المعارف، ص ٥٠٣، المعرفة والتاريخ ١٩٣/٢ - ٢٠٤، الجرح والتعديل ١٤٠/٣ - ١٤٢، مشاهير علماء الأمصار، ص ١٥٧، طبقات النحويين للزبيدي، ص ٥١، حلية الأولياء ٢٤٩/٦ - ٢٥٧، الفهرست: المقالة السادسة الفن السادس، معجم الأدباء ٢٥٤/١٠ - ٢٥٨، إنباه الرواة، ص٣٢٩/١ - ٣٣٠، تذكرة الحفاظ ٢٠٢/١ - ٢٠٣، ميزان الاعتدال ٥٩٠/١ - ٥٩٥، عبر الذهبي ٢٤٨/١ - ٢٤٩، البلغة في تاريخ أئمة اللغة، ص ٧٣، طبقات القراء لابن الجزري ١/ ٢٥٨، تهذيب التهذيب ١١/٣ - ١٦، طبقات الحفاظ، ص٨٧ - ٨٨، بغية الوعاة ٥٤٨/١ - ٥٤٩، خلاصة تذهيب الكمال، ص ٩٢، شذرات الذهب ١/ ٢٦٢.

(٢) أبو المهزم يزيد بن سفيان، متفق على ضعفه، انظر ميزان الاعتدال ٤/ ٤٢٦.

(٣) الذي فيه أنه خلق خيلًا فأجراها فعرقت، فخلق نفسه من ذلك العرق. وقد كذبه بعض الناس على أصحاب حمّاد بن سلمة، قالوا: إنه كذبه بعض أهل البدع، واتهموا بوضعه محمد بن شجاع الثلجي، وقالوا: إنه وضعه ورمى به بعض أهل الحديث، ليقال عنهم: إنهم يروون مثل هذا، وهو الذي يقال في متنه: «إنه خلق خيلًا فأجراها، فعرقت، فخلق نفسه من ذلك العرق» تعالى الله عن فرية المفترين وإلحاد الملحدين، وهو حديث موضوع كما نبه إليه شيخ الإسلام، وانظر: الموضوعات لابن الجوزي (١٠٥/١)، واللآلئ المصنوعة للسيوطي (٣/١).

إن هذا لفي غاية من التخليط والتناقض .

وأكثر ما يمكن أن يقال في تأويله[١] : إن السائل سأل : مم خُلق ربنا؟ يريد به الرب الذي كان يعبده في جاهليته وأيام كفره ، وقد كانوا يسمون ذلك ربًّا على الاسم الأول الكائن عندهم ، وإن لم يكن ربًّا في الحقيقة ، كما قال تعالى : ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾[٢] . ونحن نعلم أن لا إله إلا هو ، كما قال النبي ﷺ : «**لعن الله المحلِّل والمحلَّل له**»[٣] . أي : لعن الله المحلِّل عند نفسه ، والمحلَّل له عند نفسه ؛ لأنه لو كان محللا في الحقيقة ، لما كان لعينا ، وكذلك ما روي في الخبر : «**إن الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا**»[٤] . والصلح الذي يحرم الحلال ، ويحلل الحرام لا يكون صلحا ، ولكن سماه بذلك على ما عند المصالح من كونه صلحا .

فإذا صح ذلك ، وثبت أنه أراد به هذا الذي كان يعبده في جاهليته وأيام كفره ـ قال له رسول الله ﷺ مجيبا له : «**إن ذلك خَلَقَهُ من عَرَقِ خَيْلٍ أجراها ربُّ العالمين فخلق نفسه**» . أي : فخلق نفس ذلك المعبود الذي كانوا يعبدونه في جاهليتهم ، لا نفس القديم .

---

(١) تأويل المصنف لهذا الحديث يتناقض مع منهجه الذي أعلنه في بداية الكتاب من أنه لا ينشغل بمثل هذه الأخبار ، وأنه فقط سيتجه إلى تأويل الصحيح الثابت ..

(٢) طه : ٩٧.

(٣) من حديث جابر : أخرجه الترمذي (٣/ ٤٢٧، رقم ١١١٩) وقال : ليس إسناده بالقائم لأن مجالد بن سعيد قر ضعفه بعض أهل العلم منهم أحمد بن حنبل .

ومن حديث علي بن أبى طالب : أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٢٩٢، رقم ٣٦١٩٣) ، وأحمد (١/ ٨٧، رقم ٦٦٠) ، وأبو داود (٢/ ٢٢٧، رقم ٢٠٧٦) ، والترمذي (٣/ ٤٢٧، رقم ١١١٩) ، وابن ماجه (١/ ٦٢٢، رقم ١٩٣٥) ، والبيهقي (٧/ ٢٠٨، رقم ١٣٩٦٢) .

ومن حديث عبد الله بن مسعود : أخرجه أحمد (١/ ٤٤٨، رقم ٤٢٨٣) ، وابن أبي شيبة (٧/ ٢٩٢، رقم ٣٦١٩٠) ، والترمذي (٣/ ٤٢٨، رقم ١١٢٠) ، وقال : حسن صحيح . والنسائي (٣/ ٣٢٥، رقم ٥٥٣٦) ، والبيهقي (٧/ ٢٠٨، رقم ١٣٩٦٣) .

(٤) من حديث أبي هريرة : أخرجه أبو داود (٣/ ٣٠٤، رقم ٣٥٩٤) ، والحاكم (٤/ ١١٣، رقم ٧٠٥٨) ، والبيهقي (٦/ ٦٤، رقم ١١١٣٢) ، والديلمي (٢/ ٤١٨، رقم ٣٨٥٦) .

ومن حديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده : أخرجه الترمذي (٣/ ٦٣٤، رقم ١٣٥٢) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (٢/ ٧٨٨، رقم ٢٣٥٣) ، والبيهقي (٦/ ٦٥، رقم ١١١٣٤) ، والحاكم (٤/ ١١٣، رقم ٧٠٥٩) .

وقد قيل ـ أيضا ـ في تفسيره : إن هذا السائل سأله عن أهواء العباد التي يتبعونها ويطيعونها فما دعاهم إليه الهوى ، انقادوا له ، فصار لهم بذلك الانقياد ربًّا ، لطاعتهم إياه ، وقد جاء الحديث في تفسير قوله : ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾(١) . «**أما إنهم لم يصوموا ، ولم يصلوا لهم ، ولكن كانوا إذا حَرَّمُوا عليهم شيئا أحلَّه اللَّه ، حرَّموه ، وإذا أَحَلُّوا لهم شيئا حَرَّمَهُ اللَّه عليهم ، استَحَلُّوه ، فكانت تلك رُبُوبِيَّتَهُمْ**»(٢) . فثبت أن كل مطاع يسمى ربًّا ، فسألوا : مِمَّ ربنا ـ يريدون بذلك : هذه الأهواء والشهوات التي كانت تدعوهم إلى معصية اللَّه ، سبحانه؟ فقال النبي ﷺ : «**إن اللَّه أجرى خيلا فخلق نفسه من ذلك العَرَق**» . أي : خلق نفس هذه الأهواء من عرق ، لا نفسَهُ .

وهذا أكثر ما يمكن أن يقال في تأويله ، وأنا أبرأ إلى اللَّه ـ سبحانه ـ من عُهْدَتِهِ ، وأنزهه بكل حال من التشبيه ، وإضافتِهِ إلى ما لا يليق به من الأمور ، تعالى اللَّه عن ذلك علوًّا كبيرا!!

* * *

(١) التوبة : ٣١.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥) بنحوه .

باب بيان تأويل خبر آخر

أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : **«أن الله ـ سبحانه ـ قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بألفي عام ، فلما سمعت الملائكة ذلك قالت : طوبى لأمة ينزل عليها ، وطوبى لأجواف تحمل هذا ، وطوبى لألسن تَكَلَّمُ بها»**(١) .

قوله : «قرأ» . يراد به : تكلَّم به ، وهذا قريب من استعارة الكلام ، ألا تراهم يقولون : ذقت هذا الأمر . ومن هذا المعنى قوله سبحانه : ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾(٢) . أي : قابلها الله بذلك ؛ لأن الخوف لا يجوز ذواقه في الحقيقة ، وقال الشاعر في مثله(٣) :

فذوقوا كما ذقنا غداة ... ...

* * *

---

(١) أخرجه الدارمي (٢/ ٥٤٧، رقم ٣٤١٤) ، وابن أبي عاصم (١/ ٢٦٩، رقم ٦٠٧) ، وابن خزيمة في التوحيد (ص ٢٣٦) ، والعقيلي (١/ ٦٦، ترجمة ٦٥ إبراهيم بن المهاجر بن مسمار) وقال قال البخاري : منكر الحديث . والطبراني في الأوسط (٥/ ١٣٣، رقم ٤٨٧٦) قال الهيثمي (٥٦/٧) : فيه إبراهيم بن مهاجر بن مسمار ، وضعفه البخاري بهذا الحديث ، ووثقه ابن معين . وابن عدي (١/ ٢١٦، ترجمة ٦٠ إبراهيم بن مهاجر بن مسمار) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٧٦، رقم ٢٤٥٠) ، وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١٥٥، رقم ٢٣٨) . وأورده ابن حبان في الضعفاء (١/ ١٠٨، ترجمة ١٨ إبراهيم بن مهاجر) وقال : هذا المتن موضوع . والديلمى (١/ ١٦٢، رقم ٦٠١) ، والرافعى (٤٧٥/٢) ، والذهبي فى السير (٦٩١/١٠) وقال : منكر فابن مهاجر وشيخه ضعيفان .

(٢) النحل : ١١٢.

(٣) جزء من شطر بيت للطفيل الغنوي ، تمامه :

فذوقوا كما ذقنا غداة محجر   من الغيظ في أكبادنا والتحوب

محجر (كمعظم ومحدث) : اسم موضع ، وفى الديوان : في أجوافنا . لسان العرب : ١/ ٣٣٩.

باب بيان تأويل خبر آخر

عن المَقْبُرِي[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«لما خلق الله آدم، ونفخ فيه من روحه، ولم يخلق بيده شيئا غير آدم عَطَسَ آدم فَأَذِنَ الله له، فشكر الله، فقال: يرحمك ربك. فسبقت له من ربه رحمة، فقال: يا آدم، اذهب إلى الملأ من الملائكة، فقل: السلام عليكم. فقال لهم ذلك، فقالوا: وعليكم السلام ورحمة الله. ثم رجع إلى ربه، فقال له: هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم، فقبض له رب العزة كفيه، فقال: يا آدم، خذ أيتهما شئت. فقال: أخذتُ يمين ربي وكلتا يديه يمين. ففتحها، فإذا فيها صورة آدم وذريته ومن أخذ عليهم الميثاق ممن هو كائن، وإذا عند كل إنسان منهم عمره بالغا ما بلغ، وإن لم يكن إلا ساعة واحدة»**[٢].

قوله: **«نفخ فيه من روحه، ولم يخلق بيده شيئا غيره»**. قد سلف لتأويلنا لذلك ما أغنى عن تكرير ذكره.

قوله: **«فقبض له رب العزة كفيه»**. يريد - والله أعلم -: بـ **«كفيه»**. نعمتيه؛ نعمة الطاعة ونعمة التلذذ للدنيا، فاختار آدم - عليه السلام - يمين ربه، أي: النعمة التي هي

---

(١) سعيد المقبري أبو سعد بن كيسان الإمام، المحدث، الثقة، أبو سعد سعيد بن أبي سعيد كيسان الليثي مولاهم، المدني، المقبري. كان يسكن بمقبرة البقيع. حدث عن: أبيه. وعن: عائشة، وأبي هريرة، وسعد بن أبي وقاص، وأم سلمة، وابن عمر، وأبي شريح الخزاعي، وأبي سعيد الخدري، وعدة. وكان من أوعية الحديث. حدث عنه: أولاده؛ عبد الله وسعد، وابن أبي ذئب، وإسماعيل بن أمية، وزيد بن أبي أنيسة، وعبيد الله بن عمر، ومالك بن أنس، وإبراهيم بن طهمان، والليث بن سعد، وخلق سواهم. وحديثه مخرج في الصحاح. قال أبو حاتم: صدوق. وقال عبد الرحمن بن حراش: ثقة، جليل، وأثبت الناس فيه الليث. وقال ابن سعد: ثقة توفي: سنة خمس وعشرين ومائة. وقيل: توفي سنة ثلاث وعشرين. وقيل: سنة ست وعشرين، وكان من أبناء التسعين.

ترجمته في: التاريخ الكبير ٣/ ٤٧٤، التاريخ الصغير ١/ ٢٨٢، الجرح والتعديل ٤/ ٥٧، اللباب ٣/ ٢٤٦، تهذيب الكمال: ٤٩٣، تذهيب التهذيب ٢/ ٢٠/ ١، تاريخ الإسلام ٥/ ٨٠، تذكرة الحفاظ ١/ ١١٦، ميزان الاعتدال ٢/ ١٣٩، تهذيب التهذيب ٤/ ٣٨، خلاصة تذهيب الكمال: ١٣٨، شذرات الذهب ١/ ١٦٣.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣١٥، رقم ٨١٥٦)، والبخاري (٥/ ٢٢٩٩، رقم ٥٨٧٣)، ومسلم (٤/ ٢١٨٣، رقم ٢٨٤١). وأخرجه أيضًا: البخاري في الأدب المفرد (١/ ٣٣٩، رقم ٩٧٨)، وابن حبان (١٤/ ٣٣، رقم ٦١٦٢)، وأبو يعلى (١١/ ٤٥٣، رقم ٦٥٨٠)، وابن عساكر (٧/ ٣٩٣).

طاعة دون غيرها ، أي : دون الباطل ، وكان أمر الدنيا عنده باطلا ولعبا ولهوا ، فلم يرده .

ومما يصدق ما قلنا ما روى حبيب بن أبي ثابت[1] ، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : «**إن الله ـ تعالى ـ مسح ظهر آدم ، فأخرج في يمينه كل طيب ، وأخرج في الأخرى كل خبيث**»[2] . فدل هذا على أن اليمين يقع على الطيب ، والخبيث يقع على كل ما سوى ذلك .

فإن قيل : فما تقول فيما روى حماد بن سلمة ، عن سليمان التيمي[3] ، عن أبي

---

(١) حبيب بن أبي ثابت أبو يحيى القرشي الإمام ، الحافظ ، فقيه الكوفة ، أبو يحيى القرشي ، الأسدي مولاهم . واسم أبيه : قيس بن دينار ، وقيل : قيس بن هند ، ويقال : هند . مات حبيب سنة اثنتين وعشرين ومائة ، في ولاية يوسف بن عمر .

ترجمته في : طبقات ابن سعد ٦/ ٣٢٠، طبقات خليفة ، ص ١٥٩، التاريخ الكبير ٢/ ٣٢٣، تاريخ الفسوي ٢/ ٢٠٤، الجرح والتعديل ٣/ ١٠٧، طبقات الشيرازي ، ص ٨٣، تذهيب التهذيب ١/١١٨/ ٢، تاريخ الإسلام ٤/ ٢٤٠، تذكرة الحفاظ ١/ ١١٦، العبر ١/ ١٥٠، تهذيب التهذيب ٢/ ١٧٨، النجوم الزاهرة ١/ ٢٨٣، طبقات الحفاظ ، ص ٤٤، شذرات الذهب ١/ ١٥٦.

(٢) أخرجه مالك (٢/ ٨٩٨، رقم ١٥٩٣) ، وأحمد (١/ ٤٤، رقم ٣١١) ، والبخاري في التاريخ الكبير (٨/ ٩٧) ، وأبو داود (٤/ ٢٢٦، رقم ٤٧٠٣) ، والترمذي (٥/ ٢٦٦، رقم ٣٠٧٥) وقال : حسن . والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٤٧، رقم ١١١٩٠) ، وابن جرير في تفسيره (٩/١١٣) ، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٢/٢٦٣) وقال ابن كثير : مسلم بن يسار لم يسمع عمر . كذا قاله أبو حاتم وأبو زرعة زاد أبو حاتم وبينهما نعيم بن ربيعة . وابن حبان (١٤/ ٣٧، رقم ٦١٦٦) ، والآجري (ص ١٧٠) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٣٢٥) وقال : في هذا إرسال مسلم بن يسار لم يدرك عمر بن الخطاب . والحاكم (١/ ٨٠، رقم ٧٤) وقال : صحيح على شرطهما . والضياء (١/٤٠٦) .

(٣) سليمان بن طرخان أبو المعتمر التيمي الإمام ، شيخ الإسلام ، أبو المعتمر التيمي ، البصري . نزل في بني تيم ، فقيل : التيمي . ثقة ، من خيار أهل البصرة . توفي بالبصرة ، في ذي القعدة ، سنة ثلاث وأربعين ومائة . وروى : أبو داود ، عن معتمر بن سليمان : أنه مات ابن سبع وتسعين سنة .

ترجمته في : طبقات ابن سعد ٧/ ١٨، تاريخ خليفة (٤٢٠) ، طبقات خليفة (٢١٩) ، التاريخ الكبير ٤/ ٢٠، التاريخ الصغير ٢/ ٧٤، الجرح والتعديل ٤/١٢٤ ـ ١٢٥، ثقات ابن حبان ٣/ ٨٩، مشاهير علماء الأمصار (٩٣) ، الكامل في التاريخ ٥/ ٥١٢، تهذيب الكمال (٥٤٣ ـ ٥٤٤) ، تذهيب التهذيب ٢/ ٥٠/ ٢، ميزان الاعتدال ٢/ ٢١٢، تذكرة الحفاظ ، ١/١٥٠ ـ ١٥٢، تهذيب التهذيب ٤/٢٠١ ـ ٢٠٣، خلاصة تذهيب الكمال (١٥٢) ، شذرات الذهب ١/ ٢١٢.

عثمان النَّهْدِي[1] ، عن سلمان الفارسي[2] رضي الله عنه أنه قال : «**إن اللّه ـ تعالى ـ خَمَّرَ طينة آدم أربعين صباحا ، ثم خَلَطَهَا بيديه ، فَخَرَجَ كل طيب بيمينه ، وكل خبيث بشماله ، ثم مسح يديه إحداهما بالأخرى**»[3] . فمن ثَمَّ يخرج الطيب من الخبيث والخبيث من الطيب .

قيل له : قد صح ـ عندنا أن اللّه ـ سبحانه ـ خلق آدم بيده التي هي صفته ، لا يد جارحة ، ولا يد قوة ونعمة ، على ما تقدم القول منا في ذلك .

وقوله : «**فخرج كل طيب بيمينه**» . يريد : بنعمته عليه بفعل الحسنات . «**وكل خبيث بشماله**» . أي : بفعل السيئات ، وقوله : «**ثم مسح**» . يديه إحداهما بالأخرى : يريد : أنه جمعهم في الدنيا ، وميز بينهم في الآخرة ، فجعل فريقا في الجنة وفريقا في السعير .

* * *

(١) أبو عثمان النهدي عبد الرحمن بن مل ، الإمام ، الحجة ، شيخ الوقت ، عبد الرحمن بن مل ـ وقيل : ابن ملي ـ ابن عمرو بن عدي البصري . مخضرم ، معمر ، أدرك الجاهلية والإسلام . وغزا في خلافة عمر وبعدها غزوات . كان ثقة . وكان عريف قومه . مات سنة مائة . وقيل : مات سنة خمس وتسعين . وقيل غير ذلك . ترجمته في : طبقات ابن سعد ٧/ ٩٧، طبقات خليفة ت ١٦٧٠ ، المعارف ٤٢٦، الجرح والتعديل القسم الثاني من المجلد الثاني ٢٨٣، الاستيعاب ت ١٤٦١ ، أسد الغابة ٣/ ٣٢٤، تاريخ بغداد ١٠/ ٢٠٢، تاريخ الإسلام ٤/ ٨٢، تذكرة الحفاظ ١/ ٦١، العبر ١/ ١١٩ ، تذهيب التهذيب ٢/٢٢٨ آ ، البداية والنهاية ٩/٥ ١ و ١٩٠، الإصابة ت ٦٣٧٩، تهذيب التهذيب ٦/ ٢٧٧، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٢٥، خلاصة تذهيب التهذيب ٢٣٥، شذرات الذهب ١/ ١١٨.

(٢) هو سلمان الفارسي صاحب رسول اللّه ﷺ ، أبو عبداللّه ، سابق الفرس إلى الإسلام ومناقبه كثيرة ، توفي سنة ٣٦هـ بالمدائن .

ترجمته في طبقات ابن سعد ٤/ ٥٤، وسير أعلام النبلاء ١/ ٥٠٥.

(٣) أخرجه ابن وهب في كتاب القدر (١/ ٣٦، رقم ١٠) ، وأخرجه ابن سعد (٢٧/١) وقال عن سلمان أن ابن مسعود فذكره . وابن جرير في تفسيره (٢٢٥/٣) ، وأبو الشيخ (١٥٤٦/٥) ، وأبو نعيم (٢٦٤/٨) ، وقال عن سليمان فذكره . والدارقطني في العلل (٥/ ٣٣٨، رقم ٩٣١) وقال : يرويه سليمان التيمي عن أبي عثمان عن سلمان أو ابن مسعود موقوفًا وهو الصحيح ومن رفعه فقد وهم .

باب بيان تأويل خبر آخر

سماك بن حرب[١] ، عن النعمان بن بشير[٢] ـ رضي الله عنهما ـ عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال : «**لَلَّهُ ـ تعالى ـ أفرحُ بتوبة العبد من العبد إذا ضلت راحلته في أرضٍ فَلَاةٍ في يوم قائظٍ ، وراحلته عليها زادُهُ ومَزَادُهُ فإذا ضلت راحلته أيقن بالهلاك ، وإذا وجدها فرح بذلك ، فاللَّه أشد فرحا بتوبة عبده من هذا العبد بوجود راحلته**»[٣] .

اعلم ـ علمك اللَّه الخير برحمته ـ أن الفرح ـ في كلام العرب ـ على وجوه :

---

(١) سِمَاك بن حَرْب (١٢٣هـ/٧٤١م) هو : سماك بن حرب بن أوس بن خالد الذهلي البكري ، أبو المغيرة : من رجال الحديث . من أهل الكوفة . أدرك ثمانين صحابيا . وروى له مسلم وأبو داود والترمذي والنّسائي وابن ماجة ، والبخاري في التاريخ . وفي المحدّثين من يضعّفه . ذهب بصره ، ثم شفي وعاد إليه .

ترجمته في : طبقات ابن سعد ٦/ ٣٢٣، طبقات خليفة ، ص ١٦١، تاريخ خليفة ، ص ٣٦٣، التاريخ الكبير ٤/ ١٧٣، الجرح والتعديل ٤/ ٢٧٩، المجروحين والضعفاء ٢/ ٢٤٩، الثقات ٣/ ١٠٣، تذهيب التهذيب ٢/ ٥٨، تاريخ الإسلام ٥/ ٨٤، ميزان الاعتدال ٢/ ٢٣٢، ٢٣٤، تهذيب التهذيب ٤/ ٢٣٢، خلاصة تذهيب الكمال ، ص ١٥٥، شذرات الذهب ١/ ١٦١.

(٢) النّعمان بن بَشِير (٢ ـ ٦٥هـ = ٦٢٣ ـ ٦٨٤م) هو : النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري ، أبو عبد اللَّه ، أمير خطيب ، شاعر ، من أجلاء الصحابة ، من أهل المدينة . وجّهته نائلة (زوجة عثمان) بقميص عثمان ، إلى معاوية ، فنزل الشام . وشهد " صفين " مع معاوية . وولي القضاء بدمشق ، بعد فضالة بن عبيد (سنة ٥٣هـ وولي اليمن لمعاوية ، ثم استعمله على الكوفة ، تسعة أشهر ، وعزله وولاه حمص . واستمر فيها إلى أن مات يزيد بن معاوية ، فبايع النعمان لابن الزبير . وتمرد أهل حمص ، فخرج هاربا ، فاتبعه خالد بن خلي الكلاعي فقتله . وهو أول مولود ولد في الأنصار بعد الهجرة .

ترجمته في : طبقات ابن سعد ٦/ ٥٣، طبقات خليفة : ت ٥٩٣، ٩٣٠، ٢٨٥٣، المحبر ، ص ٢٧٦، ٢٩٤، ٤٢١، التاريخ الكبير ٨/ ٧٥، المعارف ، ص ٢٩٤، أخبار القضاة ٣/ ٢٠١، الجرح والتعديل ٨/ ٤٤٤، الأغاني ١٦/ ٢٨، الاستيعاب٤/ ١٤٩٦، أسد الغابة ٥/ ٣٢٦، تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢/ ١٢٩، تاريخ الإسلام ٣/ ٨٨، البداية والنهاية ٨/ ٢٤٤، الإصابة ٣/ ٥٥٩، تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٤٧، شذرات الذهب ١/ ٧٢.

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٥، رقم ١٨٤٤٦) ، ومسلم (٤/ ٢١٠٣، رقم ٢٧٤٥) من حديث النعمان بن بشير . وأخرجه أحمد (٤/ ٢٨٣، رقم ١٨٥١٥) ، ومسلم (٤/ ٢١٠٤، رقم ٢٧٤٦) ، والحاكم (٤/ ٢٧١، رقم ٧٦١١) من حديث البراء. وأخرجه البخارى (٥/ ٢٣٢٥، رقم ٥٩٥٠) ، ومسلم (٤/ ٢١٠٥، رقم ٢٧٤٧) من حديث أنس . وأخرجه مسلم (٤/ ٢١٠٢، رقم ٢٦٧٥) ، والترمذى (٥/ ٥٤٧، رقم ٣٥٣٨) من حديث أبى هريرة .

* **منها** : الفرح بمعنى : السرور ، ومنه قوله ـ عز وجل ـ : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا﴾(١) . أي : سُرُّوا بها ، وهذا الوصف غير لائق بالقديم ؛ لأن ذلك خِفَّةٌ تعتري الإنسان إذا كَبُرَ قدرُ شيء عنده ، فإذا نال ما كبر قدره ، فرح لموضع ذلك ، ولا يوصف القديم ـ سبحانه ـ بالسرور أيضا ؛ لأنه سكون القلب إلى الأمر ، لمنفعة في عاجل أو آجل ، وكل ذلك عنه منفي .

* **ومنها** : الفرح بمعنى البطر والأشر ، ومنه قوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾(٢) . وقوله : ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ﴾(٣) . ومنه قول الشاعر(٤) :

ولست بِمِفْرَاحٍ إذا الدهر سرني ولا جَزِعٍ من صَرْفِهِ المتقلّبِ

أي : لست بِأَشِرٍ ولا بَطِرٍ إذا وافقني الدهر وساعدني .

* **ومنها** : الفرح بمعنى الرضا ، ومنه قوله سبحانه : ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾(٥) . أي : راضون .

ومعنى قوله : «**لَلَّهُ أفرح**» . أي : أرضى . والرضا من صفات الله تعالى ؛ لأن الرضا هو القبول للشيء والمدح له والثناء عليه ، والقديم ـ سبحانه ـ قابل للإيمان ، مُزَكٍّ ومادحٌ له ومُثْنٍ على المرء بالإيمان ، فيجوز وصفه بذلك .

فإن قيل : فما تقول فيما روى أبو هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**لا يوطن الرجل المساجد للصلاة والذكر إلا تَبَشْبَشَ الله به حتى يخرج كما يَتَبَشْبَشُ أهل**

(١) يونس : ٢٢.

(٢) القصص : ٧٦.

(٣) هود : ١٠.

(٤) هو هدبة بن خشرم لما قاده معاوية إلى الحرة ليقتص منه في زياد بن زيد العذرى ، فلقيه عبد الرحمن بن حسان فاستنشده فأنشده ذلك . والمفراح : كثير الفرح . والمراد : نفى الفرح من أصله . وصرف الدهر : حدثانه . وإذا : شرطية فلا بد بعدها من فعل ، أى : إذا كان الشر تاركي . وأحمل مبنى للمجهول ، وأركب للفاعل . والمعنى : أنى جربت الدهر فإذا هو خئون ، ومع ذلك لا أتضعضع .
اطلبه في الشعر والشعراء ٢/ ٦٨٣، ٦٨٤، المعاني الكبير في أبيات المعاني ٣/ ١١٥١، عيون الأخبار ١/ ٣٨٩، الكامل في اللغة والأدب ٤/ ٧٢، العقد الفريد ١/ ٩١.

(٥) المؤمنون : ٥٣.

الغائب بغائبهم إذا قَدِمَ عليهم»[١]؟!

قيل له : قوله : «**تبشبش الله**» . بمعنى : رضي الله ، وللعرب استعارات في الكلام ، ألا ترى إلى قوله : ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾[٢] . بمعنى : الابتلاء والاختبار . وإن كان أصل الذوق بالفم . والعرب تقول : ناظرت فلانا ، وذقت ما عنده . أي : تَعَرَّفْتُ وَاخْتَبَرْتُ ، واركَبِ الْفَرَسَ وذُقْهُ ، قال الشماخ[٣] :

فذاق فأعطَتْهُ من اللِّين جانبا كفى ولها أن يُغرِقَ السهمَ حاجِزُ

يريد : أنه باري القوس بالنَّزع ، ليعلم ألينةٌ هي أم صُلْبَةٌ ، ومنه قوله ـ سبحانه ـ : ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾[٤] . يعني : أنها متتابعة يتلو بعضها بعضا ، وأصل هذا من عُرْفِ الْفَرَسِ أنه سَطْرٌ مستوٍ بعضه على إثر بعض ، فاستُعير للقوم يتبعُ بعضهم بعضا ذلك . ومنه يقال : قول الناس إليه عُرْفٌ واحد : إذا كثروا وتتابعوا في توجُّههم إليه .

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ٢٦٢، رقم ٨٠٠) قال البوصيري (١/١٠٢) : هذا إسناد صحيح . والحاكم (١/ ٣٣٢، رقم ٧٧١) . وقال : صحيح على شرط الشيخين .

(٢) النحل : ١١٢ .

(٣) ديوان الشماخ ١٩٠ ، وجمهرة أشعار العرب ٨٣٢، الشعر والشعراء ١/ ٣٠٥، المعاني الكبير في أبيات المعاني ٢/ ١٠٤٢، والتهذيب ٩/ ٢٦٣، واللسان والتاج وأساس البلاغة (ذوق) ، وبلا نسبة في المقاييس ٢/ ٣٦٥، والمخصص ٦/ ٤٧ .

(٤) المرسلات : ١ .

باب بيان تأويل خبر آخر

معاوية بن صالح(١) ، عن راشد بن سعد(٢) ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال : «**إن الله ـ سبحانه ـ يطوي المظالم يوم القيامة ، فيجعلها تحت قدميه ، إلا ما كان من أجر الأجير ، وعقر البهيمة ، وفض الخاتم بغير حق**»(٣) . يعني : افتضاض الأبكار .

---

(١) مُعَاوِيَة بن صالِح (١٥٨هـ/٧٧٤م) هو : معاوية بن صالح بن حدير الحضرميّ الحمصي : قاض ، من أعلام رجال الحديث . أصله من حضرموت . نشأ بحمص ، وخرج منها سنة ١٢٥هـ فمر بمصر ، وانتهى إلى الأندلس . فلما ملكها عبد الرحمن الداخل أرسله إلى الشام في بعض أمره ، ثم ولاه قضاء الجماعة بالأندلس . وكان يحضر معه غزواته . وعزل في أواخر أيامه . قال ابن أيْمَن ـ محمد بن عبد الملك ـ قال لي محمد بن أحمد بن أبي خيثمة : (لوددت أن أدخل الأندلس حتى أفتش عن أصول كتب معاوية بن صالح ، فلما انصرفت إلى الأندلس طلبت كتبه ، فوجدتها قد ضاعت بسقوط همم أهلها) .

ترجمته في : طبقات ابن سعد : ٧/ ٥٢١، التاريخ الكبير ٧/ ٣٣٥، التاريخ الصغير ٢/ ١٧٥، المعرفة والتاريخ ٢/ ٤٢٦، الجرح والتعديل ٣٨٢/٨ ـ ٣٨٣، تذهيب التهذيب ٥١/٤ ـ ٥٢، تاريخ الإسلام ٢٩١/٦ ـ ٢٩٣، تذكرة الحفاظ ١/ ١٧٦، ميزان الاعتدال ٤/ ١٣٥، عبر الذهبي ١/ ٢٢٩، العقد الثمين ٢٣٧/٧ ـ ٢٣٨، تهذيب التهذيب ٢٠٩/١٠ ـ ٢١٢، طبقات الحفاظ ، ص٧٧، خلاصة تذهيب الكمال ، ص ٣٨١.

(٢) راشد بن سعد الحبراني ، ويقال : المقرائي ، الفقيه ، محدث حمص . يروي عن : سعد بن أبي وقاص ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وثوبان ، وعتبة بن عبد السلمي ، وأبي أمامة ، وأنس ، وطائفة . حدث عنه : ثور بن يزيد ، ومحمد بن الوليد الزبيدي ، وحريز بن عثمان ، وصفوان بن عمرو ، وأبو بكر بن أبي مريم ، ومعاوية بن صالح ، وأهل حمص . وثقه : غير واحد ، منهم : ابن معين ، وأبو حاتم ، وابن سعد . وقال أحمد بن حنبل : لا بأس به . وقال ابن حزم وحده : هو ضعيف . فهذا من أقواله المردودة . وقد قال الدارقطني : لا بأس به ، يعتبر به . وقيل : إنه يروي أيضا عن عوف بن مالك الأشجعي ، وإنه شهد صفين مع معاوية ، فإن صح هذا ـ وهو ممكن ـ فقد عاش نحو التسعين . قال يحيى بن سعيد : هو أحب إلي من مكحول . قال ابن سعد ، وخليفة ، وأبو عبيد : توفي سنة ثلاث عشرة ومائة . وقيل : مات سنة ثمان ومائة .

ترجمته في : طبقات ابن سعد ٧/ ٤٥٦، طبقات خليفة ت ٢٩٣٤، تاريخ البخاري ٣/ ٢٩٢، المعرفة والتاريخ ٢/ ٣٣٢، الجرح والتعديل القسم الثاني من المجلد الأول ٤٨٣، الحلية ٦/ ١١٧، تاريخ الإسلام ٤/ ١١١، ٢٤٨، البداية والنهاية ٩/ ٢٥٧، تهذيب التهذيب ٣/ ٢٢٥، خلاصة تذهيب التهذيب ١١٣، تهذيب ابن عساكر ٥/ ٢٩٢.

(٣) الحديث ظاهر الإرسال فراشد بن سعد لم يدرك النبي ﷺ انظر : تهذيب التهذيب ٣/ ٢٢٦.

وأخرجه ابن منده في الرد على الجهمية ، تحقيق وتعليق د . محمد على الفقيهي ص ٤٤، وانظر مشكل الآثار لابن فورك ، الطبعة الثانية ص ٩٧.

قوله : «**يجعلها تحت قدميه**» . أي : يبطلها ولا يناقش عليها ، مأخوذ ذلك من قول العرب : قد جعلتُ هذا الأمر تحت قدمي . أي : أبطلته وذهبت به ، ولا أناقِش فيه .

وقد يقول هذا القول مَنْ لا قدمَ له بواحدة ، ومنه ما روي أن رسول اللّٰه ﷺ لما فتح مكة قام على باب الكعبة ، فقال : «**كل دم كان في الجاهلية فقد جعلتُ تحت قدمي**»[1] . أي : دفنت ذلك وأبطلته حتى لا أناقش عليه ، ولا أقتصَّ منه ، وهذا مستعمل شائع في كلامهم . واللّٰه أعلم بالصواب .

فإن قيل : فما تقول فيما روى هشام بن عروة[2] ، عن أبيه عن عبد اللّٰه بن عمرو[3] - رضي الله عنهما - : «**أن اللّٰه - عز وجل - خلق الملائكة من نور الذراعين والصدر**»[4]!

---

(١) أخرجه عبد بن حميد (ص ٣٤١، رقم ١١٣٥) ومسلم (٢/ ٨٨٦، رقم ١٢١٨) وأبو داود (٢/ ١٨٢، رقم ١٩٠٥) ، وابن ماجه (٢/ ١٠٢٢، رقم ٣٠٧٤) ، وأحمد (٢/ ١٠٣، رقم ٥٨٠٥) ، والبيهقي (٨/ ٦٨، رقم ١٥٨٩٦) ، و الدارقطني (٣/١٠٥) ، والحميدي (٢/ ٣٠٧، رقم ٧٠٢) .

(٢) هشام بن عروة (٦١ - ١٤٦هـ/٦٨٠ - ٧٦٣م) هو : هشام بن عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي ، أبو المنذر : تابعي ، من أئمة الحديث . من علماء "المدينة" ولد وعاش فيها . وزار الكوفة فسمع منه أهلها . ودخل بغداد ، وافدا على المنصور العباسي ، فكان من خاصته . وتوفي بها . روى نحو أربعمائة حديث . وأخباره كثيرة .

ترجمته في : نسب قريش (٢٤٨) طبقات خليفة (٢٦٧) ، تاريخ البخاري ١٩٣/٤ التاريخ الصغير ٢/ ٨٣، ثقات ابن حبان ٣/ ٢٨٠، تاريخ بغداد ١٤/ ٤٧، الكامل في التاريخ ٤/ ٣٦٠، وفيات الأعيان ٦/ ٥٨٠، تذكرة الحفاظ ١٤٤/١ - ١٤٥، ميزان الاعتدال ٤/ ٣٠١، العبر ١/ ٢٠٦، مرآة الجنان ١/ ٣٠٢.

(٣) هو عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص إمام حبر عابد صاحب رسول اللّٰه ﷺ وابن صاحبه ، أبو محمد ، وقيل : أبو عبد الرحمن ، أسلم قبل أبيه وهاجر بعد سنة سبع وشهد بعض المغازي ، وكتب عن النبي ﷺ بإذنه وترخيصه له في الكتابة بعد كراهيته للصحابة سوى القرآن ، مات رضي الله عنه سنة ثلاث وستين وقيل : خمس وستين بالطائف وقيل بمكة وقيل بالشام .

ترجمته عند الزبيري : نسب قريش ص ٤١١، ابن قتيبة : المعارف ص ٢٨٦، ابن عبد البر : الاستيعاب ٣/ ٩٠٦، ابن حجر : الإصابة ٤/ ١٩٢، الذهبي : سير أعلام النبلاء ٣/ ٧٩.

(٤) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ، باب ما ذكر في الساعد والذراع ، ص٣٤٣ من طريق ابن جريج حدثه رجل عن عروة بن الزبير أنه سأل عبد اللّٰه ابن عمرو بن العاص : أي الخلق أعظم؟ قال : الملائكة ، قال : من ماذا خلقت؟ قال : من نور الذراعين والصدر . .. إلخ . قال : وهذا موقوف على عبد اللّٰه بن عمرو ، روايه رجل غير مسمى ، فهو منقطع ، وقد بلغني أن ابن عيينة رواه عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد اللّٰه بن عمرو ، فإن صح ذلك ، فعبد اللّٰه بن عمرو كان ينظر في كتب الأوائل ، فما لا يرفعه عن النبي عليه السلام يحتمل أن يكون مما رآه فيما وقع بيده من تلك الكتب . =

قيل له : يحتمل أن يكون نسب ذلك الذراع والصدر إلى نفسه في هذا الخبر ، وقد تسمي العرب كواكب منازل القمر : الذراعين .

* * *

= وأخرجه ابن منده في الرد على الجهمية ، تحقيق وتخريج د . علي محمد الفقيهي ، ص٩٢ موقوفا على عبد الله بن عمرو .

وأخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة ، ص١٥١ موقوفا على عبد الله ابن عمرو .

وقال الألباني في الأحاديث الصحيحة المجلد الأول ١٩٧/ ٥: "وأما ما رواه عبد الله بن أحمد في السنة ، ص ١٥١ عن عكرمة قال : «خلقت الملائكة من نور العزة ، وخلق إبليس من نار العزة» وعن عبد الله بن عمرو قال : «خلق الله الملائكة من نور الذراعين والصدر» . قلت ـ أي الألباني ـ : فهذا كله من الإسرائيليات التي لا يجز الأخذ بها ، لأنها لم ترد عن الصادق المصدوق ﷺ .

باب بيان تأويل خبر آخر

أبو خليفة[(١)] ، عن علي بن أبي طالب ﵁ عن رسول الله ﷺ : **«إن الله ـ سبحانه ـ رفيق ، يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»**[(٢)] .

قوله : **«إن الله رفيق»** . أي : ليس بعجول ، وإنما يعجل من يخاف الفوت ، فأما من كانت الأشياء في قبضته وملكه ، فليس يعجل .

وقوله : **«يحب الرفق»** . أي : يحب ترك العجلة في الأعمال والأمور ، قال الشاعر[(٣)] :

لم أر مثل الرفق في يمنه ... إذ أخرج العَذْراءَ من خِدْرِها

أي : لم أر مثل ترك العجلة .

---

(١) أبو خليفة الطائي البَصْرِيّ ، حديثه في أهل اليمن ، سَمِعَ : عَلِيّ بْن أبي طالب ، وورد المدائن ، وحضر قتال أهل النهر . تاريخ بغداد ١٦/ ٥٣٣.

(٢) حديث علي : أخرجه أحمد (١/ ١١٢، رقم ٩٠٢) ، والخرائطي في المكارم (ص ٢٢٨، رقم ٦٨٥) ، والنسائي في الكبرى (٤/ ٤٠٤، رقم ٧٧٠٢) ، وأبو يعلى (١/ ٣٨٠، رقم ٤٩٠) قال الهيثمي (١٨/٨) : رواه أحمد والبزار وأبو يعلى ، وأبو خليفة لم يضعفه أحد ، وبقية رجاله ثقات . والضياء (٢/ ٤١٣، رقم ٨٠٠) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٣٣٦، رقم ٨٤١٥) .

ومن حديث عبد الله بن مغفل : أخرجه أحمد (٤/ ٨٧، رقم ١٦٨٥١) ، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ١٦٦، رقم ٤٧٢) وأبو داود (٤/ ٢٥٤، رقم ٤٨٠٧) ، وعبد بن حميد (ص ١٨١، رقم ٥٠٤) ، والخرائطي في المكارم (ص ٢٢٥، رقم ٦٧٨) .

ومن حديث أنس : أخرجه الخطيب (١٢٤/٦) . والطبراني في الأوسط (٣/ ٢٠٦، رقم ٢٩٣٤) ، وفي الصغير (١/ ١٤٥، رقم ٢٢١) . قال الهيثمي (١٨/٨) : رواه البزار والطبراني في الأوسط والصغير ، وأحد إسنادي البزار رجاله ثقات ، وفي بعضهم خلاف .

ومن حديث أبي هريرة : أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٢١٦، رقم ٣٦٨٨) ، وابن حبان (٢/ ٣٠٩، رقم ٥٤٩) ، والدارقطني في الأفراد كما في أطرافه لابن طاهر (٥/ ٣٤٢، رقم ٥٦٨١) ، وأبو نعيم في الحلية (٣٠٦/٨) ، والخرائطي في المكارم (ص ٢٢٨، رقم ٦٨٤) ، وإسحاق بن راهويه (١/ ٤٠٥، رقم ٤٥٢) .

وحديث الحسن المرسل : أخرجه هناد (٢/ ٦٠٣، رقم١٢٨٤) .

ومن حديث أبي بكرة : أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق (ص ٢٢٥ رقم ٦٧٩) .

(٣) البيت في روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ٢٠٣.

باب بيان تأويل خبر آخر

عن رسول الله ﷺ قال: **«ترون ربكم يوم القيامة، كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته»**[(١)].

وزعم الجبائي أن هذا الحديث لم يروِهِ إلا رجل واحد، وقد قامت البينة أن شهادة الواحد لا تقبل في الأحكام ولا توجب العلم.

قيل له: إن هذا الخبر روته الثقات من جهات مختلفات، منهم أنس بن مالك، وجرير بن عبد الله البجلي[(٢)]، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة وصهيب[(٣)] رضي الله عنهم وغيرهم، ولو لم تجب الحجة بنقل من ذكرنا من الصحابة، ولم يقع بذلك علم ـ لم تجب الحجة بأن النبي ﷺ قال: **«لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها»**[(٤)]. ولا

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٦٠، رقم ١٩٢١٣)، والبخاري (١/ ٢٠٣، رقم ٥٢٩)، ومسلم (١/ ٤٣٩، رقم ٦٣٣)، وأبو داود (٤/ ٢٣٣، رقم ٤٧٢٩)، والترمذي (٤/ ٦٨٧، رقم ٢٥٥١)، وابن ماجه (١/ ٦٣، رقم ١٧٧)، وابن حبان (١٦/ ٤٧٣، رقم ٧٤٤٢).

(٢) هو: جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن حشم بن عوف، الأمير النبيل الجميل. أبو عمرو ـ وقيل: أبو عبد الله ـ البجلي القسري، وقسر: من قحطان. من أعيان الصحابة. بايع النبي ﷺ على النصح لكل مسلم. كان بديع الحسن، كامل الجمال.
ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢/ ٥٣٠.

(٣) هو: صهيب بن سنان بن مالك، من بني النمر بن قاسط: صحابي، من أرمى العرب سهما، وله بأس. وهو أحد السابقين إلى الإسلام. كان أبوه من أشراف الجاهليين. ولاه كسرى على الأبلة (البصرة) وكانت منازل قومه في أرض الموصل، على شط الفرات مما يلي الجزيرة والموصل، وبها ولد صهيب، فأغارت الروم على ناحيتهم، فسبوا صهيبا وهو صغير، فنشأ بينهم، فكان ألكن. واشتراه منهم أحد بني كلب وقدم به مكة، فابتاعه عبد الله بن جدعان التيمي، ثم أعتقه. فأقام بمكة يحترف التجارة، إلى أن ظهر الاسلام، فأسلم (ولم يتقدمه غير بضعة وثلاثين رجلا) فلما أزمع المسلمون الهجرة إلى المدينة، كان صهيب قد ربح مالا وفيرا من تجارته، فمنعه مشركو قريش، وقالوا: جئتنا صعلوكا حقيرا، فلما كثر مالك هممت بالرحيل؟ فقال: أرأيتم إن تركت مالي تخلون سبيلي؟ قالوا: نعم. فجعل لهم ماله أجمع. فبلغ النبي ﷺ ذلك، فقال: ربح صهيب، ربح صهيب!. وشهد بدرا وأحد والمشاهد كلها، وتوفي في المدينة.
ترجمته في: طبقات ابن سعد ٣/ ١٦١، وصفة الصفوة ١/ ١٦٩، وحلية الأولياء ١/ ١٥١.

(٤) من حديث أبي هريرة: أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٥، رقم ٧٤٥٦)، ومسلم (٢/ ١٠٢٩، رقم ١٤٠٨)، والنسائي (٦/ ٩٨، رقم ٣٢٩٥)، وابن ماجه (١/ ٦٢١، ١٩٢٩)، وابن حبان (٩/ ٣٧٦، رقم =

أنه رجم ماعزا[١] فلما كان ناقلو هذه السير دون من نقل الرؤية في العدد ، وكانت الرواية والنقل للطائفتين من هذه الأمة ـ وهم أهل الحديث والمتشيعة الإمامية[٢] ـ ووجدناهم لا يختلفون في النقل عن رسول الله ﷺ أن أهل الجنة ينظرون إلى الله تعالى ، فقد صح النظر إليه من طريق الخبر ، ووجدنا أصحاب رسول الله ﷺ على رؤية الله في الآخرة متفقين ، ولم يَرِدْ عن أحد منهم نفيها وإنكارها ، وروي عن كثير منهم إثباتها ـ كان القول بالرؤية إجماعا منهم ، ولو اختلفوا في ذلك لنُقل الخلاف ، كما نقل الاختلاف في

= ٤٠٦٨) ، والبيهقي (٧/ ١٦٥، رقم ١٣٧٢٤) .

ومن حديث جابر : أخرجه النسائي (٦/ ٩٨، رقم ٣٢٩٧) . وعبد الرزاق (٦/ ٢٦٢، رقم ١٠٧٥٩) ، وأحمد (٣/ ٣٣٨، رقم ١٤٦٧٤) .

ومن حديث أبي موسى : أخرجه ابن ماجه (١/ ٦٢١، رقم ١٩٣١) .

ومن حديث أبي سعيد : أخرجه ابن ماجه (١/ ٦٢١، رقم ١٩٣٠) .

ومن حديث سمرة : أخرجه الطبراني (٧/ ٢١٨، رقم ٦٩٠٨) .

ومن حديث ابن مسعود : أخرجه الطبراني (١٠/ ١٨، رقم ٩٨٠١) . والبزار (٤/ ٢٩٠، رقم ١٤٦٢) .

ومن حديث ابن عباس : أخرجه الطبراني (١١/ ٣٠٢، رقم ١١٨٠٥) . وأحمد (١/ ٣٧٢، رقم ٣٥٣٠) .

ومن حديث عتاب بن أسيد : أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٤/٢٦٣) قال الهيثمي : فيه موسى بن عبيدة الربذى ، وهو ضعيف .

ومن حديث ابن عمرو : أخرجه أحمد (٢/ ١٨٩، رقم ٦٧٧٠) .

ومن حديث علي : أخرجه أحمد (١/ ٧٧، رقم ٥٧٧) .

(١) أخرجه أبو داود رقم (٤٤٣٨) في الحدود : باب رجم ماعز بن مالك من طريق ابن وهب ، عن ابن جريج ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، وأخرجه أيضا (٤٤٣٩) من طريق أبي عاصم ، عن ابن جريج ، عن أبي الزبير ، عن جابر أن رجلا زنى بامرأة ، فلم يعلم بإحصانه ، فجلد ، ثم علم بإحصانه ، فرجم .

(٢) هم الذين قالوا بالنص الجلي على إمامة علي ـ كرم الله وجهه ـ وكفروا الصحابة ، وهم الذين خرجوا على علي ـ رضي الله تعالى عنه ـ وهم اثنا عشر ألف رجل ، وساقوا الإمامة إلى جعفر الصادق ، واختلفوا في المنصوص عليه بعده ، والذي استقر رأيهم عليه أن الإمام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي ـ رضي الله تعالى عنه ، ثم ابنه الحسن ، ثم أخوه الحسين ، ثم ابنه علي زين العابدين ، ثم ابنه محمد الباقر ـ ثم ابنه جعفر الصادق ، ثم ابنه موسى الكاظم ، ثم ابنه علي الرضا ، ثم ابنه محمد التقي الجواد ، ثم ابنه علي التقي الزكي ، ثم ابنه الحسن العسكري ، ثم ابنه أبو القاسم محمد القائم المنتظر المهدي ، صلاة الله تعالى وسلامه على جدهم الأمجد وعليهم أجمعين ، ولهم في هذا الدعوى تمسكات ودلائل في المطولات .

انظر عنهم الأشعري : مقالات الإسلاميين ١/ ٨٨، البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٣، الدواني : الحجج الباهرة ص ٣٨٧.

رؤية الله في الدنيا ، فأنكرها بعضهم كنحو ما روي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ في ذلك من إنكارها على ابن عباس حين ثبّتها[١] ، فلو كانوا في رؤيته بالأبصار في الآخرة مختلفين ، لنقل ذلك عنهم .

فإن قال قائل : ما أنكرتم أن يكون معنى قوله : «**ترون ربكم**» . أي : تعرفونه اضطرارا في الآخرة؟

قيل له : لما مثل رؤيته برؤية القمر ، وكانت رؤية القمر بالعين ، وإذا أُطلقت الرؤية إطلاقا ، ومثلت برؤية القمر ـ لم يكن المعنى إلا لرؤية العين ، كيف وقد روي في بعض الأخبار : «**ترون ربكم عيانا**» .

وأيضا : فلو كان النبي ﷺ عنى رؤية العلم ، لم يكن لأصحابه في ذلك بشارة ؛ لأن الكافرين والمؤمنين [مضطرون][٢] إلى الله ـ سبحانه ـ بالعلم في الآخرة ؛ لأن الآخرة دار اضطرار وليست بدار امتحان ، فلو كان النبي ﷺ عنى بذلك العلم ، لم يكن للمؤمنين في ذلك بشارة ، والكلام خارج عن ذلك الطريق ؛ لأن الكفار أيضا يشاركونهم فيه .

وقوله : «**تُضامون**» . كأنه قال : لا يمنع بعضكم بعضا بأن يدفعه عن ذلك ، أو يستأثر به دونه . وقال بعض اللغويين : إنما هو تُضارون وتضامون ، على تقدير : تُفَاعِلُونَ ، بإدغام الراء والميم .

فأما تضارون : فهو من الضرار ، والضرار : أن يتضارَّ الرجلان عند الاختلاف . ويقال : ضارَّ فلانٌ فلانا مضارَّةً وضِرَارا ، وقد وقع الضرار بينهما والاختلاف ، قال

---

(١) عن مسروق قال : قلت لعائشة رضي الله عنها يا أمتاه ، هل رأى محمد ﷺ ربه فقالت : لقد قف [قف : اقشعر وقام من الفزع ، أي : انقبض وانجمع من إنكار ما قلت والقفوف أن القشعريرة من البرد .] شعرى مما قلت ، أين أنت من ثلاث مَن حدثكهن فقد كذب ؛ من حدثك أن محمدا ﷺ رأى ربه فقد كذب . ثم قرأت : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام : ١٠٣] . ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى : ٥١] . ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت : (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا([لقمان : ٣٤] . ومن حدثك أنه كتم فقد كذب ، ثم قرأت : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ﴾ الآية [المائدة : ٦٧] ، ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين . أخرجه البخاري (٤٨٥٥) ، ومسلم (٤٥٩) .

(٢) في الأصل : «مضطرين» والمثبت هو الصواب .

النابغة[١] :

وخَضمِي ضِرَارُ ذَوِي مَأْقَةٍ متى يدنُ سلمها يشغبِ

والمأقة : الأنفة والحدَّة . يقال منه : رجل ميئق . والمعنى : إنكم لا تختلفون فيه ، ولا تمارون ، فيضار بعضكم بعضا .

وأما تضامون : فإنه من الانضمام . يريد : إنكم لا تختلفون فيه حين تجتمعون للنظر ، وينضم بعضكم إلى بعض ، فيقول واحد : هو ذاك ، ويقول الآخر : ليس ذاك ، كفعل الناس عند النظر إلى الهلال أول ليلة من الشهر .

فإن قال قائل : نحن إذا رأينا القمر رأيناه مستديرا مقابلا لنا . فيجب أن يكون كذلك القديم سبحانه .

قيل له : إنه ﷺ جعل إحدى الرؤيتين كالأخرى ، وبين أن إحداهما بالبصر ، كما أن الأخرى كذلك ، وإن كان أحد المرئيِّيْنِ لا شبه بينهما ، على أنا ننظر إلى اللّه ـ سبحانه ـ كما ننظر إلى القمر ، فنراه ولا نختلف فيه كما لا نختلف في القمر . والعرب تضرب المثل والظهور بالقمر ، فيقولون : هو أبين من الشمس ، ومن فَلَقِ الصبح ، وأشهَرُ من القمر ، قال ذو الرُّمَّةِ[٢] :

وقد شُهِرتَ فلا تخفى على أحد إلا على أحد لا يعرف القمرا

وقد زعمتم : أن معنى «ترون ربكم» . تعلمون ربكم ، ولم تُلْزِمُوا أنفسكم أنكم تعلمونه مقابلا لكم ، إذ كان القمر كذلك يعلمونه ، وإنما المراد ـ عندكم أن أحد العلمين كالآخر ، وإن كان المعلومان لا يشتبهان ، واللّه أعلم بالصواب .

* * *

---

(١) الجعدي ، والبست في الفائق ٢/ ٣٣٥.

(٢) ديوانه ٢/ ١١٦٣، وتهذيب اللغة ٥/ ١٢٥، مجمع الأمثال ٢/ ٤٠٤.

باب بيان تأويل خبر آخر

عن رسول اللَّه ﷺ : **«أن رجلا قال لبنيه : إذا أنا متُّ فاحرقوني ثم ذُرُّونِي في البحر ، لعلي أُضِلُّ اللهَ ، ففعلوا ذلك ، فجمعه اللَّه ، ثم قال له : ما حملك على ذلك؟ قال : مخافتك يا ربِّ . فغفر اللَّه له»**[(١)] .

اعلم : أن معنى «أُضِلُّ الله» . أي : أَفُوتُ اللَّه سبحانه . يقال : ضَلَلْتُ ولدي وأَضْلَلْتُهُ ، ومنه قوله : ﴿فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾[(٢)] . أي : لا يفوت ربي . فإذا كان ذلك بمعنى الضلال ههنا ، فمراده ـ واللَّه أعلم ـ أن يقول : فلعل اللَّه يضلني ، أي : يُفَوِّتُني ويُغَيِّبُني ، ولا يَبْعَثُني ولا يَنْشُرُني ، فأستريحَ من عذابه . والعرب تقول : ضلَّ الماءُ في اللبن ، إذا غاب ولم يتبيَّنْ . قال النابغة يرثي بعض الملوك[(٣)] :

وآبَ مُضِلُّوهُ بِعَيْنٍ جَلِيَّةٍ ‏ ‏ ‏ ‏ وغُودِرَ بالجُولاَنِ حَزْمٌ ونائلُ

أي : آب قابِرُوه ومغيِّبُوه . وتقول العرب : قد أضل فلان ناقته : إذا تشردت عنه ، وإن لم يكن لصاحبها في ذلك صنع ولا اختيار ، بمعنى : أن ناقته قد ضلت عنه ، فينسبون

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٦٩، رقم ١١٦٨٢) ، والبخاري (٣/ ١٢٨٢، رقم ٣٢٩١) ، ومسلم (٤/ ٢١١١، رقم ٢٧٥٧) . عن أبي سعيد . وسيأتي تخريجه من حديث أبي هريرة ﷺ .

(٢) طه : ٥٢.

(٣) ديوانه : ٨٣، واللسان (ضلل) (جلا) ، من قصيدته الغالية في رثاء أبي حجر النعمان بن الحارث بن أبي شمر الغساني ، وقبل البيت :

فإن تك قد ودعت غير مذمم ‏ ‏ ‏ ‏ أواسي ملك ثبتته الأوائل
فلا تبعدن ، إن المنية موعد ‏ ‏ ‏ ‏ وكل امرئ يوما به الحال زائل
فما كان بين الخير ، لو جاء سالما ‏ ‏ ‏ ‏ أبو حجر ، إلا ليال قلائل
فإن تحي لا أملل حياتي ، وإن تمت ‏ ‏ ‏ ‏ فما في حياة بعد موتك طائل
فآب مضلوه ... ... ‏ ‏ ‏ ‏ ... ...

ورواية الأصمعي وأبي عبيدة : "فآب مصلوه" بالصاد المهملة . وفسرها الأصمعي فقال : "أراد : قدم أول قادم بخبر موته ، ولم يتبينوه ولم يحققوه ولم يصدقوه ، ثم جاء المصلون ، وهم الذين جاءوا بعد الخبر الأول ، وقد جاءوا على أثره ، وأخبروا بما أخبر به ، بعين جلية : أي بخبر متواتر صادق يؤكد موته ، ويصدق الخبر الأول . وإنما أخذه من السابق والمصلي (من الخيل) " وقال أبو عبيدة : "مصلوه : يعني أصحاب الصلاة ، وهم الرهبان وأهل الدين منهم" .

الفعل إلى ربها ، وإن لم يكن له فيه صنع ، فكذلك : «**لعلي أضل الله**» . بمعنى : لعل اللّٰه يضلني ، فلا يَنْشُرَنِي ولا يَبْعَثَنِي ، فأستريح من أليم عذابه ، ووجيع عقابه ، وأنشدنا أبو الحسن الأشعري[١] :

وأم ضِرارٍ يَنْسُبُ الناسُ وَالِها   قالوا بني النجار ما ذِي أَضَلَّتِ

بمعنى : ما الذي ضل منها؟

فإن قيل[٢] : فما تقول فيما روى حميد بن عبد الرحمن[٣] ، عن أبي هريرة ﷺ عن رسول اللّٰه ﷺ : أن رجلا أسرف على نفسه ، فلما حضره الموت أوصى بنيه : إذا أنا متُّ فَحَرِّقُونِي ، ثم اسْحَقُونِي ، ثم ذُرُّونِي في الريح في البحر ، فواللّٰه لئن قَدَرَ عَلَيَّ ربي ليعذبَنِّي عذابا ما عذبه أحدا ، ففعلوا به ذلك ، فقال ﷺ : «**فيقول له الرب عند البعث : ما حملك على ما صنعت؟ فيقول : خشيتك . فيغفر اللّٰه ـ عز وجل ـ له**»[٤] .

---

(١) أبو الحسن علي بن إسماعيل شيخ الأشاعرة ، ومؤسس مذهبهم ينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري ، ولد سنة ستين ومائتين ، وقد تعلم الكلام على مذهب الاعتزال على يد أبي علي الجبائى إلى أن بلغ سن الأربعين ثم تحول وأعلن مذهبه الجديد وكانت وفاته سنة عشرين وثلاثمائة . له من المؤلفات : «مقالات الإسلاميين» ، و«الإبانة» وغيرهما ترجمته عند الخطيب : تاريخ بغداد ١١/ ٣٤٦، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣/ ٢٨٤، الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٥/ ٨٥.

(٢) جاء المصنف بهذا الفرض ، ولم يرد عليه ، فلعل في الكلام سقطا .

(٣) هو : حميد بن عبد الرحمن الحميري شيخ ، بصري ، ثقة ، عالم . يروي عن : أبي هريرة ، وأبي بكر الثقفي ، وابن عمر . موته قريب من موت سميه : حميد بن عبد الرحمن الزهري . ويروي أيضا عن : سعد بن هشام ، وأولاد سعد بن أبي وقاص . حدث عنه : عبد اللّٰه بن بريدة ، ومحمد بن سيرين ، ومحمد بن المنتشر ، وقتادة بن دعامة ، وأبو بشر جعفر بن إياس ، وداود بن عبد اللّٰه الأودي ، وجماعة . قال العجلي : تابعي ، ثقة . ثم قال : كان ابن سيرين يقول : هو أفقه أهل البصرة . وروى : هشام ، عن ابن سيرين ، قال : كان حميد بن عبد الرحمن أعلم أهل المصرين . يعني : الكوفة والبصرة .

ترجمته في : طبقات ابن سعد ٧/ ١٤٧، طبقات خليفة ت ١٦٦٢، تاريخ البخاري ٢/ ٣٤٦، المعرفة والتاريخ ٢/ ٦٧، الجرح والتعديل القسم الثاني من المجلد الأول ٢٢٥، أخبار أصبهان ١/ ٢٩٠، طبقات الفقهاء للشيرازي ٨٨، تاريخ الإسلام ٣/ ٢٤٦ و ٣٦٠، تذهيب التهذيب ١/ ١٧٩ آ، تهذيب التهذيب ٣/ ٤٦، خلاصة تذهيب التهذيب ٩٤.

(٤) تقدم تخريجه . عن أبي سعيد ، وأخرجه أحمد (٢/ ٢٦٩، رقم ٧٦٣٥) ، والبخاري (٣/ ١٢٨٣، رقم ٣٢٩٤) ، ومسلم (٤/ ٢١١٠، رقم ٢٧٥٦) ، وابن ماجه (٢/ ١٤٢١، رقم ٤٢٥٥) عن أبي هريرة .

باب بيان تأويل خبر آخر

أن رسول الله ﷺ قال لإحدى ابني ابنتيه : **«والله إنكم لَتُجَبِّنُونَ وَتُبَخِّلُونَ ، وإنكم من رَيْحان الله ، وإن آخر وطأةٍ وطئها الله ـ عز وجل ـ بوَجٍّ»**[(١)] .

معنى الحديث ـ عند أهل النظر ـ : أن آخر ما أوقع الله بالمشركين بالطائف ، وكان آخر غزاة غزاها رسول الله ﷺ قاتل فيها العدو . ووَجٌّ : وادٍ بالطائف .

وكان سفيان بن عيينة[(٢)] يذهب في تأويل هذا الحديث إلى ما ذكرناه ، قال : وهو مثل قوله : **«اللهم شدد وطأتك على مُضَر ، وابعث عليهم سنين كَسِنِي يوسفَ»**[(٣)] . فتتابع القحط عليهم سبع سنين ، حتى أكلوا القدَّ والعَضْهَل والعظام ، ويقال في الكلام : اشتدت وطأة السلطان على رعيته ، فقد وطئهم وطئا ثقيلا ، ووطءُ المقيَّدِ من هذا ، قال الشاعر[(٤)] :

ووطِئْتَنا وطئا على حَنَقٍ وَطْءَ المقيَّدِ يابسَ الهَرَمِ

والمقيد أثقل شيء ووطئا لأنه يَرْسُفُ في قيوده[(٥)] ، فيضع رجليه معا . والهرم : نبت ضعيف ، فإذا وطئه المقيد فَتَّهُ ، وهذا الذي ذكرناه تأويل بعيد عن الاستكراه ، قريب من القلوب ، والحمد لله وحده .

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٤٠٩ ، رقم ٢٧٣٥٥) ، والطبراني (٢٤/ ٢٣٩ ، رقم ٦٠٩) ، والبيهقي (١٠/ ٢٠٢ ، رقم ٢٠٦٥٢) ، والحميدى (١/ ١٦٠ ، رقم ٣٣٤) ، وإسحاق بن راهويه (١/ ٤٦ ، رقم ٤) .

(٢) هو : سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي ، أبو محمد : محدث الحرم المكي . من الموالي . ولد بالكوفة ، وسكن مكة وتوفي بها . كان حافظا ثقة ، واسع العلم كبير القدر .
ترجمته في : طبقات ابن سعد ٥/ ٤٩٧ ، التاريخ الكبير ٤/ ٩٤ ، التاريخ الصغير ٢/ ٢٨٣ ، الجرح والتعديل ١/ ٣٢ ، ٥٤ و ٤/ ٢٢٥ ، حلية الأولياء ٧/ ٢٧٠ ، الفهرست لابن النديم ١/ ٢٢٦ ، تاريخ بغداد ٩/ ١٧٤ ، صفوة الصفوة ٢/ ١٣٠ ، وفيات الأعيان : ٢/٣٩١ ـ ٣٩٣.

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٤٤٦ ، رقم ٤٠٢٨) .

(٤) للحارث بن وعلة الذهلي . والوطء : وضع القدم فوق الشيء بشدة . وهو كناية عن الإهلال . والحنق ـ كسبب ، الحقد والغيظ . والهرم ـ بالسكون ـ : ضرب من الحمض ترعاه الإبل ، وبعير هارم : يرعى الهرم . يقول : أتيتنا مرتفعا علينا بقوتك وشدة بطشك كوطء الجمل المقيد للهرم النابت : أى الحديث النبات . ويروى : نابت الهرم فيهلكه لعظمه وقوته ، مع رطوبة ذلك النبات وضعفه ، أو مع يبسه فيتفتت ، فجعله مقيدا لتكون بطشته قوية ، حيث يرفع رجليه معا ويضربها عند الوثوب . أو جعله مقيدا ، لأن الذليل إذا قدر لا يعفو . والوضم : خوان الجزار الذي يقطع عليه اللحم . و «لو» شرطية ، جوابها دل عليه قوله «تركتنا» أى : على فرض أنك تركت هنا بقية تركتنا كهذا اللحم الذي يهيأ للأكل . وفي التعبير بلو : دلالة على أنه لم يستبق منهم .

(٥) أي : يَمْشي فِيهِ رويدا . الوسيط (ر س ف) .

باب بيان تأويل خبر آخر

الأعمش[١]، عن أبي سفيان[٢]، عن جابر[٣] ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اهتز العرش لموت سعد بن معاذ[٤] ﷺ»[٥].

---

(١) سليمان الأعمش (٦١ - ١٤٨هـ/٦٨١ - ٧٦٥م) هو: سليمان بن مهران الأسدي بالولاء، أبو محمد، الملقب بالأعمش: تابعي، مشهور. أصله من بلاد الري، ومنشأه ووفاته في الكوفة. كان عالما بالقرآن والحديث والفرائض، قال الذهبي: كان رأسا في العلم النافع والعمل الصالح.
ترجمته في الأعلام ٣/ ١٣٥.

(٢) هو: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف: صحابي، من سادات قريش في الجاهلية. وهو والد معاوية رأس الدولة الأموية. كان من رؤساء المشركين في حرب الإسلام عند ظهوره: قاد قريشا وكنانة يوم أحد ويوم الخندق لقتال رسول الله ﷺ وأسلم يوم فتح مكة (سنة ٨هـ) وأبلى بعد إسلامه البلاء الحسن. وشهد حنينا والطائف، ففقئت عينه يوم الطائف ثم فقئت الأخرى يوم اليرموك، فعمي. كان من الشجعان الأبطال، قال المسيب: فقدت الأصوات يوم اليرموك إلا صوت رجل يقول: يا نصر الله اقترب. قال: فنظرت، فإذا هو أبو سفيان، تحت راية ابنه يزيد. ولما توفي رسول الله ﷺ كان أبو سفيان عامله على نجران. ثم أتى الشام، وتوفي بالمدينة، وقيل بالشام.
ترجمته في الأغاني ٦/٨٩ والإصابة(٤٠٤١) وتاريخ دمشق/ ٣٨٨. ونكت الهميان ١٧٢ والمحبر ٢٤٦ والبدء والتاريخ ٥/ ١٠٧.

(٣) جابر بن عبد الله (١٦ ق هـ - ٧٨هـ/٦٠٧ - ٦٩٧م) هو: جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي: صحابي، من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ وروى عنه جماعة من الصحابة. له ولأبيه صحبة. غزا تسع عشرة غزوة. وكانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم.
ترجمته في: طبقات خليفة: ت ٦٢٣، المحبر: ٢٩٨، التاريخ الكبير ٢/ ٢٠٧، الجرح والتعديل ٢/ ٤٩٢، مشاهير علماء الأمصار: ت ٢٥، الاستيعاب: ٢١٩، أسد الغابة ١/ ٢٥٦، تهذيب الأسماء واللغات ١/١/ ١٤٢، تذكرة الحفاظ ١/ ٤٠، العبر ١/ ٨٩، الإصابة ١/ ٢١٣، شذرات الذهب ١/ ٨٤.

(٤) سَعْد بن مُعَاذ (٥هـ/٦٢٦م) هو: سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس، الأوسي الأنصاري، صحابي، من الأبطال. من أهل المدينة، كانت له سيادة الأوس، وحمل لواءهم يوم بدر. وشهد أحدا، فكان ممن ثبت فيها، وكان من أطول الناس وأعظمهم جسما. ورمي بسهم يوم الخندق، فمات من أثر جرحه. ودفن بالبقيع، وعمره سبع وثلاثون سنة. وحزن عليه النبي ﷺ.
ترجمته في: طبقات ابن سعد: ٣/٢/٢ - ١٣، طبقات خليفة، ص٧٧، التاريخ الكبير ٤/ ٦٥، التاريخ الصغير ١/ ٢٢، الجرح والتعديل ٤/ ٩٣، الاستبصار، ص٢٠٥ - ٢١١، الاستيعاب ٤/١٦٣ - ١٦٧، أسد الغابة ٢/٣٧٣ - ٣٧٧، تهذيب الأسماء واللغات ١/٢١٤ - ٢١٥، العبر ١/٧، تهذيب التهذيب ٣/ ٤٨١، الإصابة ٤/١٧١ - ١٧٢، شذرات الذهب ١/ ١١.

(٥) أخرجه أحمد (٣/ ٢٣٤، رقم ١٣٤٦٠)، ومسلم (٤/ ١٩١٦، رقم ٢٤٦٧)، وابن حبان (١٥/ ٥٠٥،=

واختلف الناس في تأويل هذا الحديث :

فذهب قوم إلى أن العرش هو عرش اللّٰه ، وأنه تحرك على الحقيقة لموت سعد ، وهذا فاسد ، لا يجوز أن يتحرك عرش الرحمن لموت أحد ولا لحياته ، فإذا كانت الشمس لا تنكسف لموت أحد(١) ، فكيف يتحرك العرش؟! وعلى أن العرش لو تحرك ، لانكسفت الشمس لتحركه ، واضطربت الأرض لاضطرابه .

وذهب قوم إلى أن العرش ههنا هو السرير الذي كان عليه سعد .

وهذا أيضا تأويل فاسد ؛ لأن التأويل إذا كان على هذا ، لم يكن لسعد فيه فضيلة ، ولا للخبر فائدة ، ولأن كل سرير من سُرُرِ الموتى يتحرك لتجاذب الناس إياه .

وبعد : فكيف يكون العرش السرير الذي حُمل عليه سعد ﷺ وقد روى ابن

=رقم ٧٠٣٢) ، والطبراني (٦/ ١٢، رقم ٥٣٤٣) من حديث أنس .

وذكره الحكيم (٩٩/١) من حديث ابن عمر .

وأخرجه الطبراني (٦/ ١٢، رقم ٥٣٤١) من حديث معيقيب ، قال الهيثمي (٣٠٩/٩) : فيه عمرو بن مالك الغبري وثقه ابن حبان وقال : يغرب . وضعفه أبو حاتم وأبو زرعة وبقية رجاله رجال الصحيح .

وأخرجه الحاكم (٣/ ٢٢٨، رقم : ٤٩٢٧) . وأخرجه أيضًا : ابن أبي شيبة (٦/ ٣٩٣، رقم ٣٢٣١٤) ، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣/ ٤٦٨، رقم ١٩٢٦) من حديث أسيد بن خضر .

وأخرجه أحمد (٣/ ٣١٦، رقم ١٤٤٤٠) ، والبخاري (٣/ ١٣٨٤، رقم ٣٥٩٢) ، ومسلم (٤/ ١٩١٥، رقم ٢٤٦٦) ، والترمذي (٥/ ٦٨٩، رقم ٣٨٤٨) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (١/ ٥٦، رقم ١٥٨) ، وابن حبان (١٥/ ٥٠٤، رقم ٧٠٣١) ، والحاكم (٣/ ٢٢٩، رقم ٤٩٢٨) وقال : صحيح الإسناد . من حديث جابر .

وأخرجه أحمد (٦/ ٣٢٩، رقم ٢٦٨٣٦) ، وابن سعد (٤٣٥/٣) من حديث رميثة .

وأخرجه أحمد (٣/ ٢٣، رقم ١١٢٠٠) ، وأبو يعلى (٢/ ٤٥٠، رقم ١٢٦٠) ، وابن قانع (٢٥٩/١) ، والحاكم (٢٢٧/٣، رقم ٤٩٢٢) وقال : صحيح على شرط مسلم . من حديث أبي سعيد .

(١) لقول النبي ﷺ : «إن الشمس والقمر آيتان من آيات اللّٰه لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فادعوا اللّٰه وكبروا وصلوا وتصدقوا يا أمة محمد واللّٰه ما من أحد أغير من اللّٰه أن يزنى عبده أو تزنى أمته يا أمة محمد واللّٰه لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا اللهم هل بلغت» .

أخرجه مالك (١/ ١٨٦، رقم ٤٤٤) ، وأحمد (٦/ ١٦٤، رقم ٢٥٣٥١) ، والبخاري (١/ ٣٥٤، رقم ٩٩٧) ، ومسلم (٢/ ٦١٨، رقم ٩٠١) ، وأبو داود (١/ ٣٠٧، رقم ١١٨٠) . والنسائي (٣/ ١٣٢، رقم ١٤٧٤) ، وابن ماجه (١/ ٤٠١، رقم ١٢٦٣) ، وابن الجارود (ص ٧٣، رقم ٢٤٩) ، وابن خزيمة (٢/ ٣١٩، رقم ١٣٨٧) .

لهيعة[١] ، عن أبي الزبير[٢] ، عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ»[٣] .

والصحيح من التأويل في هذا أن يقال :

الاهتزاز هو الاستبشار والسرور ، يقال إن فلانا يهتز للمعروف . أي : يستبشر ويُسَرُّ به ، وإن فلانا لتأخذه عند الثناء هِزَّةٌ ، أي : ارتياح وطلاقة . ومنه قيل في المثل : إن فلانا إذا سئل ارْتَزَّ ، وإذا دُعِيَ اهْتَزَّ ، والكلام لأبي الأسود الدؤلي[٤] ، يريد : إذا دُعي إلى طعام

---

(١) ابن لَهِيعة (٩٧ - ١٧٤هـ/٧١٥ - ٧٩٠م) هو : عبد الله بن لهيعة بن فرعان الحضرميّ المصري ، أبو عبد الرحمن : قاضي الديار المصرية وعالمها ومحدثها في عصره . قال الإمام أحمد بن حنبل : ماكان محدث مصر إلا ابن لهيعة ، وقال سفيان الثوري : عند ابن لهيعة الأصول وعندنا الفروع . ولي قضاء مصر للمنصور العباسي سنة ١٥٤هـ فأجرى عليه ٣٠ دينارا كل شهر ، فأقام عشر سنين . وصرف سنة ١٦٤هـ ، واحترقت داره وكتبه سنة ١٧٠هـ فبعث إليه الليث بألف دينار . قال الذهبي : كان ابن لهيعة من الكتّاب للحديث والجمّاعين للعلم والرحّالين فيه . توفي بالقاهرة .

ترجمته في : طبقات ابن سعد ٧/٥١٦، تاريخ خليفة ١/١٣٧ و٢/ ٧١٤، التاريخ الكبير ٥/ ١٨٢، المعارف ، ص ٢٢١، الجرح والتعديل ٨/ ٣٣٥، كتاب المجروحين ٢/ ١٠، الولاة والقضاة ، ص ٣٦٨، الكامل لابن عدي ، تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢٨٣، وفيات الأعيان ٣/ ٣٨، ٣٩، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٣٧، ميزان الاعتدال ٢/ ٤٧٥، تذهيب التهذيب ٢/ ١٧٦، العبر ١/ ٢٦٤، ٢٦٥، تهذيب التهذيب ٥/ ٣٧٣، رفع الإصر ، ص ٢٨٧، خلاصة تذهيب الكمال ٢١١، شذرات الذهب ١/ ٢٨٣، ٢٨٤، الضعفاء الصغير ، ص ٦٦، الكاشف ٢/ ١٢٢، الضعفاء والمتروكين ، ص ٦٥، حسن المحاضرة ١/ ٣٠١.

(٢) ابن تَدْرُس (١٢٦هـ/٧٤٣م) هو : محمد بن مسلم بن تدرس ، أبو الزبير القرشي الأسدي بالولاء ، عالم بالحديث من أهل مكة ، اختلف المحدثون في توثيقه . بقي من تصنيفه (أحاديث) جمعها عبد الله بن محمد الأصبهاني الحياني .

ترجمته في : طبقات ابن سعد ٥/ ٤٨١، طبقات خليفة ، ص ٢٨١، التاريخ الكبير ١/ ٢٢١، تاريخ الفسوي ٢/ ٢٢، الجرح والتعديل ٨/ ٧٤، تاريخ الإسلام ٥/ ١٥٢، ميزان الاعتدال ٤/٣٧، تذكرة الحفاظ ١/ ١٢٦، العبر ١/ ١٦٨، العقد الثمين ٢/ ٣٥٤، ٣٥٥، تهذيب التهذيب ٩/ ٤٤٠، طبقات الحفاظ ٥٠ - ٥١، خلاصة تذهيب الكمال ٣٥٨، شذرات الذهب ١/ ١٧٥.

(٣) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة .

(٤) ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني : واضع علم النحو . كان معدودا من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان والحاضري الجواب ، من التابعين . رسم له علي بن أبي طالب شيئا من أصول النحو ، فكتب فيه أبو الأسود . وأخذه عنه جماعة . وفي صبح الأعشى أن أبا الأسود وضع الحركات والتنوين لا غير . سكن البصرة في خلافة عمر ، وولي إمارتها في أيام علي ، استخلفه عليها عبد الله بن عباس لما=

يأكله ارتاح واستبشر، وإذا سئل حاجة ارتز. أي: تَقَبَّضَ ولم ينطلق. ومنه قول الشاعر، وأنشدنا ابن الأنباري عن ثعلب النحوي[١]:

وتأخذه عند المكارم هزة كما اهتز تحت البارح الفَنَنُ الرَّطْبُ

فمعنى الاهتزاز في هذا الحديث: هو الاستبشار والسرور.

وأما العرش فعرش الرحمن على ما جاء في الحديث، وإنما المعنى في ذلك أن حملة العرش الذين يحملونه ويَحِفُّون حوله ـ فرحوا بقدوم روح سعد عليهم، فأقام العرش مقام من يحمله، ويَحِفُّ به من الملائكة، كما قال اللّٰه تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾[٢]. يريد: ما بكى عليهم أهل السماء ولا أهل الأرض. وهذا ـ أيضا ـ كما قال رسول اللّٰه ﷺ: «**هذا جبل يحبنا**»[٣]. أي أهله، يعني: الأنصار. «**ونحبه**». أي: ونحب أهله[٤]. وجاء في الحديث: «**أن الملائكة تستبشر بروح المؤمن، وأن لكل مؤمن بابا من السماء يصعد فيه عمله، وينزل منه رزقه، ويَعْرُجُ فيه روحه إذا مات**»[٥].

وكأن حملة العرش من الملائكة فرحت واستبشرت لقدوم سعد عليهم؛ لكرامته، وطيب رائحته، وحسن عمل صاحبه.

* * *

=شخص إلى الحجاز. ولم يزل في الإمارة إلى أن قتل علي. وكان قد شهد معه (صفين). ولما تم الأمر لمعاوية قصده فبالغ معاوية في إكرامه.

ترجمته في طبقات ابن سعد ٧/ ٩٩، وطبقات خليفة (١٥١٥)، ومراتب النحويين ١١، والأغاني ١٢/ ٢٩٧، وأخبار النحويين البصريين ١٣، ومعجم الشعراء للمرزباني ٦٧، طبقات النحويين ٢١، الفهرست لابن النديم ٣٩، نزهة الألبا ١/ ٨، معجم الأدباء ١٢/ ٣٤، وأسد الغابة ٣/ ٦٩، إنباه الرواة ١/ ١٣، وفيات الأعيان ٢/ ٥٣٥.

(١) البيت في الزاهر، ص ٢٧٠، وأمالي القالي ٢/ ٣.

(٢) الدخان: ٢٩.

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٥٨، رقم ٢٧٣٢)، ومسلم (٢/ ١٠١١، رقم ١٣٩٣)، وابن حبان (٩/ ٤٢، رقم ٣٧٢٥)، وأبو يعلى (٥/ ٣٢٥، رقم ٢٩٤٨).

(٤) وقيل: نأنس به وترتاح نفوسنا لرؤيته.

(٥) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٨٠، رقم ٣٢٥٥) وقال: غريب. وأبو يعلى (٧/ ١٦٠، رقم ٤١٣٣)، وأبو نعيم في الحلية (٨/٣٢٧).

باب بيان تأويل خبر آخر

عقبة بن عامر[١] ـ رضي الله عنهما ـ عن رسول اللّٰه ﷺ أنه قال : **«لو جُعِلَ القرآن في إهابٍ ، ثم أُلْقِيَ في النار ما احترق»**[٢] .

اعلم أن الناس اختلفوا في تأويله على وجوه :

يُروى عن الأصمعي[٣] **أنه قال** : معناه : لو جعل في جسد رجل . كأنه يذهب إلى أن من علَّمه اللّٰه القرآن ، لو أُلقي في النار لم تحرقه ؛ لأن اللّٰه ـ تبارك وتعالى ـ لا يعذب قلبا وعى القرآن .

وقال آخرون : إن القرآن لو كتب في جِلْدٍ ، ثم أُلقي في النار ـ ما أحرقته على عهد رسول اللّٰه ﷺ وكان هذا من دلائل النبوة معروفة متعالمة ، يتناقلها أهل العلم ويشيعونها .

ولا يقع هذا فيما أخبروا به منها ، ولو كان ـ عليه السلام ـ أراد هذا المعنى ، لقال : لو جُعل القرآن في إهاب ، ثم أُلقي في النار ـ ما احترق الآن ، وما احترق في زماني وأنا

---

(١) عُقْبَة بن عامِر (٥٨هـ/٦٧٨م) هو : عقبة بن عامر بن عبس بن مالك الجهنيّ ، أمير من الصحابة ، كان رديف النبي ﷺ وشهد صفين مع معاوية ، وحضر فتح مصر مع عمرو بن العاص . وولي مصر سنة ٤٤هـ وعزل عنها سنة ٤٧ وولي غزو البحر . ومات بمصر . كان شجاعا فقيها شاعرا قارئا ، من الرماة . وهو أحد من جمع القرآن . قال ابن يونس : ومصحفه بمصر إلى الآن (أي إلى عصر ابن يونس) بخطه على غير تأليف مصحف عثمان ، وفي آخره : وكتبه عقبة ابن عامر بيده .

ترجمته في : التاريخ لابن معين ٤٠٩، طبقات ابن سعد ٤/٣٤٣، ٣٤٤، طبقات خليفة ، ص ١٢١، ٢٩٢، تاريخ خليفة ١٩٧، ٢٢٥، التاريخ الكبير ٦/ ٤٣٠، المعارف ، ص ٢٧٩، الجرح والتعديل ٦/ ٣١٣، الاستيعاب ٣/ ١٠٧٣، ، أسد الغابة : ٤/ ٥٣، تاريخ الإسلام ٢/ ٣٠٦، العبر ١/ ٦٢، تهذيب التهذيب ٧/٢٤٢ ـ ٢٤٤، الإصابة ٧/ ٢١، خلاصة تذهيب الكمال ٢٦٩، شذرات الذهب ١/ ٦٤.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٥١، رقم ١٧٤٠٣) . قال الهيثمى (١٥٨/٧) : رواه أحمد ، وأبو يعلى ، والطبراني ، وفيه ابن لهيعة ، وفيه خلاف .وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٥٥٥، رقم ٢٧٠٠) عن عصمة بن مالك .

(٣) هو : عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي ، أبو سعيد الاصمعي (١٢٢ ـ ٢١٦هـ) راوية العرب ، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان . مولده ووفاته في البصرة ، كان كثير التطواف في البوادي ، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها ، ويتحف بها الخلفاء ، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة . أخباره كثيرة جدا . الأعلام ٤/ ١٦٢.

حي، فلما قال: «**ما احترق**». ولم يأتِ بتخصيص لم يحمل هذا إلا على العموم.

وأما القول الأول الذي ذكر صاحبه أن من أدخله النار من المسلمين لم تحرقه فَرَدٌّ حديث رسول الله ﷺ وتابعيه، فإن رسول الله ﷺ قال: «**يخرج قوم من النار بعدما يحترقون فيها، فيقال: هؤلاء الجَهَنَّمِيُّونَ، طلقاء الله**»[(١)].

وقال حذيفة بن اليمان[(٢)] مثل ذلك، وهو قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وقال أبو سعيد الخدري: إن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: انظروا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوهم**». قال: «**فيخرجون وقد عادوا حِمَما، فيلقون في نهر يسمَّى نهر الحَيَوَانِ، فينبتُون كما تَنْبُتُ الحبة في حَمِيل السيل**»[(٣)]. فكيف لا تحرق النار من يخبر رسول الله ﷺ أنه يصير حِمَمَةً، وهي الفحمة، وجمعها: حِمَمٌ.

وقوله: «**الحبة**». قال الأصمعي: الحبة: كل نبت لها حب، فاسم الحب منه الحبة.

وقال الفراء: الحبة: بذور البقل.

وقال أبو عمرو: الحبة نبت في الحشيش صغير.

وقوله: «**في جانب حمائل السيل**». واحد الحمائل: حامل، وهو: كل ما حمله السيل وأصله: محمول.

فكيف يجوز أن يصح قول من قال: «**إن النار لا تحرق قراء القرآن**». ولا خلاف بين

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٣٣، رقم ١٢٣٨٤)، والبخاري (٦/ ٢٧١١، رقم ٧٠١٢)، والنسائي في الكبرى (٤/ ٤٠١، رقم ٧٦٩٠) والدارمي (١/ ٤١، رقم ٥٢).

(٢) حذيفة بن اليمان (٣٦هـ/٦٥٦م) هو: حذيفة بن حسل بن جابر العبسي، أبو عبد الله، واليمان لقب حسل: صحابي، من الولاة الشجعان الفاتحين. كان صاحب سر النبي ﷺ في المنافقين، لم يعلمهم أحد غيره. ولما ولي عمر سأله: أفي عمالي أحد من المنافقين؟ فقال: نعم، واحد. قال: من هو؟ قال: لا أذكره. وحدث حذيفة بهذا الحديث بعد حين فقال: وقد عزله عمر كأنما دل عليه.

ترجمته في: طبقات ابن سعد ٦/١٥ و ٧/٣١٧، وحلية الأولياء ١/ ٢٨٣، الاستيعاب ١/ ٣٣٤، وأسد الغابة ١/ ٤٦٨، والعبر ١/ ٢٦، ٣٧، والإصابة ٢/ ٢٢٣، وشذرات الذهب ١/ ٣٢.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٥٦، رقم ١١٥٥٠)، والبخاري (٥/ ٢٤٠٠، رقم ٦١٩٢)، وأبو يعلى (٢/ ٤٢٣، رقم ١٢١٩)، وأبو عوانة (١/ ١٥٨، رقم ٤٥٥)، والبيهقي (١٠/ ١٩١، رقم ٢٠٥٦٨).

المسلمين في أن الخوارج[١] وغيرهم ممن يلحد في دين اللّٰه يقرءون القرآن ، ويحفظون قراءته ، ويتقنون حروفه ، وهم ممن تحرقه النار بغير شك .

والذي احتج به من حديث أبي أمامة الباهلي[٢]ﷺ : **«إن اللّٰه تعالى لا يعذب قلبا وعى[٣] القرآن»**[٤] . إيمانا به وعملا ، فأما من حفظ قراءته وضيع حدوده ، فإنه غير واعٍ له ، والدليل على ذلك ما قال رسول اللّٰه ﷺ : **«يكون فيكم قوم تُحَقِّرُونَ صلاتكم مع صلاتهم ، وأعمالكم مع أعمالهم ، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يَمْرُقُونَ من الدين مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ»**[٥] .

والصحيح من تأويله أن يقال :

إن معنى قوله ﷺ : **«لو جعل القرآن في إهاب»** . أي : لو كتب القرآن في جلد ثم طرح الجلد في النار ما احترق . أي : ما احترق القرآن . أي ما بطل ولا اندرس ، وإنما يبطل المداد والجلد ، ويحترق ذلك دون القرآن .

فهذا مثل قوله ﷺ حاكيا عن اللّٰه تعالى : **«إني منزل عليك كتابا لا يغسله الماء ، تقرؤه نائما ويقظا»**[٦] . فلم يرد ـ سبحانه ـ أنه لو كتب القرآن في شيء وغسل بالماء ، لم

---

(١) هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب بسبب مسألة التحكيم في موقعة صفين ، وصاروا يحكمون بكفر مرتكب الكبيرة وقد افترقوا على نحو عشرين فرقة منهم الأزارقة والعجاردة ، وقد اتفق ـ كما قال الشهرستاني ـ على أن كل من خرج على إمام الحق يسمى خارجيًا سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم في كل زمان . الأشعري : مقالات الإسلاميين ١/ ١٦٧، الشهرستاني : الملل والنحل ١/ ١٩٥، البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٧٢، التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون ٢/ ١٨٢.

(٢) هو : صدي بن عجلان بن وهب الباهلي ، أبو أمامة : صحابي . كان مع علي في (صفين) وسكن الشام ، فتوفي في أرض حمص . وهو آخر من مات من الصحابة بالشام .

ترجمته في : طبقات ابن سعد ٧/ ٤١١، طبقات خليفة (٢٩٧، ٢٨٣٩) ، الاستيعاب ٢/ ٧٣٦، أسد الغابة ٣/ ١٦، و ٦/ ١٦، مرآة الجنان ١/ ١٧٧، سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٥٩.

(٣) وعى القرآن : أي حفظه وتدبره وعمل بما فيه .

(٤) أخرجه تمام (٢/ ٢٦١، رقم ١٦٩٠) ، وابن عساكر (٧/٦٢) . وابن أبي شيبة (٦/ ١٣٣، رقم ٣٠٠٧٩) ، والدارمي (٢/ ٥٢٤، رقم ٣٣١٩) .

(٥) أخرجه البخاري (٤/ ١٩٢٨، رقم ٤٧٧١) ، ومسلم (٢/ ٧٤٣، رقم ١٠٦٤) ، والنسائي في الكبرى (٥/ ٣١، رقم ٨٠٨٩) . ومالك (١/ ٢٠٤، رقم ٤٧٨) ، وأحمد (٣/ ٦٠، رقم ١١٥٩٦) .

(٦) أخرجه أحمد (١٦٢/٤ رقم ١٧٥١٩) ، ومسلم (٢١٩٧/٤ رقم ٢٨٦٥) والطبراني (٣٥٨/١٧ رقم ٩٨٧) .

ينغسل، وإنما أراد: أن الماء لا يبطله ولا يدرسه.

وكذلك قوله: «**ما احترق**». أي: في حقيقة الأمر، إذ كان لا يبطل ولا يندرس، ومثل هذا كثير في كتاب اللّٰه سبحانه، قال اللّٰه تعالى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾[1]. وهم قد كتموا اللّٰه لما قالوا: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[2]. وإنما أراد: ولا يكتمون اللّٰه حديثا في حقيقة الأمر؛ لأنهم ـ وإن كتموه في الظاهر ـ فالذي كتموه غير مستتر عنه، ولا غائب عليه.

❊ ❊ ❊

---

(١) النساء: ٤٢.

(٢) الأنعام: ٢٣.

باب : بيان تأويل خبر آخر

ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **«رأيت ربي في أحسن صورة ، فقال : يا محمد . قلت : لبيك وسعديك . فقال : فيم يختصم الملأ الأعلى . فقلت : ربي ، لا أدري . قال : فوضع كفه بين كتفيَّ ، فوجدت بردها بين ثديي ، فعلمت ما بين المشرق والمغرب . ثم قال : يا محمد ، فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت : ربي ، لا أدري . قال : في الكفار ، والمشي على الأقدام إلى الجماعات ، وإسباغ الوضوء في السَّبَرَاتِ ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فمن حافظ عليهن عاش بخير ومات بخير ، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»**[1] .

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٦٨، رقم ٣٤٨٤) وعبد بن حميد (ص ٢٢٨، رقم ٦٨٢) والترمذي (٥/ ٣٦٧، رقم ٣٢٣٤) ، وقال حسن غريب . من حديث ابن عباس

وأخرجه الترمذي (٥/ ٣٦٨، رقم ٣٢٣٥) ، وقال : حسن صحيح ، والطبراني (٢٠/ ١٠٩، رقم ٢١٦) . وأحمد (٥/ ٢٤٣، رقم ٢٢١٦٢) ، والبزار (٧/ ١١٠، رقم ٢٦٦٨) من حديث معاذ بن جبل .

وأخرجه الطبراني (٨/ ٢٩٠، رقم ٨١١٧) من حديث أبي أمامة . قال الهيثمي (١٧٩/٧) : فيه ليث بن أبي سليم ، وهو حسن الحديث على ضعفه ، وبقية رجاله ثقات .

وأخرجه الطبراني (١/ ٣١٧، رقم ٩٣٨) من حديث أبي رافع . قال الهيثمي (٢٣٧/١) : فيه عبد الله بن إبراهيم بن الحسين عن أبيه ، ولم أر من ترجمهما .

وأخرجه الطبراني (٨/ ٣٢٢، رقم ٨٢٠٧) . وفي الأوسط (٥/ ٣٤٢، رقم ٥٤٩٦) من حديث طارق بن شهاب ، قال الهيثمي (٢٣٨/١) : فيه أبو سعد البقال ، وهو مدلس ، وقد وثقه وكيع . وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٣٠، رقم ١٠) .

وأخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٣٤/١) من حديث أبي هريرة .

وأخرجه ابن حبان في الضعفاء (٣/ ١٣٥، ترجمة ١٢٣٤ يوسف بن عطية الصفار السعدي) . وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية (٣١/١) من حديث أنس .

وأخرجه الخطيب (١٥١/٨) . وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٣٠، رقم ١٠) من حديث أبي عبيدة بن الجراح .

وأخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (١٧٧/٧) قال الهيثمي : رجال الحديث ثقات ، وقد سئل الإمام أحمد عن حديث عبد الرحمن بن عائش عن النبي ﷺ بهذا الحديث فذكر أنه صواب . وأخرجه أيضًا : الطبراني في الشاميين (١/ ٣٩٩، رقم ٥٩٧) ، والدارقطني في الرؤية (ص ٣١٦) ، ومحمد بن نصر في قيام الليل كما في مختصره للمقريزي (ص ٨١ رقم ٢٦) ، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٣١، رقم ١١) . وعزاه الحافظ في الإصابة (٤/ ٣٢٠، ترجمة ٥١٥٢ عبد الرحمن بن عائش الحضرمي) لابن خزيمة =

قوله : «**رأيت ربي**» . عز وجل يعني : في المنام ، ورؤية اللَّه في المنام جائزة عند عامة المعتزلة والمثبتة ، حتى زعم بعض علماء المعتزلة أن بعض الناس أنكر رؤية اللَّه في المنام ، إذ كان لا يجوز عليه التصوير ، قال : وليس لإنكاره وجه ، ولا في رؤيته إيجاب صورة له ، ولا في رؤيته إياه إيجاب صورة له ، والرؤية وَهْم يوضع في الناس للدلالة .

وقوله : «**في أحسن صورة**» . معناه ـ واللَّه أعلم ـ : وأنا في أحسن صورة ، فيكون رجوع التصوير إلى رسول اللَّه ﷺ لا إلى القديم .

وقوله : «**فوضع كفه بين كتفي**» . يريد به : فوضع نعمته ومنته ورحمته بين كتفي ، على مذهب العرب في تسمية النعمة والأثر الحسن كفًّا .

وقوله : «**فوجدت بردها**» . يعني : برد النعمة . بمعنى : بردها وعلمها وأثرها .

وروي عن ثوبان(١) رضي الله عنه عن رسول اللَّه ﷺ : «**فوضع كفه بين كتفي ، حتى وجدت برد أنامله في صدري**»(٢) . يريد ـ واللَّه أعلم ـ : حتى وجدت آثار إحسانه ونعمته وامتنانه ورحمته في صدري ، فتجلى له عند ذلك ما بين السماء والأرض برحمة اللَّه وفضل نعمته وسَوقه الخير بذلك . وصرف معنى هذا الحديث إلى ما يليق بالقديم ـ سبحانه ـ أولى من صرفه إلى ما لا يليق به ، ويدعو إلى تشبيهه بخلقه ، تعالى اللَّه عن ذلك ! !

* * *

= والدارمى والبغوى وابن السكن وأبى نعيم . من حديث عبد الرحمن بن عائش .

وأخرجه أحمد (٤/ ٦٦، رقم ١٦٦٧٢) من حديث بعض أصحاب النبي ﷺ ، قال الهيثمي (١٧٦/٧) : رجاله ثقات . وأخرجه أيضًا : ابن الجوزى فى العلل المتناهية (١/ ٣٢، رقم ١٢) .

وأخرجه البزار كما في كشف الأستار (٤/ ٦٠ رقم ٣١٩٧) من حديث ثوبان ، قال الهيثمي (١٧٧/٧) : أبو يحيى لم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات . والروياني (١/ ٤٢٩، رقم ٦٥٦) .

(١) ثوبان (٥٤هـ/٦٧٤م) هو : ثوبان بن يجدد ، أبو عبد اللَّه : مولى رسول اللَّه ﷺ ، أصله من أهل السراة (بين مكة واليمن) اشتراه النبي ﷺ ثم أعتقه ، فلم يزل يخدمه إلى أن مات ، فخرج ثوبان إلى الشام فنزل الرملة (في فلسطين) ثم انتقل إلى حمص فابتنى فيها دارا ، وتوفي بها .

ترجمته في : طبقات ابن سعد ٧/ ٤٠٠، وسير أعلام النبلاء ٣/ ١٥.

(٢) تقدم تخريجه ضمن التخريج الموسع للحديث .

باب بيان تأويل خبر آخر

أن رسول اللّه ﷺ قال: «**صلة الرحم تزيد في العمر**»(١). وقال في خبر آخر: «**صل رحمك أزد في عمرك**»(٢). وقال: «**من أحب أن يُنسأ له في عمره، فليصل رحمه**»(٣).

فإن قال قائل: إن اللّه - عز وجل - يقول في محكم كتابه: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾(٤). وقال أيضا: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَآ﴾(٥). فأخبر بأن الأجل لا يتقدم ولا يتأخر، فكيف يجوز لرسول اللّه ﷺ أن يقول: «**صلة الرحم تزيد في العمر**»؟

قيل له: هذه أخبار صحيحة، ولها وجوه، وليس منها مخالف للكتاب، وقد روي عن رسول اللّه ﷺ في ذلك كنحو ما في الكتاب، قالت أم حبيبة(٦) - رضي اللّه

---

(١) أخرجه القضاعي (١/ ٩٤، رقم ١٠٢)، وابن عساكر (١٧٢/١٧)، والرافعي (٤٢٩/١).

(٢) أخرجه الديلمي (٥/ ٤٠٣، رقم ٨٥٥٨) بنحوه.

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٧٢٨، رقم ١٩٦١)، ومسلم (٤/ ١٩٨٢، رقم ٢٥٥٧)، وأبو داود (٢/ ١٣٢، رقم ١٦٩٣)، وأحمد (١٥٦/٣، رقم ١٢٦١٠)، والنسائي (٤٣٨/٦، رقم ١١٤٢٩)، والطبراني في الأوسط (٣/ ٤١، رقم ٢٤١١). من حديث أنس.
وأخرجه البخاري (٥/ ٢٢٣٢، رقم ٥٦٣٩) من حديث أبي هريرة.
وأخرجه أحمد (٥/ ٢٧٩، رقم ٢٢٤٥٣)، وأبو يعلى (٧/ ١٣٥، رقم ٤٠٩٧) عن ثوبان.

(٤) الأعراف: ٣٤.

(٥) المنافقون: ١١.

(٦) أم حبيبة (٢٥ ق هـ - ٤٤هـ/٥٩٦ - ٦٦٤م) هو: رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية، صحابية، من أزواج النبي ﷺ وهي أخت معاوية، كانت من فصيحات قريش، ومن ذوات الرأي والحصافة. تزوجها أولا عبيد اللّه بن جحش وهاجرت معه إلى أرض الحبشة (في الهجرة الثانية) ثم ارتد عبيد اللّه عن الإسلام، فأعرضت عنه إلى أن مات، فأرسل إليها رسول اللّه ﷺ يخطبها وعهد للنجاشي (ملك الحبشة) بعقد نكاحه عليها، ووكلت هي خالد بن سعيد بن العاص فأصدقها النجاشي من عنده أربعمائة دينار، وذلك سنة ٧هـ، ولها من العمر بضع وثلاثون سنة، وكان أبوها لا يزال على دين الجاهلية، فلما بلغه ما صنع النبي ﷺ عجب له وقال: ذلك الفحل لا يقرع أنفه! توفيت بالمدينة .، ترجمتها: طبقات ابن سعد: ٩٦/٨ - ١٠٠ الاستيعاب ٤/ ١٨٤٣، وأسد الغابة ٧/ ١١٥، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٢١٩، والإصابة ٢٦٠/١٢وشذرات الذهب ١/ ٥٤، والأعلام ٣/ ٣٣.

عنها ـ : اللهم متعني بأبي سفيان ، وبأخي معاوية[١] ، فقال رسول الله ﷺ : «**لقد سألتِ في آجال مضروبة ، وأرزاق مقسومة ، ولا يؤخَّر منها شيء**»[٢] .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : «**إن الله ـ سبحانه ـ يبعث ملك الأرحام ، فيكتب أجل المولود في بطن أمه ، ورزقه ، وشقاءه وسعادته**»[٣] .

وكذلك روى ابن عمر[٤] وجابر[٥] ـ رضي الله عنهما ـ عن رسول الله ﷺ في مثل هذا المعنى .

فهذه أخبار عن رسول الله ﷺ قد جاءت مجيء كتاب الله ، أن لكل نفس أجلا ، لا يتقدم أجلها ولا يتأخر .

واختلف أهل النظر في الزيادة في العمر :

فقال بعضهم : إن الزيادة في العمر تكون بمعنى السعة والزيادة . . .[٦]

---

(١) هو معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية ، أبو عبد الرحمن القرشي الأموي المكي ، أسلم قبل أبيه وقت عمرة القضاء ، وبقي يخاف اللحاق بالنبي ﷺ من أبيه ، وما ظهر إسلامه إلا يوم الفتح ، وكان من كتاب الوحي لرسول الله ﷺ ، وعمل واليا لعمر بن الخطاب على الشام وأقره عثمان ، تولى خلافة المسلمين عشرين سنة ، وكان محببا إلى رعيته . وله فضائل كثيرة ، مات رضي الله عنه في رجب سنة ستين وعاش سبعين سنة . ترجمته عند ابن عبد البر : الاستيعاب ٣/ ١٤١٦ ، والخطيب : تاريخ بغداد ١/ ٢٠٧ ، والذهبي : سير أعلام النبلاء ٣/ ١١٩ .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٥٠ ، رقم ١٢٠٢٩) ، وأحمد (١/ ٣٩٠ ، رقم ٣٧٠٠) ، ومسلم (٤/ ٢٠٥٠ ، رقم ٢٦٦٣) ، وابن حبان (٧/ ٢٣٥ ، رقم ٢٩٦٩) .

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٢ ، رقم ٣٦٢٤) ، والبخاري (٣/ ١١٧٤ ، رقم ٣٠٣٦) ، ومسلم (٤/ ٢٠٣٦ ، رقم ٢٦٤٣) ، وأبو داود (٤/ ٢٢٨ ، رقم ٤٧٠٨) والترمذي (٤/ ٤٤٦ ، رقم ٢١٣٧) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (١/ ٢٩ ، رقم ٧٦) .

(٤) أخرجه أبو يعلى (١٠/ ١٥٤ ، رقم ٥٧٧٥) ، والبزار كما في كشف الأستار (٣/ ٢٣ ، رقم ٢١٤٩) ، قال الهيثمي (٧/١٩٣) : رواه أبو يعلى والبزار ورجال أبي يعلى رجال الصحيح . والدارقطني في الأفراد كما في أطراف ابن طاهر (٣/ ٣٨٨ ، رقم ٣٠٠٦) . وابن حبان (١٤/ ٥٤ ، رقم ٦١٧٨) .

(٥) أخرجه أحمد (٣/ ٣٩٧ ، رقم ١٥٣٠٤) عن جابر ، قال الهيثمي (٧/١٩٢) : فيه خصيف ، وثقه ابن معين وجماعة وفيه خلاف ، وبقية رجاله ثقات .

(٦) كذا في المخطوط ، حيث يوجد بياض حوالي صفحة ، والظاهر أنه سقط . حيث إن الكلام التالي عن حديث النزول ، وليس الزيادة في العمر .

سماء الدنيا فيقول لهم ما روي عنه في الخبر(١).

ولا يجوز حمل ذلك على نزول الحركة والنقلة، لما فيه من تفريغ مكان وشغل آخر، والقديم قد جل أن يكون موصوفا بشيء من ذلك كذلك، وقد حكى الله تعالى عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ أنه قال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾(٢).

فإن قيل: فما تقول في قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾(٣). وفي قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾(٤). وفي قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾(٥)؟!

قيل له: إن الله سبحانه قد صح أنه لا يجوز وصفه بالإتيان والمجيء الذي هو بمعنى الانتقال والزوال، إذ كان ذلك من صفة الأجسام، وتعالى الله عن أن يكون جسما أو عرضا، وكلام العرب واسع، له ظهر وبطن، لاتساع العرب في المجازات وطرق الكلام.

ومعنى الإتيان: في قوله: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم﴾(٦). إنما هو الاستئصال في الهلاك والدمار، بإرسال العذاب، كما يقول الناس: أتى السلطان بلد كذا وكذا، فقلبه ظهرا

---

(١) نص الحديث: «ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول هل من سائل فأعطيه هل من مستغفر فأغفر له هل من تائب فأتوب عليه حتى يطلع الفجر».

أخرجه الطيالسي (ص ٢٩٥، رقم ٢٢٣٢)، وابن أبي شيبة (٦/ ٧٢، رقم ٢٩٥٥٦)، وأحمد (٣/ ٣٤، رقم ١١٣١٣) وعبد بن حميد (ص ٢٧٢، رقم ٨٦١)، ومسلم (١/ ٥٢٣، رقم ٧٥٨)، والنسائي في الكبرى (٦/ ١٢٥، رقم ١٠٣٢١)، وأبو يعلى (٢/ ٤٠٠، رقم ١١٨٠)، وابن خزيمة (٢/ ١٨٢، رقم ١١٤٦)، والدارمي (١/ ٤١٣، رقم ١٤٨٠)، والطبراني (٢/ ١٣٤، رقم ١٥٦٦)، وابن أبي عاصم (١/ ٢٢١، رقم ٥٠٧)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٢/ ٥١٢، رقم ١١٩٩)، والبزار (٨/ ٣٦١، رقم ٣٤٣٩)، والروياني (٢/ ٤٣٣، رقم ١٤٥٣).

قال الهيثمي (١٠/ ١٥٤): رواه أحمد والبزار وأبو يعلى ورجالهم رجال الصحيح ورواه الطبراني.

(٢) الأنعام: ٧٦.

(٣) النحل: ٢٦.

(٤) الفجر: ٢٢.

(٥) البقرة: ٢١٠.

(٦) النحل: ٢٦.

لبطن ، وإنما يريدون بذلك الاستئصال الواقع بالبلد من قِبَل السلطان وبأمره ، لا يريدون به حضوره وشهوده ، بل يريدون به الهلاك .

وأما قوله : ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ . فمعناه : وجاء حكم ربك ، وأمر ربك ألا ترى أن الخاص والعام يقول : ضرب الأمير زيدا ، وإن كان الأمير لم يباشر زيدا بالضرب ، بل كان ذلك بأمره وحكمه عليه ، وقد قال اللّٰه تعالى في قصة لوط : ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾[(١)] . وإن كان الطمس للأعين للملائكة بأمر اللّٰه .

وأما قوله تعالى : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾[(٢)] . فمعناه : هل ينظرون إلا أن يأتيهم اللّٰه بالحساب في ظُلل من الغمام؟!

وقال بعضهم : إن قوله تعالى : ﴿فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ . يراد به : بظلل من الغمام ، وأن ﴿فِى﴾ بمعنى الباء ، كما حُكي أن أعرابيًا قرأ (ومن شر النفاثات بالعقد) . فصيَّر الباء مكان في .

وقد سمع من آخر يقول لصاحبه : ارفع بالسماء . يريد : في السماء .

وقد صح أن حروف الصفات يخلُف بعضها بعضا . وقد قال اللّٰه سبحانه : ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[(٣)] .

فقد قيل في التفسير : عن عذاب واقع .

وروى ابن أبي نجيح[(٤)] ، عن مجاهد[(٥)] في قوله : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ

---

(١) القمر : ٣٧.

(٢) البقرة : ٢١٠.

(٣) المعارج : ١.

(٤) هو عبد اللّٰه بن أبي نجيح يسار المكي ، أبو يسار الثقفي مولاهم ، ثقة رُمي بالقدر ربما دلس . مات سنة إحدى وثلاثين ومائة . (انظر : تقريب التهذيب ١٩١) .

(٥) مجاهد بن جبر (٢١ - ١٠٤هـ/٦٤٢ - ٧٢٢م) هو : مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المكي ، مولى بني مخزوم ، تابعي ، مفسر من أهل مكة . قال الذهبي : شيخ القراء والمفسرين . أخذ التفسير عن ابن عباس ، قرأه عليه ثلاث مرات ، يقف عند كل آية يسأله : فيم نزلت وكيف كانت ؟ وتنقل في الأسفار ، واستقر في الكوفة ، وكان لا يسمع بأعجوبة إلا ذهب فنظر إليها ؛ ذهب إلى بئر برهوت بحضرموت ، وذهب إلى بابل يبحث عن هاروت وماروت . ترجمته في : طبقات ابن سعد ٥/ ٤٦٦، والحلية ٣/ ٢٧٩، وطبقات الفقهاء للشيرازي ٦٩، وتهذيب الأسماء واللغات القسم الأول من الجزء الثاني ٨٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٤٩، وتذكرة الحفاظ ١/ ٨٦، والعبر ١/ ١٢٥، وشذرات الذهب ١/ ١٢٥، والأعلام ٥/ ٢٧٨.

﴿فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ . أنه قال : هي السحاب التي يأتي بها الله يوم القيامة[١] ، وهذا نظير التأويل عن ابن عباس أن معناه : يأتي بظلل من الغمام .

وروى أبو صالح[٢] ، عن ابن عباس ـ أيضا ـ في قوله : ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ . قال : يأتيهم بوعده ووعيده ، وأن الله ـ سبحانه ـ يكشف لهم من أمره ما كان مستورا عنهم .

* * *

(١) تفسير ابن جرير ٤/ ٢٦٣ . وفيه : عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ . قال : هو غير السحاب لم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم حين تاهوا ، وهو الذي يأتي الله فيه يوم القيامة .

(٢) أبو صالح المدائني نزيل مكة . ثقة عابد ، مات سنة سبع وتسعين ومائة . (انظر : تقريب التهذيب ١٤٦) .

باب بيان تأويل خبر آخر

المسعودي[١]، عن أبي عبيدة[٢]، عن أبي موسى الأشعري[٣] رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع، فقال: «**إن الله ـ سبحانه ـ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام**[٤]، **يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النار، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره**»[٥].

---

(١) اسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود. مات ببغداد. وكان ثقة كثير الحديث إلا أنه اختلط في آخر عمره. ورواية المتقدمين عنه. الطبقات الكبرى٦/٣٤٦

(٢) عَامر بن عبد الله بن مَسْعُود الْهُذلِيّ الْكُوفِي أَبُو عُبَيْدَة وَيُقَال اسْمه كنيته. رجال صحيح مسلم ٢/ ٨٦.

(٣) هو: عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب التميمي المقرئ، صاحب رسول الله ﷺ أسلم بمكة، وهاجر إلى الحبشة وهو معدود فيمن قرأ على النبي ﷺ، كما أقرأ أهل البصرة وفقههم في الدين، جاهد مع النبي ﷺ فكان أول مشاهده خيبر وحمل علما كثيرا، وولي إمرة الكوفة والبصرة لعمر بن الخطاب، مات رضي الله عنه سنة اثنتين وأربعين.

ترجمته عند ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢/ ٣٤٤، الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٨٠.

(٤) من شرح الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي: (لا ينام ولا ينبغي له أن ينام) معناه أنه سبحانه وتعالى لا ينام وأنه يستحيل في حقه النوم فإن النوم انغمار وغلبة على العقل يسقط به الإحساس والله تعالى منزه عن ذلك وهو مستحيل في حقه جل وعلا (يخفض القسط ويرفعه) قال ابن قتيبة القسط الميزان وسمي قسطا لأن القسط العدل وبالميزان يقع العدل والمراد أن الله تعالى يخفض الميزان ويرفعه بما يوزن من أعمال العباد المرتفعة ويوزن من أرزاقهم النازلة (يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل) معناه والله أعلم يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار الذي بعده وعمل النهار قبل عمل الليل الذي بعده (حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) السبحات جمع سبحة قال صاحب العين والهروي وجميع الشارحين للحديث من اللغويين والمحدثين معنى سبحات وجهه نوره وجلاله وبهاؤه أما الحجاب فأصله في اللغة المنع والستر وحقيقة الحجاب إنما تكون للأجسام المحدودة والله تعالى منزه عن الجسم والحد والمراد هنا المانع من رؤيته وسمي ذلك المانع نورا أو نارا لأنهما يمنعان من الإدراك في العادة لشعاعهما والمراد بالوجه الذات والمراد بما انتهى إليه بصره من خلقه جميع المخلوقات لأن بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الكائنات ولفظة من لبيان الجنس لا للتبعيض والتقدير لو أزال المانع من رؤيته وهو الحجاب المسمى نورا أو نارا وتجلى لخلقه لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته.

(٥) أخرجه مسلم (١/ ١٦١، رقم ١٧٩)، وابن ماجه (١/ ٧٠، رقم ١٩٥)، وأحمد (٤/ ٤٠٥، رقم ١٩٦٤٩)، وأبو عوانة (١/ ١٢٧، رقم ٣٧٩)، وابن حبان (١/ ٤٩٩، رقم ٢٦٦)، والطبراني في الأوسط (٦/ ١٣٩، رقم ٦٠٢٥).

قوله : «**حجابه النار**» . أي : حجابه الذي جعل خلقه محجوبا به النار . لا الباري ـ عز وجل ـ لأن الحجب خلق من خلقه ، والله ـ سبحانه ـ لا يحتجب بخلقه عن خلقه ، وقد روى عطاء بن السائب[1] ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى[2] ، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أنه مر بِقَصَّابٍ وهو يقول : لا والذي احتجب بسبعة أطباق . فقال له أمير المؤمنين : ويحك يا قصاب ، إن الله تعالى لا يحتجب عن خلقه بسبعة أطباق . فقال له القصاب : أفلا أكفِّر عن يميني يا أمير المؤمنين؟ فقال : لا ، لأنك حلفت بغير الله .

وأما قوله : «**لو كشفها**» . أي : لو كشف رحمته عن النار . «**لأحرقت سبحات وجهه**» . أي : لأحرقت محاسن وجه المحجوب عنه بالنار ، الهاء عائدة في قوله ﷺ : «**سبحات وجهه**» . إلى المحجوب لا إلى الله سبحانه ؛ لأن هذا الوصف لا يليق بالقديم ، تعالى الله عما يقول الملحدون علوًّا كبيرا!!

* * *

---

(١) هو : عطاء بن السائب الثقفي مولاهم الكوفي الإمام ، الحافظ ، محدث الكوفة ، أبو السائب . وقيل : أبو زيد . وقيل : أبو يزيد ، وأبو محمد الكوفي . كان من كبار العلماء ، لكنه ساء حفظه قليلا في أواخر عمره . قال أحمد بن حنبل : عطاء ثقة ثقة ، رجل صالح . وقال : من سمع منه قديما كان صحيحا ، ومن سمع منه حديثا لم يكن بشيء . سمع منه قديما : شعبة ، وسفيان . قال ابن سعد ، وغيره : مات عطاء بن السائب سنة ست وثلاثين ومائة .

ترجمته في : طبقات ابن سعد ٦/ ٣٣٨، تاريخ خليفة (٤١٥) طبقات خليفة (١٦٤) ، تاريخ البخاري ٦/ ٤٦٥، التاريخ الصغير ٢/ ٣٩، ٤٥، الجرح والتعديل ٦/٣٣٢ ـ ٣٣٤، ثقات ابن حبان ٣/ ١٩٠، تهذيب الكمال (٩٣٩ ـ ٩٤٠) ، ميزان الاعتدال ٣/٧٠ ـ ٧٣، تهذيب التهذيب ٧/٢٠٣، خلاصة تهذيب الكمال ٢٦٦، شذرات الذهب ١/ ١٩٤.

(٢) عبدالرحمن بن أبي ليلى الامام العلامة الحافظ ، أبو عيسى الأنصاري الكوفي ، الفقيه ، ويقال : أبو محمد ، من أبناء الأنصار ، ولد في خلافة الصديق أو قبل ذلك . وقيل : ولد في وسط خلافة عمر ورآه يتوضا ويمسح على الخفين . قتل ابن أبي ليلى بوقعة الجماجم ، يعني سنة اثنتين وثمانين ، وقيل : سنة ثلاث . ترجمته في طبقات ابن سعد ٦/ ١٠٩، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٦٣.

باب بيان تأويل خبر آخر

شعبة(١) ، عن عمرو بن دينار(٢) ، عن عمرو بن أوس الثقفي(٣) ، أنه سمع عبد اللّٰه بن عمرو - رضي الله عنهما - يقول : قال رسول اللّٰه ﷺ : **«المقسطون عند اللّٰه يوم القيامة على منابر من نور ، عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ، والمقسطون الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا هم عليه»**(٤) .

قوله : **«عن يمين الرحمن»** . قد قيل : إن معناه : عن يمين عرش الرحمن ، على سبيل مذهب العرب في الإضمار .

---

(١) شعبة بن الحجاج (٨٢ - ١٦٠هـ/٧٠١ - ٧٧٦م) هو : شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي ، مولاهم ، الواسطي ثم البصري ، أبو بسطام ، من أئمة رجال الحديث ، حفظا ودراية وتثبتا .
ولد ونشأ بواسط ، وسكن البصرة إلى أن توفي . وهو أول من فتش بالعراق عن أمر المحدثين ، وجانب الضعفاء والمتروكين ، قال الإمام أحمد : هو أمة وحده في هذا الشأن . وقال الشافعي : لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق . وكان عالما بالأدب والشعر ، قال الأصمعي : لم نر أحدا قط أعلم بالشعر من شعبة . له كتاب (الغرائب) في الحديث .
ترجمته في : طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٠ - ٢٨١، وحلية الأولياء ٧/١٤٤ - ٢٠٩، وتاريخ بغداد ٩/٢٥٥ - ٢٦٦، وتهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢٤٤ - ٢٤٦، ووفيات الأعيان ٢/٤٦٩ - ٤٧٠، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٢٠٣، وتذكرة الحفاظ ١/١٩٣ - ١٩٧، وشذرات الذهب ١/ ٢٤٧.

(٢) عمرو بن دِينار (٤٦ - ١٢٦هـ/٦٦٦ - ٧٤٣م) هو : عمرو بن دينار الجمحيّ بالولاء ، أبو محمد الأثرم : فقيه ، كان مفتي أهل مكة . فارسي الأصل ، من الأبناء . مولده بصنعاء ، ووفاته بمكة . قال شعبة : ما رأيت أثبت في الحديث منه . وقال النسائي : ثقة ثبت . واتهمه أهل المدينة بالتشيع والتحامل على ابن الزبير ، ونفي الذهبي ذلك . قال ابن المديني : له خمسمائة حديث .
ترجمته في : طبقات ابن سعد ٥/ ٤٧٩، طبقات خليفة ، ص ٢٨١، تاريخ خليفة ، ص ٣٦٨، التاريخ الكبير ٦/ ٣٢٨، التاريخ الصغير ، ص ١٦٩، المعارف ، ص ٤٦٨، تاريخ الفسوي ٢/ ١٨ و ٢٠٧، الجرح والتعديل ٦/ ٢٣١، طبقات الشيرازي ، ص ٧٠، تذهيب التهذيب ٣/ ٩٧، تاريخ الإسلام ٥/ ١١٤، العقد الثمين ٦/ ٣٧٤، طبقات القراء ١/ ٦٠٠، تهذيب التهذيب ٨/ ٢٨، طبقات الحفاظ ، ص ٤٣، شذرات الذهب ١/ ١٧١.

(٣) هو : عَمْرو بن أَوْس الثَّقَفِيّ ، روى عَن عَنْبَسَة بن أبي سُفْيَان فِي الصَّلَاة وعبد اللّٰه بن عَمْرو بن الْعَاصِ فِي الصَّوْم وَالْجِهَاد وعبد الرحمن بن أبي بكر فِي الْحَج روى عَنهُ النُّعْمَان بن سَالم وَعَمْرو بن دِينَار . رجال صحيح مسلم ٢/ ٦٦.

(٤) أخرجه ابن حبان (١٠/ ٣٣٦، رقم ٤٤٨٤) ، وأبو عوانة (٤/ ٣٨٠، رقم ٧٠٢٢) .

وقد قيل : معنى قوله : «**عن يمين الرحمن**» . يراد به : المنزلة الرفيعة ، والحُظوة الجليلة . العرب تقول : فلان عندنا باليمين : إذا أرادوا بذلك إبانة جلالته ومحله ، ومنه قول الشاعر[١] :

أقول لناقتي إذ بلغتني لقد أصبحتِ عندي باليمينِ

أراد : بالمحل الجليل .

وأما قوله : «**كلتا يديه يمين**» . فإنه أراد بذلك معنى التمام والكمال ؛ لأن كل شيء فمياسره تنقص عن ميامنه من قوة وبطش وتمام ، وكانت العرب تحب الميامن وتكره المياسر ، لما في المياسر من النقصان ، وفي الميامن من التمام ، وتقول العرب لمن كان غاية في الجود والإحسان والفضل : كلتا يديه يمين ، وإذا نقص حظ الرجل وبخس نصيبه ، قيل : جعل سهمه في الشمال ، وإذا لم يكن عنده اجتلاب منفعة ، ولا دفع مضرة ، قيل : ليس فلان باليمين ولا بالشمال ، قال الفرزدق[٢] :

كلتا يديه يمين غير مُخْلِفَةٍ تُزجي المنايا ونَسقي المجد والمطرا[٣]

وروي في خبر آخر : «**إن يمين اللّه سحاء ، لا يَغِيضُهَا شيءٌ الليلَ والنهار**» . ومعناه : أن عطايا اللّه كثيرة ، لا يُنْقِصُهَا شيء ، وإلى هذا المعنى ذهب المرار[٤] الشاعر حين قال :

---

(١) هو أبو نواس ، والبيت في العقد الفريد ٦/ ١٨٩، والموشح ، ص ٨١، ومحاضرات الأدباء ١/ ٦٢٣.

(٢) همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي ، أبو فراس ، الشهير بالفرزدق : شاعر ، من النبلاء ، من أهل البصرة ، عظيم الأثر في اللغة ، كان يقال : لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب ، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس . يشبه بزهير بن أبي سلمى . وكلاهما من شعراء الطبقة الأولى ، زهير في الجاهليين ، والفرزدق في الإسلاميين . وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل ، ومهاجاته لهما أشهر من أن تذكر . كان شريفا في قومه ، عزيز الجانب ، يحمي من يستجير بقبر أبيه ـ وكان أبوه من الأجواد الأشراف ـ وكذلك جده . ترجمته في طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٩٩، الشعر والشعراء ٣٨١، الأغاني ١٨٦/٨ و ١٩/ ٣، معجم الشعراء للمرزباني ٤٦٥.

(٣) ديوان الفرزدق ٢٧٤.

(٤) هو : المرار (ويقال : زياد) بن منقذ بن عمرو ، الحنظلي ، من بني العدوية ، من تميم ، يلقب بالمرار : من شعراء الدولة الأموية . كان معاصرا للفرزدق وجرير . وكانت إقامته في بطن الرمة (من أودية نجد) وزار اليمن . وله قصيدة في ذم صنعاء ومدح بلده وقومه وهاجاه جرير . ويذكر المرزباني أنه سعى بجرير لدى سليمان بن عبد الملك ، ونبهه إلى بيت في شعر جرير ، يشير به على عبد الملك بخلع سليمان واستخلاف ابنه عبد العزيز . ترجمته في المؤتلف والمختلف ٢٦٨، والسمط ٨٣٢/٢ والشعر والشعراء٦٩٧/٢ ـ ٦٩٨، ومعجم الشعراء=

وإن على الأوابد من عَقِيل فتًى كلتا اليدين له يمينُ

والعرب تعبر عن النعم والأفضال باليد واليمين، وروي في الخبر أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم لنسائه: «**أطولكن[١] يدا أسرعكن موتا بعدي**»[٢].

قال: فكن يتذارعن، فكانت سودة[٣] أطولَهن يدا، فلما توفي رسول الله ﷺ كانت زينبُ[٤] أولَهن موتا بعده، فقلن: كيف قال رسول الله ﷺ ما قال؟! ثم ذَكَرْنَ أنها أطولُهُنَّ يدا في الخير، فصح أن العرب تعبر عن النعم والأفضال باليد واليمين.

وروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: «**الحجر الأسود يمين الله في الأرض، يصافح بها من يشاء من خلقه**»[٥].

وزعم بعض أهل النظر: أن المراد بذلك أن الحجر من نعمة الله على عباده، جعله لهم سببا يثابون على التقرب إلى الله ـ سبحانه ـ بمصافحته فيؤجرون على ذلك، والعرب قد تعبر عن النعمة باليمين واليد، كما ذكرنا أولا في هذا الكتاب.

وزعم بعضهم: أن هذا تمثيل، وأصله أن الملك كان إذا صافح رجلا، قبَّل الرَّجُل يده، فكأن الحجر لله بمنزلة اليمين للملك. تُستلم وتُلثم.

=للمرزباني. ٣٣٨.

(١) المراد: طول اليد في الصدقة والجود.

(٢) أخرجه البخارى (٢/ ٥١٥، رقم ١٣٥٤)، ومسلم (١٩٠٧/٤، رقم ٢٤٥٢) والنسائي (٥/ ٦٦، رقم ٢٥٤١)، وابن حبان (١٥/ ٥٠، رقم ٦٦٦٥). والحاكم (٤/ ٢٦، رقم ٦٧٧٦) وقال صحيح على شرط مسلم.

(٣) سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل، ويقال: حسيل بن عامر بن لؤي، وأمها الشموس بنت قيس بن زيد بن عمرو بن لبيد بن خراش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار. تزوجها رسول الله ﷺ بمكة بعد موت خديجة وقبل العقد على عائشة هذا قول قتادة وأبي عبيدةوكذلك روى عقيل عن ابن شهاب وأنه تزوج سودة قبل عائشة .. ترجمتها في: الاستيعاب ٢/ ١٠٣.

(٤) هي زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبيرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان ابن أسد بن خزيمة أمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم عمة رسول الله ﷺ. تزوجها رسول الله ﷺ في سنة خمس من الهجرة، هذا قول قتادة وقال أبو عبيدة: إنه تزوجها في سنة ثلاث من التاريخ ولا خلاف أنها كانت قبله تحت زيد بن حارثة، كان اسمها برة فسماها النبي صلى الله عليه زينب. ترجمتها في الاستيعاب ٢/ ٩٧.

(٥) أخرجه الخطيب (٣٢٨/٦)، وابن عساكر (٢١٧/٥٢). والديلمي (٢/ ١٥٩، رقم ٨٠٨). وأورده ابن عدي (٣٤٢/١ ترجمة ١٧٢ إسحاق بن بشر أبو يعقوب الكاهلي).

وقد قيل في الخبر : إن الله حين أخذ الميثاق من بني آدم ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾[1] . جعل ذلك في الحجر الأسود ، أما سمعتم إذا لمسوه يقولون : إيمانا بك ووفاء بعهدك[2]؟!

❊ ❊ ❊

---

(١) الأعراف : ١٧٢.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٤٥٧، والأزرقي في تاريخ مكة ١/٣٢٣ـ٣٢٤.

باب : بيان تأويل خبر آخر

أبو أمامة ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : **«ما تقرب العبد إلى الله ـ سبحانه ـ بمثل ما خرج منه»**[(١)] . يعني : القرآن .

قوله : «بمثل ما خرج منه» . أي : بمثل ما وجد منه ، كما تقول في الكلام : خرج من فلان كلام يذم أو يمدح به ، أي : وجد كلامه على هذا المعنى .

وقد قيل : إن (الهاء) في قوله ﷺ : «بمثل ما خرج منه» . عائدة إلى العبد ، وخروج الكلام منه وجوده متلوًّا على لسانه ، محفوظا في صدره ، مكتوبا بيده .

وذكر عكرمة[(٢)] رضي الله عنه أنه شهد جنازة رجل مع ابن عباس ، **قال : فجعل الرجل يقول** عند القبر : يا رب القرآن[(٣)] ، اغفر لي . **فقال ابن عباس : أما علمت أن القرآن منه؟ قال :**

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٦٨.

(٢) عِكْرِمة البَرْبَري (٢٥ ـ ١٠٥هـ/٦٤٥ ـ ٧٢٣م) هو : عكرمة بن عبد الله البربري المدني ، أبو عبد الله ، مولى عبد الله بن عباس ، تابعي ، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي . طاف البلدان ، وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل ، منهم أكثر من سبعين تابعيا . وذهب إلى نجد الحروري ، فأقام عند ستة أشهر ، ثم كان يحدث برأي نجدة . وخرج إلى بلاد المغرب ، فأخذ عنه أهلها رأي " الصفرية " وعاد إلى المدينة ، فطلبه أميرها ، فتغيب عنه حتى مات . وكانت وفاته بالمدينة هو و " كثير عزة " في يوم واحد فقيل : مات أعلم الناس وأشعر الناس . ترجمته في : طبقات ابن سعد ٥/ ٢٨٧، طبقات خليفة ، ص ٢٨٠، التاريخ الصغير ١/ ٢٥٧، ٢٥٨، ٢/ ١١٩، الجرح والتعديل ٧/ ٧، طبقات الشيرازي ، ص ٧٠، حلية الأولياء ٣/٣٢٦ ـ ٣٤٧، تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٣٤٠، وفيات الأعيان ٣/ ٢٦٥، تذهيب التهذيب ٣/ ٤٩، تذكرة الحفاظ ١/ ٩٥، ميزان الاعتدال ٣/ ٩٣، العبر ١/ ١٣١، تاريخ الإسلام ٤/ ١٥٦، العقد الثمين ٦/ ١٢٣، ١٢٥، تهذيب التهذيب ٧/ ٢٦٣، النجوم الزاهرة ١/ ١٦٣، طبقات الحفاظ ، ص ٣٧، طبقات المفسرين ١/ ٣٨٠، شذرات الذهب ١/ ١٣٠، شرح العلل ١/ ٣٢٥، ٣٢٦.

(٣) أي : أن القرآن كلام الله ليس بمربوب ، منه بدأ وإليه يعود ، فانظر إلى ابن عباس! لاحظ كلمة يقع فيها كثير من الناس في هذه الأيام ؛ لأن هذه الزيادة (رب) ليست في حديث صحيح قط ، وإنما الصحيح : (يأتي الصيام والقرآن فيشفعان للعبد فيقول القرآن : أسهرت ليله فشفعني فيه ، ويقول الصيام : أظمأت نهاره فشفعني فيه) ، وهذه الرواية صحيحة ، أما رواية : يا رب! فليست صحيحة .
وقال عبد الله بن عمر : القرآن كلام الله غير مخلوق .
وعن عمرو بن دينار قال : أدركت تسعة من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : من قال : القرآن مخلوق فهو كافر .

فغطى الرجل رأسه كأنه قد أتى كبيرة . ومعنى قوله : إن القرآن منه . أي : وجه منه[(١)] .

فإن قيل : فما معنى قول عمرو بن دينار ﷺ : «أدركت مشايخ يقولون منذ سبعين سنة : إن القرآن كلام اللّٰه ـ سبحانه ـ منه خرج وإليه يعود»[(٢)]؟

قيل : معناه ـ عند أهل النظر ـ هو الذي تكلم به ، وهو الذي أمر بما فيه ، ونهى عما حظر ، وإليه يعود يعني : هو الذي يسأل عما أمرك به ، ونهاك عنه .

وقد روى عثمان بن عفان ﷺ عن رسول اللّٰه ﷺ أنه قال : **«فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الخالق على المخلوق ، وذلك أنه منه»**[(٣)] .

ومعناه : أنه له ، والعرب تقول : إن هذا منك . أي : إنه لك ، كما قال الشاعر[(٤)] :

فمنك العطاء ومنا الثناء بكل محبَّرةٍ[(٥)] سائرة

أي : لك العطاء ، ولي الثناء عليك .

---

(١) أخرجه اللالكائي في السنة ٢/ ٢٣٠، والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٣١٢. وانظر : الفتاوى الكبرى (٥٦/٥) وهو في الإبانة (١/١٢/٢٧٠ ـ ٢٧١/٤٠) .

(٢) أخرجه البخاري في أفعال العباد ، قال : حدثني الحكم بن محمد الطبري كتبت عنه بمكة ، قال : حدثنا سفيان بن عيينة قال : أدركت الحكم بن محمد الطبري كتبت عنه بمكة ، قال : حدثنا سفيان بن عيينة قال : أدركت مشايخنا منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار يقولون : القرآن كلام اللّٰه وليس بمخلوق انظر : خلق العباد ضمن مجموعة عقائد السلف لعلي النشار ص"١١٧" .

وأخرجه اللالكائي في شرح السنة ، تحقيق أحمد سعد حمدان ٢٤١/٢ عن ابن عيينة نحوه .

وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ، باب ما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين ﷺ في أن القرآن كلام اللّٰه غير مخلوق ص"٢٤٥" بسنده إلى ابن عيينة قال : أدركت مشيختنا منذ سبعين ، منهم عمرو بن دينار يقولون : القرآن كلام اللّٰه ليس بمخلوق .

وقال البيهقي في المصدر نفسه ص"٢٤٥" : قال أبو واقد الليثي ، أدرك عمرو بن دينار أجلة أصحاب رسول اللّٰه ﷺ من البدريين والمهاجرين والأنصار مثل جابر بن عبد اللّٰه وأبي سعيد الخدري ، وعبد اللّٰه بن عمرو وعبد اللّٰه بن عباس ، وعبد اللّٰه بن الزبير ﷺ ، وأجلة التابعين رحمة اللّٰه عليهم ، وعلى هذا مضى صدر هذه الأمة لم يختلفوا في ذلك .

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣٧٣/٢ (٥٥٦) ، والبيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٥٧٩ (٥٠٥) ، وشعب الإيمان ٥٠٢/٣ (٢٠١٩) ، وابن بطة العكبري في الإبانة الكبرى ٢٢٧/٥ (٤) .

(٤) البيت لنصيب بن رباح ، انظره في معجم الأدباء ٦/ ٢٧٥٣، والحيوان ١/ ٢٥٤، والشعر والشعراء ١/ ٤٠٠، وأمالي الزجاجي ٤٦، وديوان المعاني ١/ ٣٣.

(٥) محبرة : محسنة ، حبرت الشعر والكلام تحبيرا ، حسنته .

باب بيان تأويل خبر آخر

حماد بن سلمة، عن يعلى بن عطاء[(١)]، عن وكيع بن حدس[(٢)]، عن أبي رزين العقيلي[(٣)] ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «كان في عماء[(٤)]، ما تحته هواء، وما فوقه هواء، ثم خلق عرشه على الماء»[(٥)].

---

(١) هو: يعلى بن عطاء العامري شيخ، ثقة، طائفي، سكن واسط. يروي عن: أبيه، ووكيع بن عدس، وعمارة بن حديد، وعمرو بن الشريد، وجماعة كثيرة. حدث عنه: شعبة، وحماد بن سلمة، وأبو عوانة، وشريك، وهشيم. وثقه: أحمد بن حنبل. توفي: سنة عشرين ومائة.

ترجمته في: التاريخ الكبير ٣/ ٤٩٩، تاريخ الفسوي ١/ ٢٩٢، الجرح والتعديل ٤/ ٤٩، تذهيب التهذيب ٢/ ٢٦، تاريخ الإسلام ٥/ ٧٩، تهذيب التهذيب ٤/ ٦٨، خلاصة تذهيب الكمال، ص ١٤١.

(٢) ويقال: وكيع بن عدس، تهذيب التهذيب ١١/ ١٣١.

(٣) أبو رزين العقيلي، لهُ صُحبَةٌ، عداده في أهل الطائف. تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٢٤/ ٢٤٨.

(٤) العماء السحاب. قال كثير من العلماء هذا من حديث الصفات فتؤمن به وبكل علمه إلى عاله. (ما تحته الماء) "ما" نافية لا موصولة. وكذا قوله وما فوق. (ما ثم خلق) "ثم" اسم إشارة إلى المكان. و"خلق" بمعنى مخلوق.

قال أبو عبيد في "غريب الحديث" ٢/ ٨: العماء في كلام العرب: السحاب الأبيض، وإنما تأولنا هذا الحديث على كلام العرب المعقول عنهم، ولا ندري كيف كان ذلك العماء، وما مبلغه، والله تعالى أعم، وأما العمى في البصر؛ فإنه مقصور، وليس هو من معنى الحديث في شيء.

وقال الترمذي: قال يزيد بن هارون: العماء؛ أي: ليس معه شيء.

(٥) إسناده ضعيف. وكيع بن حدس لم يوثقه غير ابن حبان، ولم يرو عنه غير يعلى بن عطاء، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح.

وأخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٧٩٨٠)، وفي "التاريخ" ١/٣٧-٣٨ عن المثنى بن إبراهيم، قال: حدثنا الحجاج بن المنهال بهذا الإسناد.

وأخرجه الطيالسي (١٠٩٣)، ومن طريقه البيهقي في "الأسماء والصفات" ٢/١١٦ عن حماد بن سلمة، به.

وأخرجه أحمد ٤/١١ و١٢، وابنه عبد الله في "السنة" (٢٦٠)، والترمذي (٣١٠٩) في التفسير: باب ومن سورة هود، وحسنه، وابن ماجه (١٨٢) في المقدمة: باب فيما أنكرت الجهمية، والطبراني في "الكبير" ١٩/ (٤٦٨) من طرق عن حماد بن سلمة، به.

وأخرج القسم الأول منه الطيالسي (١٠٩٤)، وأحمد ٤/١١ و١٢، وابنه عبد الله في "السنة" (٢٥٨) و(٢٦٥) و(٢٦٦)، وابن أبي عاصم في "السنة" (٤٥٩)، وابن خزيمة في "التوحيد" ص ١٧٩، وعثمان بن سعيد الدارمي في "الرد على الجهمية" ص ٥٥، والطبراني ١٩/(٤٦٥)، والحاكم ٤/٥٦٠ من طرق عن=

اعلم : أن العماء ـ في كلام العرب ـ إذا كان ممدودا : فهو سحاب رقيق . وإذا كان مقصورا : فهو من العمى بمعنى الاشتباه ، وأنشدنا أبو عبد الله الأزدي في العمى إذا كان مقصورا قال : أنشدنا ثعلب النحوي[1] :

تَمَامُ الْعَمَى طُولُ السُّكُوتِ وَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعَمَى يَوْمًا سُؤَالُكَ مَنْ يَدْرِي

فالعمى إذا كان مقصورا فمعناه : أنه لا شيء ثابت ؛ لأنه مما يعمى على الخلق ، لكونه غير شيء ، فكأنه قال في جوابه : إنه كان قبل أن يخلق خلقه في غير شيء ، ثم قال : ما تحته هواء ، ولا فوقه هواء . يريد بذلك : ليس فوق العمى ـ الذي هو لا شيء موجود ـ هواء ، ولا تحته هواء ؛ لأن ذلك إذا كان غير شيء ، فليس يثبت له هواء بوجه .

ومن روى هذا الخبر : «في عماء» ـ ممدود ـ أراد بالعماء : السحاب ، ومعناه فيه : كان القديم فوق السحاب ، مدبرا له ، وعاليا عليه .

وقوله : «ما فوقه هواء» . أي : ما فوق السحاب هواء ، وكذلك قوله : «وما تحته هواء» . كما قال : ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[2] . يعني : من فوق السماء ، وكما قال في موضع آخر : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾[3] . أي : فوق السماء ، وقال في موضع آخر : ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[4] . بمعنى : فوق الأرض . وحروف الصفات عند العرب يدخل بعضها في بعض كثيرا ، قال تعالى : ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[5] . أي : عليها ، كما قال الشاعر[6] :

=حماد بن سلمة ، به . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

وأخرج القسم الأول منه أيضا أبو داود (٣٧٣١) في السنة : باب الرؤية ، وابن خزيمة ص١٧٨ـ ١٧٩ ، وابن أبي عاصم (٤٦٠) ، وعبد الله بن أحمد (٢٥٧) ، والطبراني ١٩/(٤٦٦) من طريقين عن يعلى بن عطاء ، به .

قال البيهقي : هذا حديث تفرد به يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ عَنْ وَكِيعِ بْنِ حُدُسٍ ، ولا نعلم لوكيع بن حدس هذا راويا غير يعلى بن عطاء .

(١) البيت في المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ، ص ٣٦١.

(٢) الملك : ١٦.

(٣) الزخرف : ٨٤.

(٤) التوبة : ٢.

(٥) طه : ٧١.

(٦) البيت لسويد بن أبي كاهل اليشكري في اللسان (ع ب د) قال : قال سيبويه : النسبة إلى عبد القيس عبدي ، وهو من القسم الذي أضيف فيه الأول ، لأنهم لو قالوا : قيسي ، لالتبس بالمضاف إلى قيس عيلان ونحوه ،=

هُمُ صلبوا العَبْدِيَّ في جذع نخلةٍ فلا عَطَسَتْ شَيبانُ إلاَّ بِأَجْدَعَا

أي : على جذع نخلة ، وقال آخر(١) :

إذا رضيتْ عليَّ بنو قُشَيرٍ لَعَمْرُ اللّه أعجبني رِضاها

بمعنى : إذا رضيت عني بنو قشير .

* * *

=قال سويد بن أبي كاهل : "هم صلبوا . . . البيت".

قال ابن بري : قوله بأجدعا ، أي بأنف أجدع ، فحذف الموصوف ، وأقام صفته مكانه . واستشهد المؤلف بقوله : صلبوا العبدي في جذع نخلة أي على جذع نخلة ، كقول القرآن : ولأصلبنكم في جذوع النخل . وإنما ذلك على الاستعارة التبعية في الحرف (في) بتشبيه الاستعلاء بالظرفية ، بجامع التمكن في كل منهما .

(١) الشعر للعقيف العقيلي ، يمدح حكيم بن المسيب القشيري . نوادر أبي زيد : ١٧٦، خزانة الأدب ٤: ٢٤٧.

باب بيان تأويل خبر آخر

أبو هريرة ﷺ قرأ قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا...﴾ . إلى قوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾[١] . فوضع أبو هريرة إبهامه في أذنه ، والتي تليها على عينه ، وقال : هكذا سمعتُ رسول اللّٰه ﷺ يقرؤها ، ويضع إصبعيه .

فقالت المشبهة : أراد بهذا أن له عينا وأذنا ، لهذا وضع يده على عينه وأذنه .

وقال أهل التنزيه له ـ سبحانه ـ من التشبيه : إن العين والأذن لا تكون إلا لجسم ، وقد صح أن القديم ليس بجسم ولا بذي أجزاء وآلة وجارحة .

ولهذه الإشارة معنًى معقول ، يصح عند أهل النظر والعقول ، وذلك أنه أشار إلى عينه ، يريد أن اللّٰه يرى المرئيات كما يرى هو بعينه المرئيات ، ويسمع المسموعات ، كما يسمع هو بأذنه ، لا أن له أذنا وعينا ، فالإشارة في ذلك راجعة إلى المستفاد من عينه وأذنه ، لا إلى نفس العين والأذن ، والإشارة في كلام العرب ليست بأكثر من التمثيل . والعرب تقول : ما فلانٌ إلا شمسٌ . أي : في ضياء شمس وإشراقها ، لا في غير ذلك ، وكذلك قول الشاعر[٢] :

... ... إِنْ كُنتَ رِيحًا فَقَدْ لاَقَيتَ إِعْصَارَا[٣]

أي : إن كنت شديدا ، فقد لاقيت أشد منك . فمثل الشدة بالشدة لا غير ذلك ، ومن هذا المعنى قول النابغة[٤] :

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إذا طلعتْ لم يَبْدُ منهنَّ كوكبُ

---

(١) النساء : ٥٨.

(٢) انظر معاني النحاس : ١/ ٢٩٥، وتهذيب اللّغة : ٢/ ١٥، واللسان : ٥٧٨/٤ (عصر) .

(٣) الإِعصار الريح التي تهب ، من الأرض كالعَمُود إلى نَحو السماءِ وهي التي تسميها الناس الزَّوْبَعةَ ، وهي ريح شديدة ، لا يقال إنها إعصار حَتّى تهبَّ . معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/ ٣٤٩.

والبيت مثل لانقطاع أجر المرائي عند حاجته ، أو مثل للمفرط في الطاعة بملاذ الدنيا ، أو للذي يختم عمله بفساد . اختصار لتفسير الماوردي للعز بن عبد السلام ١/ ٢٤٣، مجمع الأمثال ١/ ٣٠.

(٤) البيت من قصيدة في الاعتذار إلى النعمان بن المنذر ويمدحه كما في ديوانه ، ص ٢٥، وانظر : جواهر الأدب ٢/ ٤٠.

أي : إنك شمسٌ في ضيائها وإشراقها لا غيرِ ذلك ، وكذلك قول الآخر[١] :

النَّشرُ مِسكٌ والوجوهُ دنا نيرٌ وأطرافُ الأكفِّ عَنَمْ

فإنما شبه النشر بالمسك ، لطيب الرائحة وذكائها ، وأطراف الأكف بالعنم ، للاحمرار ، لا لغير ذلك .

فكذلك الإشارة إلى العين والأذن ، لتحقيق كونه سميعا بصيرا ، لا لإثبات جارحة ، تعالى الله عن ذلك وعما يقول الظالمون علوًّا كبيرا!!

❋ ❋ ❋

(١) هو المرقش الأكبر يصف نساء كما في ديوان المرقش ٥٨٦، والمفضليات ٢٣٨، واللسان والتاج والأساس (نشر) والحيوان ٦/ ٥٠٦، والشعر والشعراء ١/ ٧٤.

باب بيان تأويل خبر آخر

احتج بعضهم بقوله : « إن اللّه ـ تعالى ـ يضحكُ » . بما روى إبراهيم بن سعد[١] ، عن أبيه ﷺ قال : كنت جالسا مع حميد بن عبد الرحمن بن عوف[٢] في المسجد ، إذ أقبل شيخ جليل ، فقال : يا ابن أخي ، وَسِّعْ لهذا الشيخ ، فإنه قد صحب النبي ﷺ في بعض أسفاره ، فَوَسَّعْتُ له ، فجلس بيني وبينه . فقال حميد : كيف ذكرتَ قوله ﷺ : في السحاب؟ فقال : سمعتُهُ يقول : **«إن اللّه ـ عز وجل ـ ينشئ السحاب فيضحك أحسنَ الضحك ، وينطق أحسن المنطق ، ومنطقه الرَّعْدُ ، وضِحْكَتُهُ البرق»**[٣] .

وهذه غفلة من هذا المحتج غامرة ، وغلطة فاحشة ، لأن قوله : **«إن اللّه ـ تعالى ـ ينشئ السحاب ، فيضحك أحسن الضحك»** . يعود الضحك على السحاب ، لا على

---

(١) هو : إبراهيم بن سعد بن إبراهيم القرشي الزهري ، ابن صاحب رسول اللّه ﷺ عبد الرحمن بن عوف . الإمام ، الحافظ ، الكبير ، أبو إسحاق القرشي ، الزهري ، العوفي ، المدني . كان ثقة صدوقا ، صاحب حديث . اختلف في وفاته على أقوال : فقال علي بن المديني ، وابن سعد ، وخليفة ، ومحمد بن عباد المكي ، وأحمد بن أبي خيثمة ، وغيرهم : إنه توفي : سنة ثلاث وثمانين ومائة ، فهذا هو الصحيح . وقال سعيد بن عفير ، وأبو حسان الزيادي : مات سنة أربع وثمانين ، وهو ابن خمس وسبعين سنة . زاد ابن عفير : أنه في هذه السنة قدم العراق . وشذ أبو مروان العثماني ، بل غلط ، فقال : سمعت من إبراهيم بن سعد سنة خمس وثمانين ومائة ، ومات بعد ذلك . قال أبو بكر الخطيب في (السابق واللاحق) : حدث عنه : يزيد بن عبد اللّه بن الهاد ـ يعني شيخه ـ والحسين بن سيار ، وبين وفاتيهما مائة واثنتا عشرة سنة . مات ابن سيار : بعد الخمسين ومائتين . ترجمته في : التاريخ الكبير ١/ ١٨٨، التاريخ الصغير ٢/ ٢٢١، المعرفة والتاريخ ١/ ١٧٤، الجرح والتعديل ٢/ ١٠١، تاريخ بغداد ٦/٨١ ـ ٨٦، تذهيب التهذيب ١/ ٣٦، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٥٢، ميزان الاعتدال ١/ ٣٣، العبر ١/ ٢٨٨، تهذيب التهذيب ١/ ١٢١، خلاصة تذهيب الكمال ، ص ١٧.

(٢) هو : حميد بن عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب . أمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس ، يكنى أبا عبد الرحمن . مات سنة خمس ومائة . ترجمته في : طبقات ابن سعد ٥/ ١٥٣. طبقات خليفة بن خياط ، ص ٤٢٢.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٤٣٥، رقم ٢٣٧٣٦) ، قال الهيثمي (٢/٢١٦) : رجاله رجال الصحيح . وابن أبي الدنيا في كتاب المطر (ص ١١١، رقم ٩١) ، وأبو الشيخ (٤/ ١٢٤٣، رقم ٧١٨١١) ، والرامهرمزي في أمثال الحديث (١/ ١٥٥، رقم ١٢٥) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٤٧٣) . وأخرجه أيضًا : العقيلي (١/ ٣٥، ترجمة ١٨ أمية بن سعيد الأموي) .

اللّٰه ـ سبحانه ـ ثم إنه بين أن ضحك السحاب البرق في لمعانه ، على مذهب العرب في الضحك بمعنى الإظهار والاطلاع ، على ما تقدم من تفسيرنا له .

«ومنطقه» . أي : ومنطق السحاب . **«الرعد»** . فأقام الرعد المسموع مقام نطقه المسموع لو كان موجودا منه .

❊ ❊ ❊

باب بيان تأويل خبر آخر

ابن أبي ليلى ، عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**إن الله ـ سبحانه ـ جميل يحب الجمال**»[(١)] .

معنى قوله : «**جميل**» . أي : مجمل ، والعرب تقول : إنه حكيم ، بمعنى : محكم . فكذلك يجوز أن يقال : جميل بمعنى مجمل . أي : أنه يُحَسِّنُ خلق من يشاء أن يحسنه ، كما يُقَبِّحُ خلق من يشاء أن يقبحه ، فكل جميل فمحبوبٌ لله ـ تعالى ـ كما أن كل قبيح فمبغَّض لله ـ تعالى ـ أن يكون آمرا به وناهيا عنه .

ويوضح هذا : ما رُوي أن بكر بن عبد الله المزني[(٢)] كان يجمّل الثياب ، ويدَّهِنُ بالغالية[(٣)] ، ويلبس الطيالسَ الطِّرَازِيَّة[(٤)] ، والقُمُص القُوهِيَّة[(٥)] ، فقال بعض جلسائه : لو قَصَّرْتَ في بعض هذه ، فقال : إن الله ـ تعالى ـ جميل يحب الجمال مني[(٦)] .

فأنزل هذه الأشياء منزل ما يستحسنه القديم ، فبان وجه المراد من الخبر .

---

(١) أخرجه أبو يعلى (٢/ ٣٢٠، رقم ١٠٥٥) . قال الهيثمي (١٣٢/٥) : فيه عطية العوفي ، وهو ضعيف وقد وثق .

(٢) هو : بكر بن عبد الله بن عمرو أبو عبد الله المزني الإمام ، القدوة ، الواعظ ، الحجة ، أبو عبد الله المزني ، البصري ، أحد الأعلام ، يذكر مع الحسن ، وابن سيرين . قال محمد بن سعد الكاتب : كان بكر المزني ثقة ، ثبتا ، كثير الحديث ، حجة ، فقيها . قال سليمان التيمي : الحسن شيخ البصرة ، وبكر المزني فتاها . قال مؤمل بن إسماعيل : مات بكر بن عبد الله سنة ست ومائة . وقال غير واحد ـ وهو أصح ـ : إنه مات سنة ثمان ومائة .
ترجمته في : طبقات ابن سعد ٧/ ٢٠٩، طبقات خليفة ت ١٦٨٠، تاريخ البخاري ٢/ ٩٠، المعارف ٤٥٧، الجرح والتعديل القسم الأول من المجلد الأول ٣٨٨، الحلية ٢/ ٢٢٤، تاريخ الإسلام ٤/ ٩٣، العبر ١/ ١٣٣، تذهيب التهذيب ١/ ٨٨، البداية والنهاية ٩/ ٢٥٦، تهذيب التهذيب ١/ ٤٨٤، خلاصة تذهيب التهذيب ، ص ٥١، شذرات الذهب ١/ ١٣٥.

(٣) نوع من الطيب . النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٣٨٣.

(٤) الطيالس : وشاح يلبس على الكتف كالشال بالعامية منسوب إلى طراز مكان تنسج فيه الثياب الجياد . اللسان (ط ل س ، ط ر ز)

(٥) قوهيَّة : ثياب بيض ، نسبة إلى (قُوهُستان) ، بين نيسابور وهَراة ، وكل ثوب أشبهه يقال له قوهيّ ، وإن لم يكن من قوهستان . انظر : القاموس المحيط ، وحكى ابن منظور عن الأزهري : أن الثياب القوهية معروفة ، منسوبة إلى قوهستان .

(٦) نقله ابن فورك في مشكل الحديث وبيانه ، ص٣٢٩

باب بيان تأويل خبر آخر

عبد اللّٰه بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ عن رسول اللّٰه ﷺ أنه قال: **«لا ينبغي لمن حصَّل القرآن في جوفه أن يحدَّ**[١] **مع من حد، ولا يجهل مع من جَهِلَ، وفي جوفه كلام الله»**[٢].

معناه: وفي جوفه حفظ كلام اللّٰه، لأن الكلام في صدورنا محفوظ، وفي ألسنتنا متلوٌّ، وفي مصاحفنا مكتوب، كما أن القديم ـ جل جلاله ـ مذكور في ...[٣]

* * *

---

(١) يحد: يغضب. من الحِدَّة: وهى الغضب.

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٧٣٨، رقم ٢٠٢٨) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٥٢٢، رقم ٢٥٩١).

(٣) كذا وبعده بياض في المخطوط.

الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الأعلام
- فهرس الفرق والطوائف والجماعات
- فهرس القوافي
- فهرس أنصاف الأبيات
- ثبت المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص

سورة العنكبوت

سورة لقمان

سورة السجدة

سورة ص

سورة الزمر

سورة غافر

سورة فصلت

سورة الشورى

سورة البروج

سورة الفجر

سورة العلق

❊ ❊ ❊

فهرس الأحاديث النبوية

أطعمك وأنت رب العالمين؟ فيقول : أما علمتَ أن عبدي فلانا استطعمك فلم تُطْعِمْهُ؟ أما إنك لو أطعمتَهُ لوجدتَ ذلك عندي»

«يقول اللّه تعالى : انظروا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوهم» ٢١٥

«يكون فيكم قوم تُحَقِّرُونَ صلاتكم مع صلاتهم، وأعمالكم مع أعمالهم، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يَمْرُقُونَ من الدين مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ» ٢١٦

❊ ❊ ❊

فهرس الأعلام

❊ ❊ ❊

فهرس الفرق والطوائف والجماعات

* * *

فهرس القوافي

* * *

فهرس أنصاف الأبيات

* * *

ثبت المصادر والمراجع

آداب الشافعي ومناقبه، لابن أبي حاتم، كتب كلمة عنه : محمد زاهد الكوثرى، وقدم له وحققه، عبد الغنى عبد الحق، مكتبة التراث الإسلامى، حلب وسوريا .

أئمة اليمن، لزبارة الحسنى، ط النصر تعز، سنة ١٣٧٢هـ .

الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، لابن بطة الحنبلى، تحقيق : رضا بن نعسان، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٩هـ .

إبراهيم بن سيار النظام، وآراؤه الكلامية والفلسفية، للدكتور : محمد عبد الهادى أبو ريدة، دار النديم، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٩م .

أبكار الأفكار في أصول الدين، للآمدى، تحقيق : د . أحمد محمد المهدى، مطبعة دار الكتب المصرية، سنة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .

إثبات الوصية، للمسعودى، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها فى النجف الأشرف، بدون تاريخ .

الأحاديث المختارة، للضياء المقدسى، تحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة مكة المكرمة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٠هـ .

الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب : الأمير علاء الدين بن بلبان الفارسى، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

أحسن التقاسيم، للمقدسى المعروف بالبشارى، مطبعة بربل، ليدن سنة ١٩٠٤م .

الإحكام، للآمدى، تحقيق د : سيد الجميلى، دار الكتاب العربى بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ .

الإحكام فى أصول الأحكام، لابن حزم، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٤هـ .

أحكام القرآن، لأبى بكر الجصاص، تحقيق محمد الصادق قمحاوى، دار إحياء التراث العربى، ومؤسسة التاريخ العربى، بيروت، سنة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

إحياء علوم الدين، لأبى حامد الغزالى، طبعة دار الشعب .

الأخبار السنية فى الحروب الصليبية، تأليف : سيدى على الحريرى، الزهراء للإعلام .

أخبار القضاة، لوكيع، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى .

اختلاف العلماء، للمروزى، حققه : السيد صبحى السامرائى، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

اختلاف المسلمين بين السياسة والدين، للدكتور عبد الفتاح الفاوى، مطبوعات قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

الأربعين فى أصول الدين، للرازى، تحقيق : د . أحمد حجازى السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦هـ .

الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد، للجوينى تحقيق : د .محمد يوسف، وعلى عبد المنعم، مكتبة الخانجى، ومكتبة المثنى ببغداد سنة ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م .

الإرشاد للشيخ المفيد، منشورات مكتبة بصرتى، قم .

إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، سنة ١٣٢٧هـ .

إرواء الغليل فى تخريج أحاديث منار السبيل، للألبانى، المكتب الإسلامى، بيروت ودمشق، الطبعة الولى سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

أساس البلاغة، للزمخشرى، دار الشعب، القاهرة سنة ١٩٦٠م .

أساس التقديس فى علم الكلام، للرازى، طبع بمطبعة كردستان العلمية بمصر سنة ١٣٢٨هـ .

أسباب النزول، للواحدى، مكتبة الدعوة، القاهرة (مصورة عن طبعة مطبعة هندية بمصر، سنة ١٣١٦هـ) .

الاستذكار، لابن عبد البر، تحقيق : د . عبد المعطى أمين قلعجى، دار قتيبة، دمشق، وبيروت، ودار الوعى، حلب والقاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٤ ه/ ١٩٩٣م .

الاستغاثة من بدع الثلاثة، للكوفى، ليس به أية معلومات ببليجرافية .

الاستيعاب فى معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، تحقيق : على محمد البلجاوى، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، بدون تاريخ .

أسد الغابة فى معرفة الصحابة، لابن الأثير، دار الشعب، القاهرة سنة ١٩٧٠م .

إسلام بلا مذاهب، للدكتور مصطفى الشكعة، طبعة خاصة بمكتبة الأسرة، مصر سنة ٢٠٠٥م .

الإشارة الى مذهب أهل الحق للشيرازى، تحقيق : د. محمد السيد الجلبند ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، سنة ١٤٢٠هـ /١٩٧٢م .

إصلاح المنطق، لابن السكيت ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٧٥هـ /١٩٥٦م .

أصول الدين ، للبغدادى ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

أصول السنة ، لابن أبى زمنين ، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية ، محفوظ تحت رقم (١٢٠ توحيد) .

الأضداد ، لابن الأنبارى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دائرة المطبوعات والنشر ، الكويت ، سنة ١٩٦٠م .

اعتقاد الإمام المنبل أبى عبد الله أحمد بن حنبل ، لعبد الواحد بن عبد الوارث التميمى ، تحقيق : ناصر محمدى محمد جاد ، تقديم الأستاذ الدكتور محمد السيد الجليند ، دار إيلاف الدولية ، الكويت ٢٠٠٤م .

الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد ، للبيهقى ، تحقيق : أحمد بن إبراهيم أبو العينين ، دار الفضيلة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩ .

اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، للرازى ، تحقيق : د . على سامى النشار ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، سنة ١٣٥٦هـ/١٩٣٨م .

الأعلام للزركلى ، مطبعة كوستا ، القاهرة ، الطبعة الثانية سنة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م .

أعلام المؤلفين الزيدية ، تأليف عبد السلام الوجيه ، مؤسسة الإمام زيد بن على الثقافية ، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .

إعلان النكير على غلاة التكفير ، تأليف : أحمد أبو العينين ، مكتبة ابن عباس ، المنصورة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .

أعمار الأعيان ، لابن الجوزى ، تحقيق : د . محمود الطناحى ، مكتبة الأسرة سنة ١٩٩٩م .

أعيان الشيعة ، لمحسن الأمين ، مطبعة الإنصاف ، بيروت ، سنة ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م .

الأغانى ، لأبى الفرج الأصفهانى ، دار الكتب المصرية ، الطبعة الثانية ١٩٥٢م .

الاقتصاد فى الاعتقاد ، للغزالى ، اعتنى به مصطفى القبانى ، المطبعة الأدبية بسوق الخضار القديم بمصر ، الطبعة الأولى .

اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيميه، قدم له أحمد حمدى إمام، مكتبة المدنى ومطبعتها.

إلجام العوام عن علم الكلام، للغزالى، المكتبة الأزهرية للتراث سنة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

الأم، للشافعي، تصحيح: محمد زهرى النجار، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

أمالى الشيخ المفيد، تحقيق الحسين أستاذ ولى، وعلى الغفارى، منشورات جماعة المدرسين فى الحوزة العلمية، قمم، إيران، المطبعة الإسلامية، سنة ١٤٠٣هـ.

الإمتاع والمؤانسة، لأبى حيان التوحيدى، صححه وضبطه وشرح غريبه: أحمد أمين، أحمد الزين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، سنة ١٣٦٩هـ.

الأنساب للسمعانى، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للباقلانى، تحقيق محمد زاهد الكوثرى، مؤسسة الخانجى، الطبعة الثانية سنة ١٣٧٢هـ.

إيثار الحق على الخلق، لأبى الوزير اليمانى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٧م.

الإيضاح، للفضل بن شاذان، منشورات مؤسسة الأعظم بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

إيضاح الدليل فى قطع حجج أهل التعطيل، لابن جماعة، تحقيق، وهبة سلمان غاوجى الألبانى، دار السلام، مصر الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م.

إيضاح المبهم من معانى السلم فى المنطق، للدمنهورى، ويليه شرح العلامة الأخضرى، وعليها بعض حواشى الشيخ الباجورى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى، الطبعة الأخيرة لسنة ١٣٦٧هـ/١٩٥٨م.

الإيمان، لابن تيمية: تحقيق هاشم محمد الشاذلى، دار الحديث القاهرة.

الإيمان لابن أبى شيبة، حققه محمد ناصر الدين الألمانى، المكتب الإسلامى، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

باب ذكر المعتزلة من مقالات الإسلاميين، للبلخى (مطبوع ضمن كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة) .

بحار الأنوار، للمجلسى، دار إحياء التراث العربى، بيروت الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٣هـ .

البحث العلمى منهجا وتطبيقا، للدكتور : عبد اللطيف محمد العبد، دار الثقافة العربية، ط الثانية، سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

البحث عن أدلة التفكير والتفسيق، للبستى، محفوظ بدار الكتب المصرية (عن مكتبة الأوقاف باليمن) .

بحر الكلام، للنسفى، دراسة وتعليق : د . ولى الدين الفرفور، مكتبة دار الفرفور، سنة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .

بداية المجتهد، لابن رشد، دار الفكر بيروت .

البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق عبد اللّه بن عبد المحسن التركى، بالتعاون مع دار هجر، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع، للشوكانى، مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٣٤٨هـ .

البرهان فى أصول الفقه، للجوينى، تحقيق عبد العظيم الديب، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الرابعة سنة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

البرهان فى معرفة عقائد أهل الأديان، للسكسكى، تحقيق بسام العموش، مكتبة المنار الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، للهيثمى، تحقيق مسعد السعد نى، دار الطلائع القاهرة، سنة ١٩٩٤م .

بيان تلبيس الجهمية فى تأسيس بدعهم الكلامية، لابن تيمية، تحقيق محمد عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩١هـ .

تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدى، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج وآخرون، وزارة الإعلام، الكويت، سنة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

تاريخ بغداد أو مدينة السلام، للخطيب البغدادى، دار الكتاب العربى، بيروت، بدون تاريخ.

تاريخ الحكماء «نزهة الأرواح وروضة الأفراح» ، لشمس الدين الشهرزورى ، تحقيق الدكتور عبد الكريم أبو شويرب ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٨٨م .

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، دراسة وتحقيق محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروى ، دار الفكر ، سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (ترجمة عمر بن الخطاب) تحقيق : سكينة الشهاب ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، سنة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

تاريخ الرسل والملوك «تاريخ الطبرى» ، لأبى جعفر الطبرى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، سنة ١٩٦١م .

تاريخ العلماء والنحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم ، للتنوخى ، تحقيق : د . عبد الفتاح الحلو ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

تاريخ الفكر الإسلامى فى اليمن ، تأليف أحمد حسين شرف الدين ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٠هـ .

تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ، للدكتور : محمد على أبو ريان ، دار النهضة العربية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٧٣م .

تاريخ المذاهب الإسلامية ، للشيخ : محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربى ، بدون تاريخ .

تاريخ واسط ، لبحشل الواسطى ، تحقيق : كوركيس عواد ، مطبعة المعارف بغداد ، سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧ .

تاريخ اليعقوبى ، طبعة بيروت ، سنة ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م .

تاريخ اليمن المسمى : فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتواريخ اليمن ، للواسعى ، مكتبة اليمن الكبرى ، صنعاء ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٩٠م .

تأويل مختلف الحديث ، لابن قتيبة الدينورى ، تحقيق محمد زهرى النجار ، دار الجيل بيروت ، سنة ١٣٩٣هـ/١٩٧٢م .

تبصرة الأدلة ، للنسفى ، تحقيق : كلود سلامة ، نشر المعهد العلمى الفرنسى للدراسات العربية ، دمشق سنة ١٩٩٠م .

التبصير فى الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، لأبى المظفر الإسفراييني ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣ .

تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبى الحسن الأشعرى، لابن عساكر، دار الكتاب العربى، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٤هـ .

تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة، لأبى نعيم الأصبهانى، دراسة وتحقيق: إبراهيم التهامى، دار الإمام مسلم، بيروت الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٦/ .

تحريم النرد والشطرنج والملاهى، للآجرى، تحقيق: عمر غرامة العمروى، طبع بموافقة إدارة الكتب وطبعات المصاحف، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٠هـ .

التحف شرح الزلف، للمولى المؤيدى، مؤسسة الأنوار، الرياض، الطبعة الأولى .

تحفة الأحوذى فى شرح جامع الترمذى، للمباركفورى، دار الكتاب العربى، بيروت .

التحقيق فى الإكفار والتفسيق، لابن المرتضى (مخطوط ضمن مجموعة ٩٥ المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء) .

التخويف من النار، لابن رجب الحنبلى، مراجعة وتعليق: محمد حسن الحمضى، دار الرشيد، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

تدريب الراوى شرح تقريب النواوى، للسيوطى، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية .

التدوين فى أخبار قزوين، للرافعى، تحقيق الشيخ: عزيز الله العطاردى، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م .

تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم، لابن الجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت.

التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية، للدكتور عبد الرحمن بدوى، دار النهضة العربية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٥م .

ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضى عياض، تحقيق، محمد بن تاويت الطنجى، نشر وزارة الأوقاف بالمملكة المغربية، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

الترغيب والترهيب، للمنذرى، ضبط أحاديثه، وعلق عليه: مصطفى محمد عمارة، المكتبة العصرية بيروت، بدون تاريخ .

التشريع الجنائى فى الإسلام، للأستاذ عبد القادر عودة، دار الكاتب العربى بيروت .

تشنيف المسامع بجمع الجوامع ، للزركشى ، تحقيق د : عبد الله ربيع ، ود : سيد عبد العزيز ، مؤسسة قرطبة والمكتبة المكية ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .

تطهير الجنان واللسان عمن ثلب معاوية بن أبى سفيان مع المدح الجلى وإثبات الحق لعلى ، لابن حجر الهيتمى ، تحقيق أبو عبد الرحمن المصرى ، دار الصحابة ط الأولى ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .

التعرف لمذهب أهل التصوف ، للكلاباذى ، راجعه وقدم له وحققه : محمود أمين النواوى ، مكتبة الكليات الأزهرية ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م .

التعريفات ، للجرجانى ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ، سنة ١٣٠٦هـ .

تعظيم قدر الصلاة ، لمحمد بن نصر المرورى ، خرجه وحققه : أبو مالك كمال بن السيد سليم ، مكتبة العلم ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .

تفسير الطبرى جامع البيان عن تأويل آى القرآن .

تفسير العياشى ، لابن مسعود بن عياش ، المكتبة العلمية الإسلامية ، طهران إيران .

تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى ، سنة ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م .

تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، تحقيق عبد العظيم غنيم وآخرون ، دار الشعب القاهرة ، سنة ١٣٩٠هـ/١٩٧١م .

تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن .

تفسير المنار ، للشيخ محمد رشيد رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٢م .

التكفير والهجرة وجها لوجه ، تأليف : رجب مدكور ، مراجعة وتحقيق : د . على جريشة ، مكتبة الدين القيم ، مصر الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

تلبيس إبليس ، ، لابن الجوزى ، مطبعة المنيرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٦٨هـ .

التلخيص الحبير من تخريج أحاديث الرافعى الكبير ، لابن حجر العسقلانى ، تصحيح وتعليق : السيد عبد الله هاشم اليمانى المدنى ، دار المعرفة بيروت ، سنة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .

التمهيد ، للباقلانى عنى بتصحيحه الأب ريتشارد يوسف مكارثى اليسوعى ، المكتبة الشرقية ، بيروت سنة ١٩٥٧م .

التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد ، لابن عبد البر ، وزارة الأوقاف المغربية ، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لأبى الحسين الملطى، تحقيق محمد زاهد الكوثرى، عنى بنشره، السيد عزت العطار الحسينى ١٣٦٨ ه/١٩٤٩م .
تهذيب الأسماء واللغات، للنووى، دار الكتب العلمية بيروت .
تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلانى، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند ١٣٢٥هـ .
تهذيب الكمال فى أسماء الرجال، للمزى، تحقيق : د . بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
توالى التأسيس لمعالى محمد بن إدريس، لابن حجر العسقلانى، حققه : أبو الفداء محمد القاضى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب، للثعالبى، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر سنة ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م .
جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، تحقيق : أبو الأشبال الزهيرى، دار ابن ا لجوزى الدمام، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .
جامع البيان عن تأويل آى القرآن، لابن جرير الطبرى، طبعة مصطفى البابى الحلبى، مصر سنة ١٣٨٥هـ .
الجامع لأحكام القرآن، للقرطبى، دار القلم، القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م .، ودار الكاتب العربى، القاهرة، عن طبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .
الجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير، لابن الساعى، عنى بنشره وحققه مصطفى جواد . طبع فى المطبعة السريانية الكاثوليكية فى بغداد سنة ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م .
جذور الفكر الإسلامى فى الفرق الإسلامية بين التطرف والإرهاب، تأليف : حسن صادق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩٧م .
الجعديات «حديث على بن الجعد الجوهرى»، لأبى القاسم البغوى، تحقيق : د . رفعت فوزى عبد المطلب، مكتبة الخانجى، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م .
جغرافية شبه جزيرة العرب، لعمر رضا كحالة، راجعه وعلق عليه : أحمد على، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، سنة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .
جمع الجوامع أو الجامع الكبير، للسيوطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

جمهرة الأمثال ، لأبى هلال العسكرى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعبد المجيد قطامش ، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لابن تيمية ، مطبعة المدنى ، مصر ، سنة ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م .

حاشية ابن عابدين ، طبع إحياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى وشركاه .

الحاصر فى شرح مقدمة طاهر فى النحو ، رسالة ماجستير بكلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، للباحث زكريا حسن سنة ١٩٩٤م .

الحجج الباهرة ، تأليف جلال الدين الدوانى ، تحقيق ودراسة د . عبد الله حاج على منيب ، مكتبة الإمام البخارى ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م .

الحدائق الوردية فى تاريخ الأئمة الزيدية ، للمحلى ، طبع مخطوطا على نفقة يوسف الحسنى.

حكام اليمن المؤلفون المجتهدون ، تأليف عبد الله محمد الحبشى ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو ، تأليف : محمد سرور بن نايف زين العابدين ، دار الأرقم ، برمنجهام ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

الحكم وقضية تكفير المسلم ، تأليف : المستشار سالم البهنساوى ، دار الأنصار ، القاهرة .

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبى نعيم الأصبهانى ، دار الكتاب العربى ، الطبعة الرابعة ، سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

الحياة الاجتماعية والفكرية فى العراق منذ سنة ٣٣٤هـ وحتى نهاية القرن الخامس الهجرى ، رسالة دكتوراة بكلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، للدكتور : هاشم عبد الراضى سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .

الحيوان ، للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة الطبعة الثانية ، سنة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

الخراج ، لأبى يوسف ، تحقيق : د . إحسان عباس ، دار الشروق .

الخوارج الأصول التاريخية لمسألة تكفير المسلم ، للدكتور مصطفى حلمى ، دار الأنصار ، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

الدر الفريد وبيت القصيد ، لابن أيد مر ، مخطوط معهد تاريخ العلوم الإسلامية فرانكفورت ، ألمانيا الاتحادية ، سنة ١٤٠٨هـ .

الدر المنثور ، للسيوطى ، دار المعرفة بيروت .
درء تعارض العقل والنقل ، لابن تيمية ، تحقيق الدكتور : محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، الطبعة الأول ، سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
دراسات فى العقيدة الإسلامية ، للدكتور : عبد الحميد مدكور ، دار الثقافة العربية ، سنة ٢٠٠٠م .
دراسات فى الفكر الإسلامى المعاصر ، د . محمد السيد الجليند ، دار الثقافة العربية ، سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م .
دراسات فى فكر ابن تيمية ، للدكتور : عبد اللطيف محمد العبد ، مكتبة النهصضة المصرية ، سنة ١٤٠١هـ/١٩٨٢م .
الدرة فيما يجب اعتقاده ، لابن حزم ، تحقيق أحمد الحمد ، وسعيد القرفي ، مكتبة التراث ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٨هـ .
الدرر فى اختصار المغازى والسير ، لابن عبد البر ، تحقيق الدكتور : شوقى ضيف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ن سنة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .
دعاة لا قضاة ، للأستاذ حسن الهضيبى ، دار الطباعة والنشر الإسلامية ، سنة ١٩٧٧م .
دقائق التفاسير ، لابن تيمية ، تحقيق : د . محمد السيد الجليند ، دار القرآن ، دمشق وجدة سنة ١٩٨١م .
دلائل النبوة ، للبيهقى ، تحقيق د . عبد المعطى أمين قلعجى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
ديوان أمية بن أبى الصلت ، نشره فرد ريك ولترتش ، مدينة ليبزيج ، سنة ١٩١١م .
ديوان الصولى (مطبوع ضمن الطرائف الأدبية للأستاذ : عبد العزيز الميمنى الراجكوتى) دار الكتب العلمية بيروت .
الرائق فى تنزيه الخالق ، للإمام يحيى بن حمزة ، تحقيق : إمام حنفى ، دار الآفاق العربية ، ط الأولى ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م .
الرد على الدهريين ، للأفغانى ، نقلها من الفارسية إلى العربية ، **الأستاذ : محمد عبده .**
الرد على المجبرة القدرية ، للإمام يحيى بن الحسين (مطبوع ضمن رسائل العدل والتوحيد) تحقيق الدكتور محمد عمارة ، صدر عن دار الهلال .
رسائل **الجاحظ** ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجى القاهرة .

الرسالة القشيرية فى علم التصوف للقشيرى ، تحقيق معروف زريق ، وعلى عبد الحميد بلطه جى ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة ، الثامنة ، سنة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .
الرسالة الوازعة للمعتدين عن سب صحابة سيد المرسلين ، للإمام يحيى بن حمزة العلوى ، إدارة الطباعة المنيرية ، سنة ١٣٤٨هـ (ضمن مجموعة الرسائل اليمنية) .
روضة الطالبين وعمدة المفتين ، للنووى ، المكتب الإسلامى بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ .
روضة الناظر وجنة المناظر ، لابن قدامة ، راجعه وأعد فهارسه ، سيد سف الدين ، الكاتب ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
الرياض النضرة فى مناقب العشرة ، للمحب الطبرى ، عنى بتصحيحه : السيد محمد بدر الدين النعسانى ، طبعة محمد أمين الخانجى ، الطبعة الأولى .
الزهد ، لهناد بن السرى ، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائى ، دار الخلفاء الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ .
سبل السلام للصنعانى ، حققه : د . حسين بن قاسم ، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ .
سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ فى الأمة ، للألبانى ، مكتبة المعارف الرياض .
السنة ، لابن أبى عاصم ، تحقيق ، محمد ناصر الدين الألبانى ، المكتب الإسلامى ، بيروت ودمشق ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .
سنن الترمذى ، تحقيق الشيخ : أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
سنن الدارقطنى ، عالم الكتب ، بيروت الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
سنن أبى داود ، دار الحديث القاهرة .
السنن الكبرى ، للبيهقى ، دار المعرفة بيروت ، مصور عن دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، الهند ، سنة ١٣٤٤هـ.
سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى ، القاهرة ، سنة ١٩٥٢م .
سنن النسائى بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى وحاشية السندى ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١١هـ/١٩٩١م .

سير أعلام النبلاء ، للذهبى ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، بيروت الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
سيرة الإمام الهادى يحيى بن الحسين ، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية ، بعثة اليمن .
السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م .
السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار ، للشوكانى ، تحقيق : قاسم غالب ، وآخرون ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، الجمهورية العربية المتحدة .
الشامل لحقائق الأدلة العقلية وأصول المسائل الدينية فى أصول الدين ، للإمام يحيى بن حمزة العلوى (مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٩٠٥٣/ب ، فيلم رقم ٤١٧٥٧) .
شبهات التكفير ، للدكتور : عمر عبد العزيز قريش ، مكتبة التوعية الإسلامية ، سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلى ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، بدون تاريخ .
شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، لأبى القاسم اللالكائى ، خرج أحاديثه وعلق عليه : نشأت بن كمال المصرى ، دار البصيرة ، الإسكندرية ، بدون تاريخ .
شرح الأصول الخمسة ، للقاضى عبد الجبار ، تعليق أحمد بن الحسين بن أبى هاشم ، تحقيق د . عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
شرح دبوان كعب بن زهير ، صنعه : أبى سعيد السكرى ، دار الكتب المصرية ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م .
شرح ديوان لبيد ، تحقيق : د . إحسان عباس ، الكويت ، سنة ١٩٦٢م .
شرح السنة ، للبغوى ، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه : شعيب الأرنؤوط ، ومحمد بن زهير الشاويش ، المكتب الإسلامى ، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٠هـ/١٩٧١م .
شرح صحيح مسلم ، للنووى ، دار الفكر ، بيروت ، سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبى العز الحنفى ، تحقيق د . عبد اللّٰه بن عبد المحسن التركى ، وشعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثامنة ، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م .
شرح عيون المسائل ، للحاكم الجشمى (ضمن فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة) .

شرح الفقه الأكبر ، لملا على القارى ، شركة مكتبة ، ومطبعة مصطفى البابى الحلبى ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م .

الشرح الكبير ومعه المقنع والإنصاف ، تحقيق الدكتور : عبد الله بن عبد المحسن التركى ، هجر للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م .

شرح معانى الآثار ، لأبى جعفر الطحاوى ، تحقيق محمد زهدى النجار ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

شرح المقاصد ، للتفتازانى ، تحقيق وتعليق : د . عبد الرحمن عميرة ، منشورات الشريف الرضى ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .

شرح المواقف ، للجرجانى ، مطبعة السعادة القاهرة ، سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م .

شرح نهج البلاغة ، لابن أبى الحديد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، الحلبى ، سنة ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م .

شعب الإيمان ، للبيهقى ، تحقيق محمد السعيد بن بسيونى زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، سنة ١٩٦٦م .

شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، لابن قيم الجوزية ، تحقيق : السيد محمد السيد ، وسعيد محمود ، دار الحديث القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .

الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضى عياض ، تحقيق على محمد البجاوى ، مكتبة الإيمان ، ومطبعة عيسى البابى الحلبى ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

الشيعة والتصحيح ، للدكتور : موسى الموسوى ، ط لوس أنجلوس ، سنة ١٩٨٧م .

صاحب الطراز العلوى ومكانته بين علماء البلاغة ، رسالة ماجستير بكلية دار العلوم ، تأليف محمد رشاد عبد المطلب .

الصحاح «تاج اللغة وصحاح العربية» ، للجوهرى ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطا ، دار الكتاب العربى مصر ، سنة ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م .

صحيح البخارى ، طبعة دار الشعب ، القاهرة ، سنة ١٣٧٨هـ .

صحيح سنن ابن ماجة ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، تعليق وفهرسة ، زهير الشاويش ، المكتب الأسلمي ، بيروت ، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

صحيح مسلم ، تحقيق وتعليق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ، بمصر ، سنة ١٩٥٥م .

صفة الصفوة ، لابن الجوزي : تحقيق محمود فاخوري ، ومحمد رواس قلعجي ، دار الوعي بحلب ، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

الصلاة وحكم تاركها ، لابن القيم ، مطبوع ضمن (مجموعة الحديث) المملكة العربية السعودية ، سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة ، للهيتمي ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

الضعفاء الكبير ، للعقيلي ، تحقيق ، د . عبد المعطي أمين قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

الضعفاء والمتروكين ، لابن الجوزي ، حققه : أبو الفداء عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة ، تأليف عبد الله القرني ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .

طبقات الحنابلة ، لابن أبي يعلى ، تحقيق محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة .

طبقات الزيدية الكبرى ، لابن القاسم ، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٢١هـ/٢٠٠١م .

الطبقات السنية في تراجم الحنفية ، لتقي الدين الداري ، تحقيق د . عبد الفتاح الحلو ، دار الرفاعي ، الرياض الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

طبقات الشافعية ، للأسنوي ، تحقيق عبد الله الجبوري ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، سنة ١٤٠٠ ه/١٩٨١م .

طبقات الشافعية الكبرى ، للسبكي ، تحقيق د . عبد الفتاح الحلو ، ود . محمود الطناحي ، هجر للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م .

طبقات الشعراء ، لابن المعتز ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، دار المعارف بمصر سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م .

طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام الجمحى ، شرح وتحقيق : محمود شاكر ، مطبعة المدنى ، سنة ١٩٧٤م .

طبقات الفقهاء ، للشيرازى ، تحقيق : د . إحسان عباس ، دار الرائد العربى ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١ .

طبقات الفقهاء ، لطاش كبرى زاده ، قام بنشره الحاج أحمد نيلة ، طبع بمطبعة الزهراء الحديثة بالموصل ، الطبعة الثانية سنة ١٩٦١م .

الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، دار بيروت للطباعة والنشر ، سنة ١٣٨٩هـ/١٩٧٨م .

طبقات المعتزلة ، لابن المرتضى عنيت بتحقيقه : سو سنة ديفلد فلزر ، بيروت ، لبنان الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

طبقات المفسرين ، للداودى ، تحقيق على محمد عمر ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، سنة ١٣٩٣/ ، ١٩٧٣م .

طبقات النحويين واللغويين ، للزبيدى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، سنة ١٩٧٣م .

الطبقتان الحادية عشر والثانية عشر من كتاب شرح عيون المسائل ، للحاكم الجشمى (ضمن كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة) .

الطرائف فى معرفة مذاهب الطوائف ، لابن طاوس ، مطبعة الخيام ، قم ، إيران سنة ١٤٠٠هـ .

ظاهرة الغلو فى التكفير ، للدكتور : يوسف القرضاوى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٤١١هـ/١٩٩٠م .

العبر فى خبر من غبر ، للذهبى ، تحقيق : الدكتور صلاح الدين المنجد ، وفؤاد سيد ، دائرة المطبوعات والنشر ، الكويت سنة ١٩٦٠م .

العدة فى أصول الفقه ، لأبى يعلى الفراء ، تحقيق : د . أحمد المباركى ، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

عرائس المجالس للثعالبى ، دار إحياء الكتب العربية .

عقائد آل محمد الباطنية ، للديلمى ، عناية محمد زاهد الكوثرى ، مكتب نشر الثقافة الإسلامية ، سنة ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م .

عقائد الإمامية ، للشيخ : محمد رضا المظفر ، المطبعة العالمية ، القاهرة ، الطبعة الثامنة ، سنة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ، للفاسى ، تحقيق : فؤاد سيد ، مطبعة السنة المحمدية ، سنة ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م .

عقد اللآلئ فى الرد على أبو حامد الغزالى ، للإمام يحيى بن حمزة العلوى ، تحقيق : إمام حنفى ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م .

عقيدة الإمام المبجل ، مطبوع بذيل طبقات الحنابلة ، لأبى يعلى ، تحقيق : محمد حامد الفقى ، مطبعة السنة المحمدية القاهرة .

عقيدة أهل الأثر ، لأبى الخطاب الحنبلى ، مطبوع ضمن مجموعة الرسائل الكمالية رقم (٣) مكتبة المعارف بدون تاريخ .

العقيدة والشريعة فى الإسلام ، تأليف جولد تسهير ، نقله إلى العربية : محمد يوسف وآخرون ، دار الكاتب المصرى ، القاهرة ١٩٤٦م .

العلل الواردة فى الأحاديث النبوية ، للدار قطنى ، تحقيق وشرح : د . محفوظ الرحمن زين اللّه السلفى ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

العواصم من القواصم ، لابن العربى ، تحقيق : د . عمار الطالبى ، مكتبة التراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

عون المعبود على ستن أبى داود ، أبى عبد الرحمن شرف الحق محمد أشرف الصد يقى العظيم آبادى ، دار الكتاب العربى بيروت .

العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدى ، تحقيق : د . عبد اللّه درويش ، المجمع العلمى العراقى ، مطبعة العانى بغداد ، سنة ١٣٨٦هـ ١٩٦٦٧م .

عيون الأخبار ، لابن قتيبة الدينورى ، دار الكتب المصرية ، سنة ١٩٣٠م .

غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ، تأليف يحيى بن الحسين ، تحقيق : د . سعيد عبد الفتاح عاشور ، ومراجعة : د . محمد مصطفى زيادة ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

غاية المرام فى علم الكلام ، للآمدى ، تحقيق د : حسن عبد اللطيف الشافعى ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، سنة ١٣٩١هـ/١٩٧١ .

غريب الحديث، لابن الجوزى، تحقيق: د. عبد المعطى أمين قلعجى، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

غياث الأمم فى التياث الظلم، للجوينى، تحقيق: د. عبد العظيم الديب، ط الثانية، سنة ١٤٠١هـ.

الفاخر، لأبى طالب المفضل بن سلمة، تحقيق، عبد العليم الطحاوى، ومحمد على النجار، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، القاهرة سنة، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، تحقيق، د: محمد رجب النجار، لابن عرب شاة، نشر ضمن سلسلة الذخائر، سنة ٢٠٠٣م .، العدد (٩٤).

فتاوى السبكى، نشرته مكتبة القدس، سنة ١٣٥٦هـ.

فتح الباري بشرح صحيح البخارى، لابن حجر العسقلانى، المطبعة السلفية، القاهرة، سنة ١٣٨٠هـ.

فتح البارى، شرح صحيح البخارى، لابن رجب الحنبلى، تحقيق: محمود شعبان وآخرون، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكانى، مكتبة ومطبعة عيسى البابى الحلبى، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٣٨٣ ه/١٩٦٤م.

فخر الدين الرازى وآراؤه الكلامية، للزركان، دار الفكر، بدون تاريخ.

فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن، للواسعى تاريخ اليمن.

الفرق بين الفرق، للبغدادى، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعروفة، بيروت لبنان بدون تاريخ.

فرق الشيعة، للنوبختى، صححه وعلق عليه: السيد محمد صادق أل بحر العلوم، المكتبة المرتضوية، النجف، سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م.

الفصل فى الملل والأهواء والبدع، لابن حزم، بهامشه الملل والنحل، للشهرستانى، مكتبة المثنى، بغداد، بدون تاريخ.

فصوص الحكم، للفارابى، (طبعة الخانجى ضمن رسائل الفارابى).

فضائح الباطنية، للغزالى، تحقيق: د. عبد الرحمن بدوى، الدار القومية، القاهرة، سنة ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.

فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم، لأبى النعيم الأصبهانى، تحقيق: صالح بن محمد العقيل، دار البخارى، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

فضائل الصحابة، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: وصى اللّٰه بن محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تأليف أبو القاسم البلخى والقاضى عبد الجبار، والحاكم الجشمى، جمعها: فؤاد السيد، الدار التونسية للنشر، سنة ١٣٩٣هـ/١٩٧٤م .

فن تحقيق التراث، محاضرات فى التحقيق لمجموعة من العلماء، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، كلية دار العلوم، سنة ١٩٩٨م .

القواعد البهية فى تراجم الحنفية، لأبى الحسنات اللكنوى الهندى، دار المعرفة بيروت بدون تاريخ .

فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت، مطبوع مع المستصفى للغزالى، المطبعة الأميرية ببولاق، سنة ١٣٢٢هـ .

فى علم الكلام، (المعتزلة الأشاعرة الزيدية) للدكتور محمد صبحى، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، سنة ١٩٩٢م .

فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، للغزالى، تحقيق: د . سليمان دينا، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى الطبعة الأولى، سنة ١٣٨١هـ/١٩٦١م .

فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوى، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩١هـ/١٩٧٢م .

القبس شرح موطأ مالك بن أنس، لابن العربى المالكى، دراسة وتحقيق: محمد عبد اللّٰه ولد كريم، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٢م .

قصة الحضارة، ول ديورانت، طبعة خاصة بمكتبة الأسرة سنة ٢٠٠١م .

قضية الألوهية بين الدين والفلسفة، للدكتور: محمد السيد الجليند، دار قباء، سنة ٢٠٠٠م .

قواعد الأحكام فى مصالح الأنام، للعز بن عبد السلام، ضبطه وصححه: د . عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .

قواعد العقائد ، للغزالى ، تحقيق : موسى بن نصر ، عالم الكتب بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٥م .
الكامل للمبرد ، تحقيق د . محمد أبو الفضل إبراهيم ، والسيد شحاتة ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، سنة ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م .
الكامل فى التاريخ ، لابن الأثير ، دار صادر ، ودار بيروت سنة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .
الكامل فى ضعفاء الرجال ، لابن عدى ، دار الفكر بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
الكافى ، لابن قدامة ، تحقيق الدكتور : عبد اللّٰه بن عبد المحسن التركى ، دار هجر ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .
كشاف اصطلاحات الفنون ، للتهانوى ، تحقيق د . لطفى عبد البديع و د . عبد النعيم محمد حسنين ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، سنة ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م .
كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، للعجلونى ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
كشف الظنون لحاجى خليفة ، استانبول ، سنة ١٩٤١م .
الكفاية فى علم الرواية ، للخطيب البغدادى ، منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ، بدون تاريخ .
كنت نصرانيا ، تأليف واصف ا لراعى ، مطابع الفرزدق الرياض ، سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ، للمتقى الهندى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة ، للسيوطى ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، بدون تاريخ .
اللباب فى تهذيب الأنساب ، لابن الأثير ، عنى بنشره وطبعه مكتبة القدس ، القاهرة ، سنة ١٣٥٧هـ .
لسان العرب ، لابن منظور ، دار صادر ، دار بيروت ، سنة ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م .
لسان الميزان ، لابن حجر العسقلان ، منشورات مؤسسة الأعلمى ، بيروت الطبعة الثانية ، سنة ١٣٩٠هـ/١٩٧١م . (مصور عن طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن الهند ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٢٩هـ) .

اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع، لأبى حسن الأشعرى، تحقيق: د. حمود غرابة، المكتبة الأزهرية، القاهرة.

لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضيئة فى عقيدة الفرقة المرضية، للسفارينى، المكتب الإسلامى بيروت، مكتبة أسامة الرياض، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

لوامع الأنوار فى جوامع العلوم والآثار وتراجم أولى العلم والأنظار، للمؤيدى، تحقيق محمد على عيسى، منشورات أهل البيت للدراسات الإسلامية، اليمن صعدة، الطبعة الثانية، سنة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

لمع الأدلة فى قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، للجوينى، تحقيق: د. فوقية حسن محمود، عالم الكتب، بيروت الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٧م.

مآثر الأبرار، للزحيف (مخطوط دار الكتب المصرية).

ما بعد الطبيعة مقالة اللام، لأرسطو، ترجمة د. أبو العلا عفيفى (مجلة كلية الآداب، مايو سنة ١٩٣٧م.).

مبدأ التطور الحيوى لدى فلسفة الإسلام، للدكتور: على عزام، نشر المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ستة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

المبسوط، لشمس الدين السر خسى، دار المعرفة بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .(مصور طبعة مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٢٣١هـ).

المبين فى شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين، للآمدى، تحقيق: د. حسن الشافعى، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

متشابه القرآن، للقاضى عبد الجبار، تحقيق: د. عدنان زرزور، دار التراث، القاهرة، بدون تاريخ.

مجاز القرآن، لأبى عبيد معمر بن المثنى، تحقيق: د. فؤاد سزكين، مكتبة الخانجى بمصر.

مجالس ابن الجوزى فى المتشابه من الآيات القرآنية، تحقيق ناصر محمدى محمد جاد، تقديم الدكتور عبد الحميد مدكور، دار البخارى، مصر ٢٠٠٢م.

مجمع الأمثال، للميدانى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابى الحلبى، القاهرة، ١٩٧٧م.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للهيثمى ، دار الكتاب ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٦٧م .

مجموع فتاوى شيخ الإسلام ، ابن تيمية ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مطابع الرياض ، سنة ١٣٨١هـ .

المحصول فى علم الأصول ، للرازى ، دراسة وتحقيق : طه جابر فياض العلوانى ، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

مختصر تاريخ دمشق ، لابن منظور ، تحقيق روحية النحاس وآخرون .، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، لابن القيم ، اختصره : الشيخ محمد الموصلى ، نشرته رئاسة إدارات البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، بدون تاريخ .

المختصر فى أصول الدين ، للقاضى عبد الجبار ، مطبوع ضمن رسائل العدل والتوحيد ، تحقيق : د . محمد عمارة ، دار الهلال .

مدارج السالكين ، لابن القيم الجوزية ، تحقيق وتعليق : د . محمد كمال جعفر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٢م .

المدخل إلى دراسة علم الكلام ، للدكتور : حسن الشافعى ، مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م .

مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، لصفى الدين البغدادى ، تحقيق وتعليق : على محمد البجاوى ، دار الجيل بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

مروج الذهب ومعادن الجوهر ، للمسعودى ، فهرسة : يوسف أسعد ، دار الأندلس ، بيروت ، سنة ١٩٧٣م .

المسائل والجوابات فى المعرفة ، للجاحظ ، مطبوع ضمن رسائل الجاحظ بتحقيق : عبد السلام هارون .

المسايرة شرح المسامرة فى العقائد المنجية فى الآخرة ، لابن الهمام ، تأليف : الكمال ابن أبى شريف ، مطبعة السعادة ، مصر ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٤٧هـ .

المستدرك على الصحيحين فى الحديث ، للحاكم النيسابورى ، وملحق به تلخيص المستدرك للذهبى ، مكتبة ومطابع النصر الحديثة ، الرياض (مصور من طبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن الهند) .

المستصفى، للغزالي، المطبعة الأميرية، بولاق، سنة ١٣٢٢هـ .
المستطرف في كل فن مستظرف، للأبشيهي، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، المطبعة الأميرية سنة ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م .
مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .
مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق : محمد بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، بدار هجر، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م .
مسند الشاميين، للطبراني، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م .
مسند عبد بن حميد المنتخب .
مسند الفردوس «الفردوس بمأثور الخطاب»، للديلمي، تحقيق السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٦م .
مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق : حسين سليم أسد، دار المأمون، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .
المسودة في أصول الفقه، لآل تيمية تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني القاهرة .
المشترك وضعا والمفترق صقعا، لياقوت الحموي، عالم الكتب بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .(مصورة عن نشرة : د . فرديناندوستنفيلد، مدينة فوتنغة، سنة ١٨٤٦م) .
المصباح المنير، للفيومي، مكتبة لبنان، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .
المصنف، لابن أبي شيبة، تحقيق : عامر العمري الأعظمي، الدار السلفية، بومباي، الهند، الطبعة الأولى .
مصنف عبد الرزاق، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي، ، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، للإمام القاري الهروي، حققه : عبد الفتاح أبو غدة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، للحكمى، تحقيق عمر بن محمود، دار ابن القيم، ودار ابن حزم، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .
المعارف، لابن قتيبة، تحقيق، ثروت عكاشة، دار الكتب المصرية، سنة ١٩٦٠م .
معالم أصول الدين، للرازى، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية .
معانى القرآن، للفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتى، ومحمد على النجار، دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، سنة ١٢٧٤هـ/١٩٥٥م .
المعتمد فى أصول الفقه، لأبى الحسن البصرى، تحقيق: د . محمد حميد الله، وآخرون، نشر المعهد الفرنسى للدراسات العربية بدمشق، سنة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م .
معجم الأدباء، لياقوت الحموى، دار المأمون، سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م .
المعجم الأوسط، للطبرانى، تحقيق: طارق عوض الله، وعبد المحسن الحسينى، دار الحرمين، القاهرة، سنة ١٤١٥هـ/ ١٩٥٥م .
معجم البلدان، لياقوت الحموى، مكتبة الأسدى، طهران، سنة ١٩٦٥م .
المعجم الذهبى، «فارسى عربى»، تأليف د . محمد التونجى، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٩٢م .
معجم الشعراء، للمرزبانى، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى، القاهرة، سنة ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م .
معجم الصحابة، لابن قانع، تحقيق: صلاح بن سالم المصراتى، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، السعودية، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .
المعجم الكبير، للطبرانى، تحقيق: حمدى عبد المجيد السلفى، الدار العربية للطباعة، بغداد سنة ١٩٧٨م .
معجم ما استعجم، للبكرى، تحقيق: مصطفى السقا، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٤٥م .
معجم المناهى اللفظية ويليه فوائد فى الألفاظ، للشيخ بكر أبو زيد، دار العاصمة، السعودية، الطبعة الثالثة، سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م .
معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، مكتبة المتنبى، بغداد بيروت، سنة ١٩٥١م .
المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م.

المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، للجوا ليقى، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

المعرفة والتاريخ للفسوى، تحقيق: أكرم ضياء العمرى، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٠هـ.

المغرب فى ترتيب المعرب، للمطرزى، دار الكتاب العربى بيروت، لبنان.

المغنى، لابن قدامة المقدسى، تحقيق: د. عبد الله عبد المحسن التركى، ود. عبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

المغنى فى أبواب التوحيد والعدل، للقاضى عبد الجبار، حققه جمع من العلماء، راجعه: د. إبراهيم مد كور، أشرف على إخراجه: د. طه حسين، الدار المصرية للتأليف والنشر.

مفاتيح العلوم، للخوارزمى، تحقيق فان فلوتن، صدر عن سلسلة الذخائر، سنة ٢٠٠٤م.، العدد رقم (١١٨).

مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم، تأليف طاش كبرى زاده، تحقيق: كامل بكرى، دار الكتب الحديثة القاهرة.

المفردات فى غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلانى، طبعة الحلبى، الطبعة الأخيرة، سنة ١٣٨١هـ/١٩٦١م.

مفيد العلوم ومبيد العموم، للخوارزمى، حققه: عبد الله الأنصارى، طبع على نفقة الشئون الدينية، بدولة قطر، سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

مقاتل الطالبين، للأصفهانى، تحقيق أحمد صقر، منشورات مؤسسة دار الأعلمى، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٨هـ.

مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبى حسن الأشعرى، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

مقالات الإسلاميين، للبلخى (ضمن كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة).

مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٣٦٦هـ.

مقام الصحابة وعلم التاريخ، تأليف: محمد شفيع، ترجمة وتقديم: د. سمير عبد الحميد إبراهيم، دار هجر، ط الأولى، سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

مقدمة ابن خلدون، تحقيق: د. على عبد الواحد وافى، نهضة مصر، القاهرة، سنة ٢٠٠٤م.

الملل والنحل ، للشهرستانى ، تحقيق محمد بن فتح الله بدران ، مطبعة الأزهر ، القاهرة ، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

من سب الصحابة ومعاوية فأمه هاوية ، للمغراوى ، مكتبة التراث الإسلامى ، القاهرة .

مناقب الشافعى ، للبيهقى ، تحقيق السيد أحمد صقر ، مكتبة التراث ، القاهرة الطبعة الأولى ، سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م .

المنتخب من مسند عبد بن حميد ، تحقيق مصطفى العدوى ، دار الأرقم الكويت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، لابن الجوزى ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

المنجد فى اللغة ، تأليف لويس معلوم ، الطبعة الخامسة .

منهاج السنة النبوية فى الرد على كلام الشيعة القدرية ، لابن تيميه ، تحقيق : د . محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م .

المنية والأمل ، لابن المرتضى ، تحقيق : محمد جواد مشكور ، دار الندى ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤١٠هـ .

المهذب ، للشيرازى ، دار الفكر ، بيروت .

المهذب فى علم أصول الفقه المقارن ، تحرير لمسائله ودراستها دراسة نظرية تطبيقية ، تأليف : د . عبد الكريم النملة ، مكتبة الرشد الرياض ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .

الموافقات فى أصول الشريعة ، للشاطبى ، تحقيق الشيخ عبد الله دراز ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ .

المواقف فى علم الكلام ، للإيجى ، قام بطبعه ونشره ، إبراهيم الدسوقى عطية ، وأحمد الحنبلى ، مطبعة العلوم بشارع الخليج بجنية لاط .

الموجز فى مراجع التراجم والبلدان والمصنفات ، للدكتور : محمود الطناحى ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م .

الموطأ ، للإمام مالك ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى ، القاهرة ، سنة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م .

ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ، للذهبى تحقيق : على محمد البجاوى ، مكتبة عيسى البابى الحلبى ، مصر ، سنة ١٩٦٣م .

النبى المسلح، د . رفعت السعيد، ط الأولى، رياض الريس، لندن، سنة ١٩٩١م .
النجوم الزاهرة، لابن تغرى بردى، دار الكتب المصرية، سنة ١٣٤٨هـ .
النجاة فى الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية، لابن سينا، تقديم : د . ماجد فخرى، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .
النحو الوافى، تأليف : عباس حسن، دار المعارف، مصر، الطبعة العاشرة، سنة ١٩٩١م .
نزهة الأعين النواظر فى علم الوجوه والنظائر، لابن ا لجوزى، بعناية، مهر النساء ايم، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٤هـ .
نزهة الألباء فى طبقات الأدباء، لأبى بركات الأنبا رى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة .
نزهة النظر شرح نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر، لابن حجر العسقلانى، تقديم : إسحاق عزوز، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م .
نسب قريش، لمصعب الزبيرى، تصحيح وتعليق : إ.ليفى بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٦م .
نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، للدكتور، على سامى النشار، دار المعارف، القاهرة .
نصب الراية لأحاديث الهداية، للزيلعى، المكتبة الإسلامية، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م .(مصورة عن طبعة إدارة المجلس العلمى بالهند، سنة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م .) .
نظم المتناثر من الحديث المتواتر، للكتانى، دار الكتب السلفية، مصر، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٣م .
نهاية الأرب فى فنون الأدب، للنويرى، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م .
النهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق : طاهر الزاوى، ود . محمود الطناحى، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٦٣م .
النهى عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب، لضياء الدين المقدسى، تحقيق : محمد أحمد عاشور، ود . جمال عبد المنعم الكومى، الدار الذهبية، سنة ١٩٩٤م .
نواقص الإيمان القولية والعملية، تأليف : د . عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، دار الوطن، بجدة، ودار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .

نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ، للشوكانى ، تحقيق : عصام الدين الصبا بطى ، دار الوليد بجدة ، ودار الحديث بالقاهرة ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .
هجر العلم ومعاقله فى اليمن ، للأكوع ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م .
الوافى بالوفيات ، للصفدى ، اعتناء هلموت ريتر وآخرون ، دار النشر ، فرانز شتاينر ، فسبادن ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م .
الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة ، تأليف : موسى جار الله ، تحقيق وتعليق : جماعة من كبار العلماء ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة .
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان ، تحقيق : د . إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .
وقعة الجمل ، للغلابى ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، مطبعة المعارف بغداد ، سنة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م .
وقعة صفين ، لنصر بن مزاحم المنقرى ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة ، سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .
الولاة والقضاة ، للكندى ، تصحيح : رفن كيست ، بيروت ، سنة ١٦٠٨م .
يتيمة الدهر ، للثعالبى ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٧٣م/ ١٣٩٢هـ .
اليمانيات المسلولة ، للكورانى ، تحقيق ودراسة : د . المرابط محمد المجتبى ، مكتبة الإمام البخارى ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م .

❊ ❊ ❊

فهرس الموضوعات

تم بحمد اللّٰه

هذا الكتاب

من باكورة المؤلفات التي تناولتْ المشكلَ والمتشابه من القرآن الكريم، وهو كتابٌ فريدٌ في بابه؛ إذ يُعتبر من أوائلِ الكتبِ التي بحثتْ في مشكلِ القرآنِ الكريم ومتشابهه، وردّ الشبه التي تُثار حوله، ودفع المطاعن التي تُسدد نحوه، فيحاول فيه المؤلف أن يفسِّر ما أشكل من آياتٍ وأخبارٍ أودتْ بالبعضِ - كما يعتقد المؤلف- إلى التشبيهِ والتمثيلِ، ملتمسًا المخارج الشرعية؛ من نصوص الكتب العزيز، والسنة النبوية المشرّفة.

وقد تحققت دار الآفاق من النفع المنتظر من وراء نشر هذا الكتاب الذي يدافع عن القرآن الكريم، ومن ثم رأت تعميمه على جمهرة المسلمين رجاء انتفاعهم بما فيه.

9789773442866